الفانوس الفلسطيني

المكتب
29-03-19
UNIVE

العدد "٥" تشرين الاول «أكتوبر» ١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب الفلسطيني

العدد "٥" تشرين الاول «اكتوبر» ١٩٧٨

تصدر مرة كل شهرين
عن
الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

المكتب
29 -03- 1993
Library
UNIVERSITY

المواد التي تنشر تعبر عن
وجهات نظر اصحابها

الاشتراكات السنوية

٣٠ ل ٠ ل ٠ في لبنان وسوريا
٦٠ ل ٠ ل ٠ في بقية الاقطار العربية
١٠٠ ل ٠ ل في اقطار العالم
١٥٠ ل ٠ ل ٠ للمؤسسات

رئيس التحرير
ناجي علوش

نائب رئيس التحرير
رشاد ابو شاور

امانة التحرير
حنا مقبل
يحي يخلف
هاني مندس
جميل هلال
عبد القادر ياسين

المشرف الفني
حسيب الجاسم

المستشارون
عبد الكريم الكرمي
د ٠ احسان عباس
محمود درويش
معين بسيسو
بسام ابو شريف
ناصيف عواد
علي اسحق
خالد ابو خالد
د ٠ سعيد حمود
معن بشور

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

مقالات ودراسات سياسية

٤ الافتتاحيـة ..... ناجي علوش

١٧ حديث عن الوضع العربي ..... عربي

٤٥ مؤتمر كمب ديفيد بين النجاح والفشل ..... فهد زراقو

٥٦ القمع الساداتي « للديمقراطية » في مصر (٢) ..... عزة امام

مقالات ودراسات ادبية وفنية

١٠٤ سميح القاسم من العدمية القوميـة الى الايجابية الراديكالية ..... خليل السواحري

١١٦ عادل زعيتر الاديب ، المناضل ، الانسان ..... يوسف حداد

شعر

١٢٦ قصائد سفرية ..... أحمد دحبور

١٣٤ الفرسان يشعلون الصمت (مسرحيـة شعرية) ..... محسن الخياط

Digitized by Birzeit University Library

قصة

١٨٨ المدن الساحلية ..... محمد كامل الخطيب

كتب

٢٠٨ انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية ..... فاروق وادي

٢١٤ التركيب الاقتصادي الاجتماعي لشرق الاردن ..... نزيه عيسى

٢١٦ موجز تاريخ العراق الحديث ..... الصافي سعيد

٢٢٣ موسوعة الفولكلور الفلسطيني ..... جابر سليمان

تقارير

٢٣٣ بيان وتقارير نشاط .....

Digitized by Birzeit University Library

المواجهة الشاملة أو الخيانة

قد يكون من المكرر المعاد ان نبدأ بالحديث عن قمة معسكر داود ومخاطرها على مستقبل الامة العربية · ذلك ان الصحف لم تبق ولم تذر في هذا المجال · ولم تترك زيادة لمستزيد ·

ومن هنا ، فانني سأشدد على جانب آخر ، لم تعطه الصحف والقوى السياسية الوطنية حقه الكافي من الاهتمام ، وهو مواجهة الخطر ··· الخطر واقع وكبير ، كل منا يحس بذلك ، ولكن كيف تكون المواجهة ؟ هذا هو السؤال الكبير ···

- ١ -

ان الذين تحدثوا عن الاخطار لم يربطوها بأسبابها ، ولم يطرحوا كيفية المواجهة بدقة ··· اكتفوا بالحديث عن الخيانة ، وبيع القدس ، والاستسلام لشروط العدو ، ولم يسألوا انفسهم ، لماذا حصل ذلك ؟ ما هي الاسباب التي جعلته ممكنا ؟ لماذا كانت الخيانة وكان الاستسلام · ثم ان الذين تحدثوا عن المواجهة ، لم يكلفوا انفسهم عناء البحث عن اسس المواجهة الحقيقية وشروطها·

وسأحاول هنا ان اناقش ذلك كله بايجاز ، وهدفي ليس الاساءة لطرف من اطراف القوى الوطنية ، او لجهة من الجهات التي يمكن ان تضمها جبهة الصمود العريضة · ذلك انني حريص على قيام مثل هذه الجبهة ، حريص على مشاركة اوسع القوى فيها · ولكن ذلك كله لا يجوز ان ينسينا اسباب ما حدث ، وشروط

Digitized by Birzeit University Library

مواجهته · لاننا عند ذلك نخدع انفسنا ، مرة اخرى ، بعد المرات العديدة السابقة ، وتنزلق على طريق الكوارث الكبيرة ، التي كانت قمة معسكر داود واحدة منها ، ولكنها ليست اخرها على كل حال ، اذا استمر تردي اوضاعنا ···

والآن نعود الى السؤال ، لماذا حدث ما حدث ؟ هل كان صدفة ؟ هل كان قدرا ؟

١ ـ ان ما حدث لم يكن صدفة ولا قدرا ، بل كان نتيجة حتمية لسياسة التسوية عامة ، على مختلف اجتهاداتها · والدارس الذي يتابع تطور الأوضاع في وطننا ، يلمس ما حدث كله منذ مشروع روجرز ، وتصفية المقاومة في الاردن · ولقد اكدت التطورات اللاحقة هذا الاتجاه ، وجاءت نتائج قمة معسكر داود لتؤكد المقدمات ، لا لتقدم مفاجأة ··· واستمرار هذه السياسة سيقود حتما الى استمرار التدهور في الموقف العربي ، والى حدوث تراجعات كبرى في جبهات اخرى ، غير الجبهة المصرية · سيان عن طريق الاتفاق المباشر ، كما حدث في معسكر داود ، او باجراء تغييرات سياسية لمصلحة هذه السياسة ·

٢ ـ ان سياسة التسوية عموما ، تعني الاتفاق وتقديم التنازلات ، والاعتراف بالعدو بشكل او اخر · وكل اشكال التسويات يعني ذلك · لان التسوية تعني ان يجلس طرفان ويتفاهمان على حل، وحدهما او بحضور اطراف اخرى · والموافقة على مبدأ التسوية تعني الموافقة على الحل ، وعلى الاعتراف بالعدو، صراحة او ضمنا، وعلى تقديم تنازلات · هذه بديهيات ، لا يجوز لعاقل ان ينكرها ·

فاذا دخلنا في التفاصيل قلنا : العدو هو العدو الصهيوني ، تسانده الولايات المتحدة الاميركية والحركة الصهيونية العالمية · وهو يحتل فلسطين كلها ، وسيناء والجولان ، ويسيطر على اجزاء من جنوب لبنان · ونحن ، الطرف الآخر ، العرب ، الدول العربية ، لم نستطع ان نخرجه حربا ، من اي جزء من الارض ، ولا يدل وضع انظمتنا الحالي على امتلاك القدرة لحسم المعركة عسكريا ، ولو بشكل جزئي ·

Digitized by Birzeit University Library

العدو له شروطه لاية تسوية · وهذه الشروط هي :

أ ـ الاعتراف به ، ب ـ اقامة علاقات طبيعية معه (صلح ، اعتراف ، علاقات ديبلوماسية الخ) ، ج ـ اجـــراء تعديلات في الحدود ، وخاصة فيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة ·

اما نحن فما هي شروطنا ؟ ان معظم الدول العربية يعترف بالقرار ٢٤٢ ، وهو ينص على ما طلبه العدو بشكل اساسي · وهذا يعني ان الدول العربية موافقة على امور اساسية مما يطالب بـــه العدو ، وان اختلفت الاجتهادات ·

واختلاف الاجتهادات هام جدا ، وليس امرا يجوز نسيانه ، او الاستهتار به · وعلينا ان نفرق بين حل السادات ، والحـــلول المعارضة له · لان هناك تعارضات بينها ، تخدم بشكل او اخـر الصراع ضد العدو · الا ان ذلك لا يجوز ان ينسينا حقيقة اخرى · وهي ان الموافقة المبدئية على التسوية ، تجعل التسوية امرا واقعا ، ثم يدخل ميزان القوى ليجري التعديلات الضرورية · ولما كان ميزان القوى ، بوضعه الراهن ، لمصلحة العدو ، بات حتميا ان ترجح اية تسوية لمصلحة العدو · وما دام هناك موافقة مبدئية على الحـل ، ومن خلال الامم المتحدة ، او مؤتمر جنيف ، فما الذي يمنع ان تلعب الولايات المتحدة الاميركية دورا اساسيا ؟ وما الذي يمنع ان تكون التسوية اميركية ـ صهيونية ؟ لا سيما عندما تكون الانظمـــة العربية الرجعية خاضعة للسياسة الاميركية ·

ان الموافقة على التسوية عامة ، تسمح للسادات ان يفعـل ما فعل ، وللاميركيين ان يخرجوا السوفيات من « اللعبة » ، ولبعض وجهاء الضفة الغربية وغزة ان يحذوا حذو السادات ، وللمـلك حسين ان يلحق بالركب اذا اعطي شيئا ··· وسيظل الخلاف بين الذين قبلوا والذين رفضوا هذا الشكل من التسوية شكليا وجزئيـا ··· ولن يوقف مسيرة التسوية على كل حال · وما فعله السادات هو انه استفاد من الوضع الراهن : موافقة عربية رسمية عـلى التسوية ، تأييد فلسطيني للتسوية مع فوارق جزئية ، تدهور شامل في الوضع العربي رسميا وشعبيا ··· ولقد ذهب الى « النبع » ،

Digitized by Birzeit University Library

واعطى ما يرى واقعيا ان يعطي ، واخذ ما يرى ان بامكانه ان ياخذ. وكل من يسلك هذه الطريق في مثل هذه الظروف ، سيفعل ما فعل السادات ... فليس هناك تسوية وطنية الان ، وليس هناك تسوية وطنية مع العدو الصهيوني اطلاقا ... وهذا لم يتضح الآن فقط ، فهو واضح منذ سنة ١٩١٧ .

العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة ، والتسوية الرديئة تطرد التسوية الجيدة .. فاذا اقترح طرف منا تسوية ، سماها « وطنية » دون ان يأخذ الظروف كلها بعين الاعتبار ، فان التسوية ستكون خيانية حتما ما دام معسكر العدو هو الاقوى ...

ثم لا تسوية وطنية بشأن فلسطين ، لان اية تسوية ستعترف بالعدو ، وبدولته ، وستساوم على ارض الوطن . ولا مجال لغير ذلك ... ولنسأل حكماءنا ، ولنسأل التاريخ ووقائعه . وما مشروع وليد الخالدي للتسوية ؟ واذا كان هذا هو الحد الاعلى الذي يطالب به ، فما الذي يمكن ان يعطيه العدو ؟ لقد طالب السادات بالانسحاب الكامل ، وبالسيادة العربية الكاملة على كل الارض العربية ؟ فماذا اخذ ؟ علينا ان نناقش ذلك كله بطريقة علمية ...

٣ ـ ان اوضاع الوطن العربي ، كانت منذ مشروع روجرز تتردى . وقد تمثل ذلك بالتالي :

أ ـ ضربت الحركة الوطنية ، بشكل عام ، وشتتت قواها ، او الحقت بالانظمة . وكان من نتيجة ذلك ان اضعفت حركة الجماهير الشعبية الى حد كبير . قاد هذا الى غياب دور الحركة الجماهيرية ، بشكل عام ، حتى في اشد لحظات المحنة : ضرب المقاومة الفلسطينية في الاردن ١٩٧٠ ، ولبنان ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، زيارة السادات للقدس المحتلة .

ب ـ ضربت المقاومة الفلسطينية ، ضربات سياسية وعسكرية متعددة ، ادت باطراف من المقاومة مهياة سياسيا وطبقيا الى قبول بعض برنامج التسوية اولا ، ثم الى الارتباط ببرامج الانظمة ثانيا .

Digitized by Birzeit University Library

ج ـ ازداد ارتباط السياسة العربيـــة والاقتصـــاد العربي بالسياسة الاميركية ، والسوق الامبرياليه ، وزادت بالتالي الهيمنة الاميركية المباشرة ، وغير المباشرة ، على الاوضاع العربية ·

٤ ـ ادى ذلك كله الى ازدياد دور الامبريالية الاميركية فـي الوطن العربي ، وازدياد دور القوى العربية المرتبطة بها ، وخاصة الرجعية السعودية والمصرية · واخذت القوى الرجعية المحليـــة تفاخر ، بأن اوراق الحل اميركية تسعة وتسعين بالمائة ان لم يكن مائة بالمائه · وتعمل على هذا الاساس · ومع ذلك لم تجد المواجهة الحقيقية ، بسبب قمع حركة الجماهير ، ولان المعارضة عملت على اساس ان الحل الواقعي مطلوب ·

٥ ـ ان المقاومـــة الفلسطينية ، بموافقـــة اطـــراف منهـــا المبدئيـــة عـــلى الحـــل ، وان عارضت الحـــل الاميـــركي ، وتحفظت عـــلى القـــرار ٢٤٢ ، ســـاعدت الرئيس السادات والقوى العربية الرجعية على المضي قدما فـي « لعبة التسوية » · وهي بذلك وضعت نفسها الان في الزاويـــة الحرجة · ذلك ان السادات والقوى الرجعية العربية والولايـــات المتحدة الاميركية استفادت من التقـــرب الفلسطيني غير المدروس وغير الحذر على ارض التسوية ، ومن موافقتها المبدئية عليهـــا ، لتحقق اختراقا كبيرا ، يضعف دور المقـــاومة الى حد كبير ، لا المقاومة المصرة على القتال فحسب ، بل و « المقاومة » الموافقة على التسوية ايضا · وهكذا تجد المقاومة كلها الان انهـــا مخيرة بين « كمب ديفيد » و « جنيف » ، لا بين التسوية والتحرير ···

- ٢ -

وبعد ذلك كله كيف تكون المواجهة ؟

تكون المواجهة بالبحث عن العلل الاساسيـــة ، لا بالهروب، وتغطية العجز والفشل بالبيانات · وعلينـــا ان ندرك جوهر المشكلة، وان نعالجها ، وهذا يتطلب :

Digitized by Birzeit University Library

اولا : اعتبار المقاومة الحقيقية ، تبدأ من الجماهير الشعبية ، من تعبئتها وحشدها وتنظيمها ، من تدريبها وتسليحها ، وتحويلها الى قوى منظمة مسلحة · لانه لا مقاومة حقيقيـــة بغير ذلك ، ولا انتصار بدونه ··· وهذا يستلزم :

أ ـ اطلاق الحريات الديمقراطيـــة لكل القوى الوطنيـــة والديمقراطيـــة ··· واسقاط سياسة القمع والقتـــل والاضطهاد والاستغلال ·

الجماهير المستعبدة المذلـــة ، الممنوعـــة من الكلام والاجتماع والتعبير عن الرأي لا تستطيع ان تواجه العدو، خاصة اذا كان كالامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني والقوى الرجعية العربية · والجماهير المحرومة من حق تكوين احزابهـــا السياسية ، ومنظماتهـــا الجماهيرية ، والمرغمة على قبول قيادات سياسية ونقابية لا تمثلهـــا لا تستطيع ان تنتصر · اطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير الشعبية من صلب المشكلة ، وليس امرا تافها او ثانويا ، او نوعا من الترف ·

ب ـ اقامة الجبهة القومية المتحدة لكل القوى القوميـــة والديمقراطية ، على اساس التحـــالف الجبهوي الوثيق ، المعبر عن ارادة الجماهير الشعبية ، والمجسد لمصالحهـــا ومطامحها · ان هذه الوحدة ضرورية ، لا لمواجهة الاحتلال الصهيوني فحسب ، بل لاقامة سلطة الشعب الديمقراطية ، وتحقيق الوحدة العربية، وضرب مواقع التخلف الاساسية، ووضع الاساس السليم لاقتصاد مستقل ، ومتطور · ان هذا من صلب المشكلة ، وفي اساس الصراع ···

وهذا كله ، لا نطرحه لانظمة القمع ، بل نطرحـــه للجماهير اساسا ، وللقوى الوطنية والديمقراطية ، لتناضل من اجله ، ولتحققه بقوتها وعنفها · فقد بات واضحـــا ان القمع لا يخرج قوى ثورية ، وان الانظمة الرجعية ، مهما تلونت لا تلد حركة شعبية ، بل تلـــد اجهزة قمع ، وقوى قتل واضطهاد واستغلال ·

Digitized by Birzeit University Library

ثانيا : ان جوهر الصراع في وطننا منذ اوائل القرن الماضي يتلخص في اننا نواجه الاستعمار ، ثم الامبريالية • ووجود فكره قيام « الوطن القومي اليهودي » ، جاءت ضمن هذا الاطار ، ونمت خلاله ، وحققت ما حققت بفود الامبريالية واسلحتها واموالها ، وضمن مخططاتها • ومع ان الكيان الصهيوني كيان خاص ، ضمن الواقع الامبريالي ، فانه موجود بوجوده ، قائم بقوته ، ولا يستطيع ان يستمر قويا بانهيار الامبريالية • ثم ان قوة الكيـــان الصهيوني ناتجة عن ضعف وطننا وتفككه ، وقوة نفوذ الامبريالية فيه •• ومن هنا فان المواجهة تقتضي :

أ – ان نرى الصراع في ابعاده الحقيقية • انه صراع ضـد الامبريالية عموما ، والامبريالية الاميركية خصوصا • وفي الوقت الذي يكون فيه العدو الصهيوني قوة ضمن اطـار المعسكر الامبريالي ، تكون الرجعية العربية قوة مضـادة للثورة ، مرتبطة بالامبريالية اساسا • ان هذا الوضـع يجعل معسكر العدو الرئيسي مكونا من : الامبرياليـــة الاميركية والكيان الصهيوني والقوى العربية الرجعيـــة المرتبطة ، وليس الكيان الصهيوني وحده • وهذا يفرض مواجهة قاسية شاملة ، ويسقط اية محاولة لتوجيه البنادق نحو العدو الصهيوني فقط ، لان مثل هذه المواجهة في مثل الظروف التي نعيشها ، تعتمـد على الانظمة والقـوى المرتبطه بالامبريالية الاميركية ، او الخائفة والمترددة التي تسعى لتحييد الولايات المتحدة الاميركية بأشكال مختلفة •

وهذا يحتم ان تكون الولايات المتحدة الاميركية على رأس معسكر العدو الرئيسي ، وان تحارب ، وتقاطـع ، وتضرب مصالحها ••• فاذا لم نفعل ذلك ، وهرعنـا لتحسين العلاقات معها، ودعونا الى محاربة العدو الصهيوني، نخدع انفسنا وجماهيرنا • لان الحرب مع العدو الصهيوني هي الحرب مع الامبريالية الاميركية • ومن لا يحـارب الامبريالية الاميركيـــة ، لا يستطيع ان يهزم العـــدو الصهيوني • اما الذين يطالبون بتوجيه البنادق نحو العدو الصهيوني ، ويتجاهلون الامبريالية الاميركية والقـوى

Digitized by Birzeit University Library

العربية الرجعية ، فانهم يؤودون جماهيرهم الى اليأس ، وثورتهم الى التصفية ، لانهم لن يستطيعوا تطوير الثورة وتصعيد القتال حتى الانتصار في ظـل ظروف السيطرة الامبريالية ـ الرجعية · ولا حاجة لذكر الشواهد · ولهذا فان مقياس الجدية في التوجه لتحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة ، يتلخص بكلمة واحدة : محاربة الامبريالية الاميركية ·

ب ـ ان نرى الدور الصهيوني في مكانه الطبيعي · فهو وان كان خطرا قائما بين ظهرانينا ، ليس خطرا قائما بذاته ، ولا مفصولا عن مجمـل الصراع · ولذلك يجب خوض الصراع معه ، ضمن اطار الصراع الشامل : المعركة مع الولايات المتحدة الاميركية والقوى العربية الرجعيـة المرتبطة معها · وان اي اختلال في هذه المعادلة سيقود حتما الى وقف الصراع · فاذا صادقنا الولايات المتحدة الاميركية ، قادنا ذلك الى الاستسلام للمخطط الصهيوني · واذا قبلنا السياسة العربية الرجعية المرتبطة بالولايـات المتحدة ، سرنا على نفس الطريق · وماذا فعل السادات غير ذلك ؟ فالصراع اذن مع العـدو الصهيوني لن يكون الا ضمن اطار الصراع الشامل ، وما عـدا ذلك سيكون طريق التسوية ، والخيانة الوطنية ·

ج ـ ان نرى دور القوى العربية الرجعية ، ضمن اطار ذلك كله · انه دور يخدم المخطط الاميركي عامة · وهو دور يركز على شعار : كل البنادق ضد الشيوعية ، اي ضد كل ما هو وطني وتقـدمي · وتقوم سياسة هذه القوى على دعامتين·الاولى : محاربة القوى الوطنيـة والديمقراطية وتوطيد سيطرة الانظمة الرجعية ، والقوى الرجعيـة · والثانية : محاربة الاتحاد السوفياتي ، والعمل على منعه من تكوين « مراكز نفوذ » في الوطن العربي · وهذه القوى ليس في برنامجها محاربة الولايات المتحدة الاميركية ، بل من صميم برنامجها ان تعزز العـلاقات معها ، وتفتح الابواب للمزيد من سيطرتها · وهـذه القوى لن تسمح

Digitized by Birzeit University Library

بتصـــاعد الصراع مع العدو الصهيوني ، لانه ـ حسب رأيها ـ يفتح الباب امام نمو الحركة الشعبية الثورية ، ويزيد فرص تدخل السوفيات · ومن هنا فان كل من يريد القتال لتحرير فلسطين ، والاراضي العربية المحتلة ، يجب ان يعد نفسه لمواجهة هذه القوى ، ولمحاربتهـــا · ومن يسالمها ، او يطلب رضاها ، لن يخوض معركة تحريـــر الارض كما يجب ان تخاض · وسيبقى خاضعا لمقتضيات استراتيجيتها وتكتيكها ·

ان هذا كلـــه يؤكد ان جوهر الصراع في وطننا صراع مع الامبريالية · والامبريالية المقاتلة اليوم هي الامبريالية الاميركية · ويزداد هذا الصراع تعقيدا لوجود ركيزتين للامبريالية في وطننا : ١ ـ الكيان الصهيوني ، ٢ ـ القوى العربيـــة الرجعية المرتبطة · ولا يمكن فصل المعركة مع هاتين القوتين عن المعركة مع الامبريالية، أو المعركة مع الامبريالية عن المعركـة معهما · ومن يحاول ذلك ، يفكر بالمستحيل ، ويحاول ان يثير زوابع في الفناجين ·

ثالثا : ان كون هذه المعركة بمثل هذا الاتساع والتعقيد يتطلب منا وضوحا سياسيا · ان نحـدد معسكر الاعداء اولا · أن نعرف من هم وما طبيعتهم · وأن نعـرف معسكر الاصدقاء · ان الخلط هنا لا يفيد · والتلاعب بالالفاظ لا يخدم القضيـة · من هو العدو ؟ طبيعة الوضع تقول انه : الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني والقوى العربيـــة الرجعيـة · وعلينا أن نتعامل مع هؤلاء جميعا باعتبارهم اعداء · اما معسكر الثورة ، معسكر القضية ، فهو مكون من : الجماهير الشعبية العربية ، وقواها الثوريـــة والقـومية والديمقراطية · وهي القوى المعادية حتما للامبريالية الاميركيـــة والعدو الصهيوني والقوى العربية الرجعيـــة · ان هذا الوضوح يفرض علينا ان نعامـــل الاعداء باعتبارهـم اعداء ، وان نعبىء معسكر الثورة والقضية لتحمل مسؤوليات الثورة والقضيـة ... اما ان تمتد الايدي للاعداء ، وتصبح الرياض عاصمة كامب ديفيد، وعاصمة معارضته ، وصديقة واشنطن ، و « صديقة » الثـــورة الفلسطينية ، وحلفائهـــا ، فانـــه لما يدل على اختلاط الاوراق ، واضطراب القصد ·

Digitized by Birzeit University Library

ومثل هذا الاختلاط والاضطراب سيقود حتمـا الى الهزائم والكوارث القومية ٠

هل نحن قادرون على أن ندرك ذلك ، بعد كل ما جرى ؟

ان لم نكن قادريـن ، فان الهزيمـة الكبيرة الجديدة على الابواب ٠٠٠

ان الامبريالية الاميركية تخطط لتنفيذ خطوات جديـدة مـن مخططها ٠ وستحاول الان ان تنفذ التالي :

١ ـ معالجة المشكلة بطريقة او بطرق تضمن :

أ ـ زيادة دور الرجعية العربية فيه ، وخاصة النظام السعودي

ب ـ زيادة الدور الاميركي في المنطقة ٠

حـ ـ اخراج المقاومة من لبنان ٠

د ـ انهاء الدور السوري او اضعافه لانهائه ٠

هـ ـ توحيد لبنان باشراف اميركي ، واعطاء القوى الرجعيه المسيحية والاسلامية دورا حاسما ٠٠٠٠

ان القبول يعني كارثـة ، وان الرفض يعنـي المواجهـة ٠ والمواجهة لا تكون الا بالاستعداد اللازم ، غير المتوافر حاليا ٠٠٠

٢ ـ ادخال الاردن حلبة المفاوضات٠ والنظام الاردني مستعد، ولن تقنعه « الدولارات الليبية » ، ولن تردعه الاحوال المتردية ٠ والولايات المتحدة الاميركية ، ترتب هذا الدور الآن ٠ فاذا لم يكن الملك حسين قادرا وملائما ، فان الحل جاهز : نظام جديد اردني ـ فلسطيني ، يمثـل البرجوازيـة الاردنيـة ـ الفلسطينية ، ويرتبط بالسعودية والاميركيين ٠ ويكون هدفه خلال السنوات الثلاث المقبلة

Digitized by Birzeit University Library

حل عقدة الازدواجية الفلسطينية الاردنية ، وانهاء ما تبقى من دور منظمة التحرير الفلسطينية ، ودخول المفاوضات ..

٣ ـ ابراز قيادة فلسطينية داخل الارض المحتلة ، ومن ثم خارجها . والهدف تأجيج صراع داخلي ، كما حدث في فلسطين سنة (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩) حيث صفت الفئات المرتبطة الفئات الوطنية. وستساند الامبريالية الاميركية والعدو الصهيوني والقوى العربية الرجعية مثل هذه القيادات الجديدة ، وستؤملها بحكم ذاتي ، ونضال سلمي ، يقود الى الاستقلال . والعمل دائب في هذا المجال .

٤ ـ اثارة كل التعارضات الاثنية والمذهبية على ارض الوطن... اثارة موضوع البربر في المغرب وتعقيده ، وتأجيج الصراع الطائفي في مصر وسوريا والاقطار العربية الاخرى . ويجري العمل الان لتأجيج قضية الشيعة ، بعد أن اثير موضوع المسيحيين والسنة والعلويين . ولسوف تستمر هذه « اللعبة القذرة » : تحويل هذه التعارضات الى صراعات دموية بديلة للصراع القومي بين الامة واعدائها . والصراع الطبقي بين بقايا الاقطاع والبرجوازية والشرائح المرتبطة من البرجوازية الصغيرة وبقية الطبقات الشعبية.

٥ ـ اجهاض التجارب الوطنية والطبقية ، المعبرة عن ارادة الشعب ، بتحويل كل انقلاب الى فئة مغلقة ، وكل حركة الى «جماعة مستفيدة» . ودفع الحاكمين الجدد الى اجراءات القمع ، والعزلة عن الشعب ، ليعجزوا عن انجاز ما جاءوا من اجله ، وليقعوا في شرك التوجه نحو الامبريالية الاميركية ، والقوى العربية الرجعية .

رابعا : أن ذلك كله لا يعالج بالتصريحات الطنانة ، ولا بالتمويه على الشعب . انه يحتاج الى الدراسة الواعية ، والقرارات الحاسمة . الى الثقة بالشعب ، والاعتماد على طاقاته وامكانياته . وستفقد كل سياسة لا تتسم بالوضوح اللازم والحزم الكافي والاستعداد المناسب الى الكوارث القومية الكبرى ... وعلينا ان نحذر ذلك كله ، وان نكشف عيوبنا ، ونعالجها قبل ان يكشفها الاعداء .

Digitized by Birzeit University Library

خامسا : ان خوض هذه المعركة يتطلب منا ان نحسم موضوع الجبهة العالمية · اننا في الصراع العالمي في الجبهة المعادية للامبريالية · وهي بلا خجل ولا حياء ولا تردد جبهة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، والقوى والاحزاب العمالية والديمقراطية وحركات التحرر الوطني ···مهما كانت الخلافات في هذه القضية او تلك ، وحتى عندما يوافق الاتحاد السوفياتي على التسوية السياسية والقرار ٢٤٢ · والانتماء لهذه الجبهة لا يعني شراء الدبابات والطائرات والمصانع فقط ، بل يعني ايضا تبني البرنامج المعادي للامبريالية · وعندما تكون تجارتنا مع هذه الجبهة موازية لتجارتنا مع الجبهة الامبريالية فلا يعني ذلك اننا سياسيا في الجبهة المعادية للامبريالية ، بل يعني اننا تجار بارعون، نبيع ونشتري ، ونبحث عن الاسعار الافضل ··· ان الانتماء الى الجبهة المعادية للامبريالية سياسيا ، يعني محاربة الامبريالية سياسيا وعسكريا ، ضرب مصالحها ، محاربة عملائها ، مقاطعتها تجاريا ·· الخ ·

ان تحديد هذا الانتماء ضروري · وحين يكون للولايات المتحدة الاميركية سفراء في وطننا ، وشركات ، وممثلون رسميون وغير رسميين وتجارة واسعة جدا ، فمعنى ذلك اننا لم نصبح في الجبهة المعادية للامبريالية بعد ··· وهذا هو المقياس العملي ·

ـ ٣ ـ

وبعد ، يمكن ان يقول قائل ، لم تتحدث عن الوضع الراهن ، وعن متطلبات المرحلة الراهنة · أجل ··· هذا صحيح · وذلك لان هناك انظمة وقوى واحزاب خبيرة بالترقيعات الآنية · وهي تعمل وتصرح ، وتطرح برامج · ولن يفيدنا ان نزاحمهم في هذا المجال · ولكني اود ان اقول لهم : ان هذا كله لا يجدي نفعا ، ان لم نبدأ من الاساس · والاساس فيما ذكرناه سابقا · ستبقى التسوية تحرز التقدم ، تلو التقدم ، والانتصار تلو الانتصار ، كما حدث منذ سنة ١٩٦٧ ونحن نتحدث عن المقاومة والاستنزاف والتصدي الخ ··· وسيبقى شعبنا يعاني الهزائم ويواجه الكوارث القومية ···

Digitized by Birzeit University Library

ان هذا كلـــه يتطلب منا ان نصدق مع شعبنا ، وان نقول له : لا طريق الا طريق المقاومـــة الشعبية الشاملة • ولا مقاومـــة مع القمع ، ولا مقاومة بابقاء شعرات معاوية ممدودة مع واشنطن من جهة ، ومع ركائزها من جهة اخرى ••• فلنستعد لمواجهة المؤامرة الاميركية ـ الصهيونية ـ الرجعية بحشد كل قوى الجماهير وكـل طاقاتها ، وبالتصميم على هزيمة الاعداء في الميدان ، لا في مؤتمر جنيف ••• وبالحوار الديمقراطي الحقيقي ، لان هذا هو السبيل ، لا سبيل القمع والقتل ، ولا سبيل الاغتيال والاقتتال •

ناجي علوش

١ / ١٠ / ١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

حديث عن الوضع العربي

عربي صالح

١ ـ بعد فترة من الاضطراب والانقسام العاصف حول قضايا الوحدة العربية ، تسود الحياة السياسية العربية الراهنة حالة من « الهدنة الوحدوية » ، فقد تراجع موضوع الوحدة عن واجهة المسرح السياسي، لينزوي وراءكواليس القضايا والمشاكل الاخرى المطروحة · وبتراجعه ما عاد موضوعا للخلاف ومحلا للفرقة ·

٢ ـ طوال فترة الخمسينات ومطالع الستينات كانت المراهنة الوحدوية هي مراهنة الوطن والجماهير العربية على التقدم · فالوحدة لم تكن السبيل لالغاء التبعثر السياسي العربي وحسب ، بل كانت الوسيلة والطريق لخلق الاداة السياسية القادرة على انجاز وبلورة شروط النمو والتقدم العربيين · واذا كانت القوى التي رغبت فيها وناضلت من اجلها لم تستطع تحديد مسار الدرب الذي يفضي اليها، والادوات الكفيلة بانجازها، والبرنامج القادر على تحقيقها، وبقيت ، بالتالي ، اسيرة ثنائية سياسية ، تجلت في التمسك بالدولة القطرية على امل تجديدها وتطويرها ، وفي نزوع نحو دولة قومية ، بوصفها « البيئة والمحيط » الاكثر طبيعية لبناء الحياة والامة العصرية ، فان القوى التي قاومت الوحدة كانت لا تعاني من هذه الثنائية ، فالدولة القطرية كانت ولا تزال قرارها الاول ولااخير ، وانما عانت من ثنائية ذات طابع آخر ، تجلت في السؤال التالي : ما العمل لجعل دولتنا القطرية تصمد في وجه نزوع وحدوي مستقبلي، له مرتكزات جماهيرية اكيدة ، وتعبيرات سياسية محتملة ، حتى داخل اقطارنا نفسها · هل المخرج في الانكفاء على الذات وحجر الجماهير في سجن من الموروثات والتقاليد والاشكال التنظيمية ما قبل المجتمعية ، كالعشيرة والقبيلة والطائفة ، ام هو العصرنة والتحديث ، بما يقترن بهما ، عادة ، من مفاجآت ومشاكل ، قد تجرنا ، في جو الاضطراب العربي الراهن ، الى حيث لا نريد ، الى التفسير السياسي المفضي ، ربما ، الى الوحدة ·

Digitized by Birzeit University Library

٣ ـ استند الخط الاول ، الوحدوي ، الى الجماهير العربيـــة الواسعة ، والى جهاز او اجهزة متفاوتة الحداثة لدولة · واستند الاتجاه الثاني ، بسبب عداء الجماهير له ، الى بنى اجتماعية مـــا قبل مجتمعية ، والى طبقات وقوى داخلية وعربية ، والى قوى خارجية ·

هكذا وضع الانقسام حول الوحـــدة حجر الاساس لانقسام عربي كبير ، شكلت القوى والطبقات الصاعدة احـــد اطرافـــه ، وشكلت القوى والطبقات المحافظة والتقليدية قطبه الآخر · وعلى الرغم من عـــدم التجانس في المعسكر الوحدوي ، فان مجرد قيامه على ارضية العداء للامبريالية ، والعمل لتحرير الوطن العربي ، ودفعه عـلى طريق الحداثـــة والتكامل والتطور ، كان حقيقة شديدة الاهمية بالنسبة لمجمل النضال العربي · واذا كانت فاعلية هذه الجبهة العريضة قد خفت كثيرا ، بسبب الطبيعـــة الاجتماعية ونمط الوعي السياسي اللذين ميزا قياداتها ، وكان وصولها الى اهدافها رهنا بوعي وقيـــادة الطبقة العاملة لها ، فان دور بعض الاحزاب الشيوعية في تفكيك هذه الجبهة والوقوف ضدها وضد تطلعاتها ، يعطينا فكرة عن الجريمة التي ارتكبتها بحق التقـــدم والجماهير ، رغم تشدقها بهما طوال الوقت ·

لقد اتاح النضال من اجل الوحـــدة انشاء اعرض جبهة شعبية شهدها التاريخ العربي ، واتاح ميزانا داخليا للقوى ، كان يمكن حشده وتعبئته لمعركة ظافرة ضد الامبريالية والتأخر العربي · لكن هذه الجبهة تبددت الان ، فضاعت الفرصة التاريخية النادرة ، والتي لاحت في افق الممكن والواقع، بعد ان كانت حلما يراود الخواطر ، ويداعب العواطف · وبضياعها غرق الوطن العربي من جديد في متاهة تعيده الى حضن النفوذ الاجنبي ، وتضعه تحت رحمة الكيان الصهيـــوني ·

٤ ـ لم تكن فرصة ما بعد ثورة تموز ١٩٥٢ ، وصعود فئات من الطبقات البينية الى سدة الحكم، هي الفرصة الاولى· فقد اتيحت، عشية الحرب العالمية الاولى وفي اعقابها ، فرصة اولى هامة لتوحيد قسم هام من وطن العرب ، هو القسم الاسيوي · لكن الطبقات والفئات التي تصدت لقيـــادة النضال الشعبي المعادي للترك العثمانيين ، آنذاك ، وعملت على تحديـــد الصـــورة السياسية للمنطقة العربية الآسيوية في بلاد الشام ، عـــلى الاقل ، ما لبثت ان دخلت في مساومة تاريخية مـــع النفوذ الاستعماري الانجليزي ـ الفرنسي ، حين وجدت انه سيضعها امام امر واقع ، يقوم عـــلى تقسيم بلاد الشام ، وطمس هويتها

Digitized by Birzeit University Library

الواحدة . فاجرت ما كانت تظنـــه تعديلا في خططها السياسية ، حين رضيت بواقع التقسيم الاستعماري لبلاد الشام ، وقبلت باقامة « دول وطنية » (قطرية) فوق مزقه السياسة ، مرجئة بذلك الوحدة المنشودة ، الى ما بعد استقلال هذه الدول . لقد قبلت هذه الفئات بالتجزئة بدلا عن الوحدة ، وبالكيانات الاقليمية عوضا عن الكيان القومي الاوسع ، معتقدة انها، بذلك ، ستستطيع بناء مجموعة من الاقطار الاقليمية المتقدمة والعصرية ، التي يمكن دمجهـــا وتوحيدها بعـد خروج العامل الاجنبي الذي حال دون توحيدها بالاصل ، وفرض عليها التجزئة والتقسيم .

٥ ـ غير ان الذي حدث كان عكس هذا المخطط « الوحدوي والتوحيدي ». فقد خلقت التجزئة المصطنعة والاستعمارية شرائح وفئات متعاونة معهـــا ، لم يلبث الوجود الاجنبي ان اصبح احـــد المصادر الاساسية لحياتهـــا باسرها «فالاقطاع» لم يكن يحس بأي دافع اقتصادي، او اجتماعي، او سياسي لخوض معركة الوحدة ، ذات الطابع والبعد الجماهيري المتفجر ، الذي قـــد يفلت من الايدي ، ويصبح عصيا على الضبط ، ولهذا تمسك بالدول التي اقيمت ، بوصفها الدرع الذي يقيـــه هبات الجماهير وعنفها . و « البرجوازية » لم تجد لديها البواعث والمصالح الكافيـــة لدفعها الى تبديل بنية وحـــدود الدول القطرية والاقليمية القائمة . واعتبرت نفسها مجـــرد وسيط بين السوق الخارجيـــة والداخلية . « الاقطاع » لم يطرح على نفسه مهمات تبرز الطابـع الديمقراطي للنضال المعادي للاستعمار ، لانه كان طابعا مرتبطا بالحركة الشعبية ، اصلا . والبرجوازية بمنشئها الاقطاعي من جهة ، وبمالها التجاري الوسيطي من جهة اخرى كانت تخشى الحركة الشعبية وتتجنب طرح اية مهمات ديمقراطية لثورة هي ثورة ديمقراطية ، بالاصل والطبيعة ، فارتمت هاتان « الطبقتان » في حضن الاستعمار ، وسجنتا نفسيهما في حـــدود دولهما الاقليمية ، وصارا معاديتين للوحدة . وبعد ان كانت بالنسبة لهما مهمة مرجأة الى ما بعد الاستقلال ، صار المعنى الوحيد للاستقلال ، في نظرهما ، هو الحفاظ عـــلى الدولة الاقليمية بحدودها وكيانها الجغرافي والسياسي . وبما ان الدولة الجديدة كانت معادية، في قيادتها ، للجماهير ، فان الجماهير ربطت الطموح نحو الوحدة بالعـــداء للاقطاع والبرجوازية، وبشكل من اشكال الاحتقار لدولتهما . وعلى كل حال، **فان الاصل الاقطاعي للبرجوازية ، ومحدودية وضعف طابعها الصناعي ، حالا دون بحثها عن سوق وطنية في اطار قومي ، وجعلاها لا تطرح مسالة القضاء على الاقطاع وعلاقات انتاجه** (وهذه واحدة مـــن المهمات الثورية الاساسية للبرجوازية على مر التاريخ) . **ولا تطرح ، بالتالي ، تحرير الفلاحين، بصفتهم**

Digitized by Birzeit University Library

القسم الاكبر من الجماهير الشعبية ، فوجدت نفسها امام زقاق تاريخي مسدود : فلا هي قادرة على التحول الى برجوازية صناعية ، لانها ليست قادرة على سحق الاقطاع ، ولا هي قادرة على تحرير نفسها من التبعية للسوق الاستعمارية ، اي انها ليست قادرة على تحرير الفلاح ، حليفها التاريخي الرئيسي في مرحلة صعودها ، ولا هي قادرة على انتاج طبقة عاملة تعينها على تغيير صورة وهيكل وبنية المجتمع · فلم يبق لها الا التمسك بالاقليمية الضيقة التعيسة، ذات السمات المحافظة والرجعية على كل صعيد، والانزواء تحت جناحي الاستعمار الخارجي تحتمي بهما ، وتستمد منهما الامن والقوة الاقتصادية والسياسية ·

هكذا ضاعت مزاعمها الوحدوية ، ومخططاتها التوحيدية · وتجلى ، بعد عشرين عاما ونيف ، ان تبجحاتها لا تتوافق مع واقعها ، وان القطرية لديها حلت محل القومية ، والدولة الاقليمية محل الدولة القومية · وصار الامر الواقع الذي خلقه التقسيم الاستعماري هو الواقع الوحيد الذي يجدر الدفاع عنه وحمايته · لقد كانت السنوات العشرون كافية لتبديد التطلعات الوحدوية لدى القيادة ، ولاقناع الجماهير بان الدولة الاقليمية المسماة « وطنية » لم تنجز شيئا يستحق الذكر ، فلا هي جاءت باستقلال حقيقي ، ولا هي قدمت اطارا سليما نحو الجسد القومي للامة ، ولا هي سهلت لقاء اجزائها المختلفة بعد زوال القيود الاجنبية ، ولا هي حلت مشاكل مواطنيها المعاشية ، او حمت فلسطين واسكندرون ، ومنعت تنفيذ المؤامرات المختلفة التي تعرضت لها الامة ·

٦ ـ اذا كان تقسيم بلاد الشام ، والوطن العربي من قبل ، قد ادى الى تفكيك الحركة القومية الواحدة ، والاداة السياسية الواحدة ، فلماذا لا يكون توحيد الاداة السياسية السبيل الى توحيد الاقطار الممزقة ، والبلاد المفككة ، والوطن المجزأ ؟!·

هذه كانت مدرسة في الفكر السياسي ، قامت على خلق تنظيمات سياسية واحدة تمتد فوق اقطار عربية مختلفة · مثل هذه التنظيمات تلعب دور الخميرة الموحدة في الجو القائم ، من خلال خطها السياسي **الواحد** ، واستراتيجيتها **الواحدة** ، وايديولوجيتها **الواحدة** ، ومن خلال الحركة الجماهيرية **الواحدة** ، التي يمكنها ان تحركها في وجه الاحداث **الواحدة** ، التي يواجهها الوطن العربي في مختلف اقطاره· وقد فتشت هذه الحركات والتنظيمات عن العناصر الموحدة للعرب ، سواء في ماضيهم أم في حاضرهم ، وحاولت التأكيد عليها، وابرازها،

Digitized by Birzeit University Library

وترسيخها في وعي الجماهير العريضة ، وربما فسر هذا الشعار الذي كانت تردده حول الوحدة التي تقوم في النفوس قبل ان تقوم في الواقع، والتي تتحول من حقيقة تمثل كل فرد الى واقع يهيمن على كل مجتمع ، الى ان يجد العرب انفسهم وقد أقاموا الوحدة فعليا ·

ومهما قيل في هذه التنظيمات ، وفي التناقضات التي نشأت بينها ، وفي وعيها وممارساتها ، فانها كانت استجابة لوضع تاريخي كان يفتش عن جواب· فقد اثار فشل الطبقات والفئات التقليدية مسألة البديل التاريخي لقيادتها السياسية والاجتماعية· ولما كانت « احزاب الطبقة العاملة » غارقة حتى آذانها في مغازلة الطريق الرأسمالي للتطور ، مؤمنة بالطريق البرلماني وبالخط السلمي للانتقال الى الاشتراكية ، مهملة المسألة الزراعية ومسائل الثورة الديمقراطية اجمالا ، وفي طليعتها المسألة القومية ، منهمكة في بناء الدول الاقليمية « الوطنية » ، فان الذي استجاب للمهمة التاريخية المطروحة كان هذه الاحزاب والتنظيمات والقوى · ونحن ، من حيث المبدأ ، لا نعترض على مخططها للتوحيد ، فالوحدة العربية قد تتحقق فعلا بواسطة قوة سياسية منظمة لها وجود طليعي وجماهيري في عدد من الاقطار ، تقوم بقلب النظام في احدها لتنشر سلطتها منه ، فيما بعد ، الى الاقطار الاخرى · ووحدة الاقطار مرتبطة ولا شك بوحدة الاداة · لكن المشكلة هي في قدرة الاداة نفسها ، وليس في نواياها وتقديراتها وخططها · اذ ماذا تجدي الخطوة اذا كانت الاداة المتصدية للتنفيذ عاجزة عنه ؟! ·

٧ ـ لم يكن مصير هذه التنظيمات باحسن من مصير سابقتها · ولم تنبثق عن خطتها نتائج تتعارض مع الاقليمية ، مع انها ، كما ذكرنا ، خطة معادية للاقليمية بالاصل ، وقد حدث لهذه التنظيمات ما سبق ان حدث لسواها :

ا ـ تفكك قسم منها واختفى تماما ، او تحول الى تنظيم اقليمي في هذا القطر او ذاك ، يتبنى الفكرة الاستراتيجية القديمة « للطبقات والفئات الرجعية » حول ضرورة بناء الدول الوطنية قبل الوصول الى التوحيد القومي·

ب ـ قسم اخر « غير مقاسه » القومي واستبدله صمقاس جديد يلائم حالة الاقطار التي وصل الى الحكم فيها · ومع ان هذا القسم ، بفروعه المختلفة ، لا زال يمارس سياسة قومية ويرفع شارات قومية ، فان همه الاساسي منصرف

Digitized by Birzeit University Library

الى الاقطار التي يحكمها ، ليس بوصفها قواعد ونقاط قفز للحركة التي يمثلها، تنتشر منها الدولة القومية المقبلة ، كما تنتشر نقطة الحبر على ورقة من الورق غير الصقيل ، بل بوصفها غاية بذاتها ، وخط دفاع عن النظام السياسي القائم · واذا كانت هذه الحركات والتنظيمات لم تغير بنية الدولة الاقليمية وحدودها السياسية والجغرافية ، فانها لم تغير ، ايضا، طابع علاقاتها الاقتصادية مع بقية الكيانات العربية، وربما كان تشددها في انتقال مواطنيها الى الاقطار العربية المجاورة اكبر من تشدد سواها من الدول والانظمة ، ولعله من الامور ذات الدلالة الفعلية على المدى الذي وصل اليه التاريخ الوحدوي لهذه الحركات انها متنافسة متعادية فيما بينها ، كما لم تتنافس وتتعادى « الحركات الرجعية » في تاريخها بكامله ·

هذه الحركات والتنظيمات والقوى لم تنجح في خلق الجديد ، فاستسلمت للقديم · ولم تفلح في تغيير الحدود ، فأخذت تحرص عليها وتحرسها · ولم تغير بنية الدولة وطابعها ، فتغيرت بنيتها هي نفسها وطابعها · وهي اليوم جزء لا يتجزأ من نظام التجزئة العربية ، وحارس لا تغمض له عين لواقع العرب الاقليمي ، شانها شان خصومها السابقين وحلفائها الحاليين · واذا كانت بعض الحركات السابقة قد انهارت تماما،فان العنف ب من الحركات آخذ في الانهيار، حيث لا يشكل سلطة الدولة · ومصيره ، في النهاية ، الى ما وصل اليه العنف، سواء في السياسة ام في التنظيم ·

٨ ـ لم تكن هذه التنظيمات ذات الطابع القومي بالاصل هي الرد الوحيد الذي نشأ في أعقاب فشل المدرسة القديمة ، «الاقطاعية والبرجوازية» ، وانما نشأ شكل آخر من التنظيمات رأى في القضاء على الانظمة القائمة السبيل الى بناء الحياة الحديثة · ذلك كان الشكل الذي اخذه تنظيم الضباط الاحرار في مصر مثلا ، الذي وضع منهجا للعمل السياسي ، يقوم على ضرب « الاقطاع وتحكم رأس المال » ، وبناء دولة عصرية حديثة لها « جيش وطني وحياة ديمقراطية » · كان التماس الاول للضباط الاحرار مع المسالة القومية خلال حرب فلسطين · وسرعان ما اكتشف هؤلاء الرابطة التي تصل المسالة القومية بالوضع الداخلي والدولي للعرب · فقد هزم العرب في فلسطين لانهم كانوا « سبعة جيوش وليس جيشا واحدا » ، كما قال **عبد الناصر** ، ولانهم اكتشفوا ان الطريق الى عروبة فلسطين وتحريرها يمر بالقاهرة ، كما اكد **عبد الناصر** ، اكثر من مرة · وفهموا ان بلدا شبه مستعمر تتحكم فيه الطبقة الاقطاعية وتحتله الجيوش الاجنبية لم يهتد الى شخصيته الوطنية ، بعد ·

Digitized by Birzeit University Library

لقد مرت طريق **عبد الناصر والضباط الاحرار** الى العروبة بفلسطين، عبر القاهرة · فكان قلب النظام في القاهرة ، ثم تغيير الوضع العربي هو سبيلهم الى فلسطين ، بوصفها احد المراكز الاساسية للتناقض بين الامة العربية وأعدائها من امبرياليين وصهاينة ·

خلال تنفيذ برنامج ومنهاج الثورة ،.اكتشفت الثورة المصرية بقيادة عبد الناصر ان الامبريالية ليست قضية علاقات دولية ، وانما هي متوضعة في التأخر العربي (الوضع الداخلي لكل قطر) وفي المسألة القومية (تجزؤ وتفكك الوطن العربي) · وان القضية القومية هي الجدار الذي يصطدم به كل نظام يخطو الى أمام داخل قطره ، وفي وسطه العربي وعلاقاته الدولية ، فانتقل بسرعة من ادراك البعد المحلي ، الاقليمي ، للثورة ، الى وعي المسألة القومية المختلفة · وزاد من ادراكه لها حجم الضغوط التي مورست عليه ، وعنف المقاومة التي جابهته في كل خطوة قام بها · فانتقل بسرعة من المواجهة المحلية مع الامبريالية الى المواجهة الشاملة لتجلياتها المحلية والعربية المختلفة ، ناقلا تناقضه معها من تناقض وطني ذي بعد قومي ، الى تناقض قومي شامل المدلولات والابعاد · وكان الانتصار الاكبر ، والابعد دلالة ، الذي احرزته حركة الثورة العربية بقيادته ، تلك الوحدة التي قامت بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، مهددة لاول مرة في تاريخ العرب الحديث باعادة رسم خارطة المنطقة وفق المصالح العربية ، بعد ان اكتسبت التقسيمات الامبريالية للمنطقة العربية ما يشبه القداسة في اعين الانظمة والقوى الغربية · واذا كان الانفصال قد حدث بعد اعلان الوحدة بنيف وثلاث سنوات ، فانه ما جاء لكي يثبت بطلان النزوع والنضال الوحدوي العربي ، بل ليوضح نقاط الضعف الخطيرة التي اعترت الادوات التي اقامت الوحدة وكلفت بحمايتها ، في غياب دور واضح للجماهير ، والنقص في السياسات التي رافقت قيام الوحدة ، وعملت دولة الوحدة في اطارها · لقد كانت الوحدة امام خيارين : اما التوحيد القومي بالحديد والنار ، كما فعل بسمارك · والدولة كانت اضعف من ان تمارس سياسة كهذه ، بفعل المقاومة الامبريالية ووجود اسرائيل في وسط المنطقة العربية ودور القوى التي قاومت الوحدة « من يمين ومن يسار » · او ان دور الجماهير والقوى الجماهيرية المنظمة كان يجب ان يلقى في الميزان ، داخل دولة الوحدة وخارجها · وذلك كان يقتضي سياسة اخرى غير تلك التي مورست طوال السنوات الثلاث الاولى للوحدة ، ثم حدثت محاولة لتغييرها بعد التأميمات، ولكن دون جدوى · وكان حريا بتجربة **حرب السويس** ان تفتح اعين

Digitized by Birzeit University Library

الثورة على العيوب الخطيرة في بنيتها وطابعها ، وفي طليعتها عجز اداتهـا العسكرية عن انجاز وحماية اهدافها وبرنامجهـا السياسـي مـن الاخطـار الخارجية · الا انها لم تفعل ذلك ، واعتقدت انها تستطيع الانتقال الى الهجوم سياسيا وهي في مركز دفاعي عسكريا، فكان ان تم تطويقها عسكريا (اسرائيل، لبنان ، الاردن ، العراق ، تركيا) وضربها سياسيا بالقوة العسكرية ·

٩ ـ التفت **عبد الناصر** الى بناء الدولة ، بعد انهيار الوحدة · لكن القوى التي رأت في خروجه خارج حدود مصر ، بالوحدة خطرا عليها ، وفي انكفائه الى داخلها ، بالانفصال ، فرصة العمر بالنسبة لها ، شرعت تضغط على عنـق مصر ، حتى كانت **حرب حزيران** وهزيمة الدول الاقليمية العربيـة مـن كـل الاشكال والانماط ، وظهر ان الضعف البنيوي للدولة المصرية كان اكبر وأسوأ مما تصور اكثر نقادها تشددا حيالها ، ورفضا لها · وعندما حاول ، للمـرة الثالثة خلال سنوات ، تدارك الامور ، كان وضعه دفاعيا وسيئا الى درجة مفزعة · وكانت الانشوطة الاميركية ـ الاسرائيلية تضيق حول عنق مصر، الى ان سقط الرجل شهيد ثورة لم تتم ، بل اندفعت في حركة هائلة الى امام طوال سنوات كاملة ، تحتضنها وتتبناها الجماهير العربية الساحقة ، ثم انهـارت بالسرعة التي صعدت بها · فكانت فريدة في تقدمها فريدة قي سقوطها · ولعل الدور الذي لعبته الجماهير فيها كان من أروع الادوار الذي تدفع الروح القومية المتأججة جماهير أمة اليه ، رغم انها لعبته وهي محرومة ، رسميا وعمليا ، من الوسائط الضرورية لانجاحه ، وقامت بـه ، في الغالب ، ضد ارادة مـن كانت تضع ثقلهـا وراءه ·

بسقوط **عبد الناصر** بدأت مرحلة تاريخية كاملة تتهاوى · لقد جاء الرجل وحركته استجابة لتطلع شعبي واسع ، وكان موته بالشكل الذي اتخذته ، وفي الظروف التي حدث بها ، اشارة الى فشل مخططه وسياساته من جهة ، ودليلا على ان التحديث لا يجدي ، اذا ما اقتصر على جهاز الدولة لوحده ، لان تدمير هذه الجوانب الحديثة فيه ، سيرجع بالمجتمع الى حالـة مـن الشلـل العـام ، وسيصيب الارادة الاجتماعية بالعجز · كما ان هيمنة فئة اخـرى علـى جهاز الدولة المحدث ، سيمكنها من استخدامه ضد المجتمع ، لغير الغاية التي حـدث من اجلها · وفي هذه الحالة سيحدث اختلال خطير في التوازن الاجتماعـي والسياسي برمته ، وستتحول أرض المعركة الى داخل كل مجتـمع ، بـدل ان تكـون ضـد خصومـه ·

Digitized by Birzeit University Library

١٠ ـ آلت تجربة التوحيد العربية الى نهايتها ، رغم توسل سبل مختلفة الى تحقيقها، وتجريب أدوات متباينة الطابع السياسي والاجتماعي في الوصول اليها · بهذه النهاية المأساوية ضاعت من العرب فرصة تاريخية نادرة لاختراق جدار التأخر والتبعية والتجزئة القومية ، ولاضفاء طابع ديمقراطي وثوري على حاضرهم ومستقبلهم · فما الذي حدث على الجانب الآخر ، جانب القوى المعادية للوحدة داخل الوطن العربي ؟

١١ ـ بعد مرحلة من المصاعب ، واكبت النهوض الجماهيري العربي ، وصعود « المدرسة الجديدة » ، آنذاك ، في السياسة العربية ، شرعت القوى التقليدية تحس بالانفراج · لقد كان تقدم خصومها تراجعا لها ، وها قد حانت الفرصة كي يصبح تراجع خصومها تقدما لها · وسيحين الوقت ، في مرحلة لاحقة ، للانتهاء من هؤلاء الخصوم ، لتقوم في وطن العرب، ايضا ، « مصالحة تاريخية » بين قوى كانت بالامس القريب ، مختلفة متصارعة ، وقربتها من بعضها ، فيما بعد ، تطورات حدثت هنا ، وتراجعات حدثت هناك ·

كان خطر الوحدة ، والطابع الداخلي الذي ارتداه الانقسام العربي العام، وافتقاد الانظمة التقليدية لاي دعم شعبي ، تجربة لم تنسها هذه الانظمة · ان لم نقل انها لا تزال تعيش تحت وطأة كابوسها ، حتى يومنا هذا · فقد وجدت نفسها منخورة في الداخل ، مهددة من الخارج · وكي تجابه هذا التحدي الخطير ، اعتمدت على الدعم الامبريالي وعلى القوى التي يؤنبها التطور والاندماج الاجتماعيين ، وعلى الصهاينة ، ايضا ، كحلفاء غير مباشرين · واذا كانت قد اتخذت في السابق قراراتها على اساس الدفاع عن الوضع الراهن ، دون الدخول في مخاطر التجدد والتحديث ، فانها ، في الظروف الجديدة ، ظروف هزيمة الحركة الشعبية القومية وانهيار تجربة تحديث الدولة وفق برامج وخطط واساليب الفئات البينية، شرعت تستغل الفرصة المتاحة، بعد ان وصلت الى قرار في التحديث يقدم للدولة حدا اعلى من الاستقلالية عن المؤثرات الشعبية ، ويضعها فوق المجتمع ، ليس كقوة طبقية وحسب ، بل وكحقيقة سياسية ايضا · ذلك كان ردها على انجراف الجماهير وراء نداءات وطموحات الوحدة ، طوال عقد ونصف ، فقد قررت حرمانها من اي دور سياسي مستقل عن الدولة ، وقررت بناء الدولة وتحديثها ، دون المجتمع وضده ، كي لا تصل الجماهير ، في مقبل الايام ، الى لعب دور ما يهدد الدولة وينسف اساسها الشعبي · أما ردها على حصارها العربي ، فتجلى في انتقالها الى موقع

Digitized by Birzeit University Library

المحاصر ، وفي سعيها بكل السبل لاجراء تغيير جذري في طابع الادوار السياسية للدول العربية يستهدف ، بالاساس ، دور ووزن مصر العربي ، واستغلال موقعها الجديد كي تفرض على الخارجين من تجربة الثورة المجهضة تصوراتها ، ومصالحها ، ونظرتها الى عالم السياسة والمجتمع .

١٢ ـ وتجلى التحديث اساسا في أمور ثلاثة :

ا ـ بناء جهاز الدولة الاداري .

ب ـ بناء جهاز الدولة العسكري .

ج ـ بناء جهاز الدولة القمعي ـ الامني .

ولكي يكون وجود الدولة شاملا ، فقد شرع في اقامة بنية تحتية، فاقيمت، او هي في سبيلها الى القيام ، شبكة واسعة من الطرق البرية ، وبنيت المطارات والمرافيء ومشاريع السكن ، وربط الاقتصاد ، ربطا محكما ، بالدولة، حتى صار « القطاع العام » في الدول التقلدية اكبر منه كما ونوعا في « البلدان التقدمية » . ثم اغرقت البلدان المعنية بسلع الاستهلاك المستوردة ، ونظم جهاز التعليم ضمن اطار ايديولوجية شديدة المحافظة والتقليدية . وسمح للبلدان الامبريالية بنهب ، غير محدود، للموارد المالية وللثروات الطبيعية التي تمتلكها هذه البلدان . كما ازيلت بعض العقبات والوجوه التي كانت تحول دون فهم « اللعبة » الاقتصادية والمالية العالمية ، وتلعب دورا معيقا لجريان عملية بناء الدولة وفق مقتضيات ومتطلبات الوضع الدولي والمحلي .

١٣ ـ وبما ان « الدول التقدمية » لم تنجح ، في اي يوم ، في خلق موارد داخلية للتراكم الرأسمالي ، ولم تفلح في تطوير اقتصادياتها بعيدا عن متطلبات وشروط السوق الرأسمالية الدولية ، فانها بقيت معتمدة على المساعدات الخارجية في « تنمية » اقتصادها ، مبقية اقتصادها الداخلي كمورد لتغذية الفئات الحاكمة الجديدة وارضاء شرائحها المتزايدة . وهذا ما جعلها تتهالك على الموارد والمساعدات المالية « للبدان التقليدية » ، التي قدمتها لها بسخاء محسوب ، جوهره تقديم « الدعم » بقدر ما يحصل التفكك والتراجع داخل هذه البلدان. فنشأ عن وضع كهذا تطور متقارب للبلدان المختلفة. الذي كان تقليديا صار يسعى وراء الحداثة ، والذي كان يحاول التحديث ، وفق تطلعات نضالية، تخلى عن البرنامج النضالي من اجل الحصول على الرمق المالي الذي يبقى على حياته . وشيئا فشيئا اخذ نمط جديد من الدولة يفرد نفسه فوق رقعة

Digitized by Birzeit University Library

السياسة العربية ، رغم أختلاف الاسماء والمسميات ، وها هـو يتحول ، تحت سمعنا وبصرنا ، الى نمط غالب ، لا يقبل الاستثناءات ولا يرتاح « للشذوذ » .

ان الشرارة التي اشعلت النار في الهشيم الشعبي ، بعد حـرب فلسطين الاولى ، لا يجوز ان تنطلق الآن . ومسؤولية اطفائها مسؤوليـة عربية عامة . ولا سبيل الى ذلك الا :

ا ـ بضبط الحركات والقوى القادرة على التحرك ضد الدولة .

ب ـ بتمييع الحركة الشعبية ، وتفتيتها ، الى درجة لا تستطيع معها حتى ان تقوم بأي فعل سياسي ، مهما كان قليل الشأن .

واذا كانت المعارك مع الامبريالية هي التي اثارت الحس الوطني العـام لقوى الدولة المنظمة ، وكان ضعف الدولة هو الذي مكن الحركـة الشعبيـة من البروز الى واجهة المسرح في السابق ، فان ضبط القوى يكون باطفـاء نـار التناقض مع الامبريالية ، عن طريق اطفاء لهب الصراع العربـي ـ الصهيوني اولا ، والظهور بمظهر المستقل عن الامبريالية وسوقها ثانيا ، والقضاء علـى نقاط الضعف البنيوي للدولة ثالثا ، بحيث يخلق جو شعبي مسكن يكفي لخنق الحركات والقوى القادرة ، ان هي اقدمت على فعل ما ، وينشأ احساس بالعجز لدى الحركة الشعبية ، ينهي دورها كمحرض لهذه القوى على قلـب الاوضاع القائمة . ولا سبيل الى ذلك ، في مرحلة الانتقال الراهنة ، الا بنظام أمن عربي يميل بموازين القوى العربية القائمة ضد اي تحرك معـاد للوضـع الراهـن ، ويجعل ميزان القوى الداخلي لاي قطر مسألة عربية عامة ، فلا يحسم بعد الان على ضوء الوضع الداخلي لهذا القطر او ذاك ، بل على ضوء الميـزان العربي العام للقوى . في وضع كهذا قد تنشأ حاجة للتغيير في هذا البلـد او سواه لكنه سيكون التغيير المطلوب رسميا ، وليس التغيير المطلوب شعبيا .

١٤ ـ « الوحدة العربية » هي ، اذن ، في الوضع الجديـد ، مستحيلـة الحدوث ، لان الوحدة العربية دون الجماهيـر مستحيلـة الحـدوث . او لان الوحدة العربية لن تحدث دون نظام يلغي الوضـع العربـي الراهـن بمساعدة الجماهير . والعلاقات الراهنة الرسمية لا ترى اي دور للجماهير ، ولا تـرى اي مبرر للتغيير ، واذا غيرت ، فهي ستغير هذا النظام او ذاك ، ولـن تغير الدول والحدود والكيانات والتاريخ . انها ، بالاحرى ، انظمة ترسيخ وتكريس

Digitized by Birzeit University Library

القائم، وفق معطيات وأسس اتاحتها الضربة الشديدة التي اودت بنظام التغيير الوحيد الذي اقامه الشعب المصري بزعامة **عبد الناصر** ، والضربات الاشد التي نزلت بالحركة الشعبية ٠

١٥ ـ غير ان الوضع العربي الراهن يتسم بقدر من «التضامن» لم يعرفه وضع من قبل ٠ فقد انتهت النزاعات الاستعماريه على الاقطار العربية ، بعد ان انفردت الولايات المتحدة الاميركية بمركز الزعامة والتدبير لشؤون الوطن العربي دوليا ٠ هذا الانفراد جعل من التناقضات بين اجنحه السلطات الحاكمه ، بعد ان ادت حدتها في الخمسينات الى حدوث انقلابات وتغيرات كثيرة لصالح هذه القوة الاستعمارية او تلك ٠ ولم تعد الانظمة «تتسابق» وراء اهداف الحركات الشعبية ، فتوحدت صفوفها ضد « الضغط من تحت » ، وصارت الجماهير اما ملحقة بنظامها ، او في حالة من التفكك والذهول ، او تقوم بانتفاضات يواجهها ثقل الوضع العربي العام موحدا ٠٠٠ ويهمهما ٠ وادت عملية التطور المتقارب للانظمة « المختلفة » الى تطور آليات في الحكم وأساليب للعمل متشابهة او متقاربة ، تقوم على ارضية سياسية واقتصادية متقاربة او متشابهة ٠ وليس «التضامن العربي» ـ ويصورونه لنا الان بديلا عن الوحدة العربية او مرحلة اولى لها ـ سوى الاجراءات النابعة عن هذا التطور المتشابه او المتقارب ٠

١٦ ـ هذا « التحديث » للدولة العربية لم يكن تحديثا بالمعنى العلمي للمصطلح ٠ فالدولة العربية لم تحرز اي نجاح يذكر في حل اشكالية التأخر الاجتماعي والاقتصادي ، بل خلقت شروطا جديدة لتأخر ينتج نفسه ويتعمق باستمرار ٠ ولم تستطع اقامة نظام يتطابق مع رغبات وتطلعات الجماهير٠ ولم تنتج ثقافة عصرية ٠ ولم تستطع حتى ان تحد من مشكلة الامية المتفاقمة ٠ ولم تفك الارتباطات الموروثة عن عهد الاستعمار مع العالم، بل أعادت انتاج علاقات التبعية للسوق الامبريالية وللسياسة الرأسمالية الدولية على صعيد ارقى من صعيدها السابق ٠ وزاد تكيسها على نفسها وحرصها على « سيادتها الوطنية »٠ وفشلت في الحفاظ على مستوى النشاطات التقليدية الانتاجية التي كان المجتمع يقوم بها ، فانهارت الزراعة ، وتحول الوطن العربي الى مستورد للقمة عيشه من البلدان الرأسمالية ٠ ولم تستطع حتى ان تحافظ على مواردها النقدية ، التي تخلت عن قسم كبير منها للاقتصاد الرأسمالي الدولي ٠ واذا كانت قد اقامت اسسا اولية ، وبدائية في حالات كثيرة ، لبنية تحتية ، فانها

Digitized by Birzeit University Library

قدمت ، في سبيل ذلك ، تنازلات سياسية واقتصادية يصعب تصديقها ، وانفقت على هذه البنية التحتية الهزيلة ما كان كفيلا ببدء نهضة اقتصادية فعلية .

في وضع كهذا الوضع البائس ، لم تنتج الدولة اساسا جديدا لتدهور المجتمع وحسب ، وانما انتجت اسس تدهورها نفسها . فالدولة العصرية لا تبنى الا في مجتمع عصري . ولم يعرف التاريخ الا حالات نادرة بنيت فيها دولة حديثة في مجتمع متهاو ومتدهور . ان المجتمع ، وهو أساس بناء الدولة ، لم يتقدم ، ولهذا فان « الدولة العربية الحديثة » لم تكن دولة تقدم ، وانما كانت قشرة « معصرنة » فوق مستنقع آسن . وهذا زاد في انفصالها عن المجتمع ، وجعل حياتها تختلف عن حياته ، وشروط وجودها تتعارض مع شروط وجوده ، حتى صارت « عصرنتها » مقياسا لتأخره ، وصارتقدمه رهنا بانهاء شكلها الراهن او باضعافه . انحطاط المجتمع العربي المتجدد يجر معه الدولة ، المتسببة بوعي فيتعميق هذا الانحطاط، الى هاوية العجز امام العدو الخارجي، والافلاس أمام المهمات التاريخية والواقعية لتطور عربي متصاعد ، فلا يبقى لها الا ان تحتجز احتمالات وامكانات التغيير ، وتتحول الى قوة قمع داخلي منظم، تضع قوى عالمية كثيرة خبراتها تحت تصرفها . اليس ملفتا للنظر ان العرب يشترون بمليارات الدولارات ، سنويا ، أسلحة ، يجندون مئات آلاف الناس لاستعمالها ، ثم يقفون تحت درك الهزيمة ، تتلاعب بهم قوة ملايين قليلة من الصهاينة ، وتسحقهم كلما خطر لها ان تسحقهم ؟! الا يلفت النظر ، ايضا ، ان العرب ، بعد احد عشر عاما على هزيمة حزيران الكارثية ، وقفوا يتفرجون طوال سبعة أيام على حرب جنوب لبنان ، دون ان يجرؤ اي واحد من حكامهم على اطلاق رصاصة واحدة ؟.. اليس معيبا وفاضحا ان مفهوم الامن العربي لم يعد يعني حماية وطن العرب والدفاع عنه ، ناهيك عن تحريره ، بل هو يعني تعاون مخابرات الانظمة العربية ضد احتمالات وامكانات الجماهير الشعبية العربية ، وما تبقى لها من بؤر معارضة ؟.

١٧ ـ لقد تقلصت وظيفة الدولة ، وصارت تعني الامن الداخلي . وبالتبعية تقلص دور اجهزتها ، وانحصر في المخابرات . والمخابرات هي الجهاز الوحيد « الحديث » في الدولة العربية الراهنة . انه يمارس القمع بمعنييه : بالمعنى الواسع الذي يعني كتم انفاس المجتمع والحركات الشعبية ، والحيلولة دون تبلورها في وعي مستقل نسبيا ، عن الدولة ، وفي تنظيم يتكافأ مع هذا الوعي ، ويتبلور في قوى سياسية منظمة ، قادرة على الدفاع عن

Digitized by Birzeit University Library

المجتمع وطبقاته في رجه مصطهديها ، وفي رأسها الدولة . وبالمعنى الضيق الذي يعني القتل والضرب والسجن والتعذيب والارهاب . ولان المخابرات هي جهاز الدولة الوحيد الحديث ، فقد اصبحت روح الدولة وكلمتها الاولى والاخيرة في تعاملها مع المجتمع ، انها جهاز فوق الاجهزة ، منه يستمدون القوة ، وبه يديمون سلطانهم الذي يشبه سلطان قوة اجنبية غازية ومحتلة لارض الوطن ، اكثر مما يشبه سلطان سلطة وطنية يربطها بالمجتمع رابط الانتماء الواحد .

« الامن العربي لا يتجزأ » ! هذا هو الشعار الذي ترفعه دول وطن كل شيء فيه قابل للتجزيء والتمزيق ، من الاقتصاد الى السياسة ، ومن الثقافة الى الشعور الواحد المشترك . فهل يكون تضامن مثل هذه الدول الا النقيض الجذري للوحدة ، وللعمل لها ، والا النقيض الجذري للتحرير ، والنقيض الجذري للتقدم والديمقراطية ، مهما كثرت الاكاذيب والتبجحات . وهل تكون وحدة « الامن العربي » قادرة على توفير « امن الوطن العربي » ، بالمعنى الفعلي للكلمة . ان هي الواقع الذي نعيشه اجابات مفحمة على هذه الاسئلة ، وفيه ايضا ، الاجابات على سواها من الاسئلة . فكيف ، مثلا ، نفهم عدم قيام علاقات طبيعية بين اي قطرين عربيين متجاورين . وكيف نفهم « الجو » العربي الراهن ، الذي تصل فيه التباينات في التاكتيك بين الاقطار المتجاورة والمتماثلة الى حد حشد الجيوش ، واغلاق الحدود ، واعلان الحرب ، بل كيف نفهم الحروب والصراعات ، حتى لو كانت الخلافات العربية غير تاكتيكية ؟! ان الواقع لا يقدم اي تبرير لما يحدث ، لكنه يقدم تفسيرا مقنعا له ، فالدول القطرية يجب ان تتكرس ، وان يرتفع كيانها الراهن الى مستوى القداسة بالنسبة للجماهير العربية ، بحيث يقوم في داخل هذه الجماهير شرخ من العداوات والحروب والثارات ، فتقلع عن النظر الى نفسها كجماهير من امة واحدة ، وتقلع عن التطلع الى حل قضاياها على مستوى قومي عام ، وتتخلى عن الطابع الديمقراطي القومي لنضالها ، فتغرق في مستنقع الاقليمية الضيقة ، ويسهل بالتالي خنقها ، مهما بلغت حدة نضالاتها المقبلة ضد الامبريالية والرجعية ، بينما تلعب الانظمة والدول لعبة « الامن العربي الذي لا يتجزأ » في كل ساعة ودقيقة .

١٨ ـ تتجمع الظواهر والتطورات التي وضعنا يدنا عليها ، لتشكل حالة خاصة من حالات الثورة المضادة على المستويين القومي والقطري. **ان الثورة المضادة ، كما يقول ماركس ، تنجز جزءا من مهمات الثورة المجهضة ، ولو**

Digitized by Birzeit University Library

بشكل مغلوط · اما ثورتنا المضادة العربية فتعمل على الغاء الثورة كاحتمال تاريخي ، ومسح نتائج الثورة الناقصة الماضية في الواقع العربي القائم · فهي ثورة مقلوبة ، ترجع بالتاريخ الحاضر الى وراء ، بدل ان تحل مهمات الحاضر في ضوء حركتها المستقبلية ، وفق مصالح الطبقات والفئات القائدة لها ، وهي رجعية · وبما ان العودة الى الماضي مستحيلة ، فانها تخلق بديلا للحاضر، الماضي خير منه· ووسيلتها الى ذلك بناء الطابع القمعي لدولةقطرية مغلقة يفتح-امامها الباب لاتخاذ القرار المستقبلي الذي تريد ، ويغلقه امام الجماهير وقواها الطليعية الوليدة · هذه الدولة القمعية ليست سوى طفيلي عام ـ وليست رأسماليا عاما بالمعنى الايجابي الذي عناه **انجلز** ـ يمتص دم القوى المنتجة في المجتمع ، ويضع يده على الانتاج الاجتماعي وعلى فائض القيمة الاجتماعي ، باسم معاركه المزعومة وطابعه الوطني العام ، ليوزعهما على طبقة الدولة ، تلك التي تملك وسائل الانتاج وتتصرف باسم المجتمع ، فتنهب « اقطارها » على مرحلتين : مرة كدولة (دولة تنهب المجتمع) واخرى كطبقة مالكة للسلطة السياسية ومتصرفة بوسائل الانتاج (طبقة تنهب الدولة)· هذه « الطبقة » ضمن هذه « الدولة » لا تمتلك اي حس قومي ، الا حين لا تكفيها مواردها القطرية لارضاء نهمها وتعزيز سلطتها · لكنها تبقى ، في كل الاحوال ، مشدودة الى اقطارها ، التي تمثل مصدر فائض القيمة الاساسي بالنسبة لها ، والمورد « الوطني » المضمون لنهبها · ولهذا فان سلوكها معاد للقومية ، بمعناها الجماهيري والثوري ، اي بالمعنى الذي يلغي الكيانات ويمسح الحدود ويرفض المصالح الضيقة ، لكنها مؤمنة بها بالمعنى الاخر ، الذي يكفل « الامن » على الصعيد القومي (كبت الحركة الشعبية) ، ويجعل لها من موارد غيرها من الاقطار جعالة تعزز به وضعها الداخلي · القطرية هي ، اذن ، قومية هذه الطبقة، التي تعرف ان سياستها ومصالحها لا يحيطان بدعم جماهيري واسع ، فتستند الى الاقليات ما قبل المجتمعية ، وتفتك بوحدة المجتمع ، بوصفها خطرا على وجودها، فتعود بالوضع العربي الى ذلك الخيار الذي مارسته الرجعية خلال الخمسينات والستينات ، ابان مرحلة النهوض الشعبي القومي والثوري ، لتكون هذه الارضية الاساس المشترك الذي يجمعها مع سواها من الانظمة (مع اختلاف التسميات الذاتية)، والجدار الذي تستند اليه في تكريس أوضاعها كثورة مضادة همها العودة بالوضع العربي الى نقطة التجمد السياسي ، حيث تصبح حركته الى الامام شديدة الصعوبة ، وقريبة من الاستحالة · ان « الحس القومي » لهذه الدولة يتجه الى القوى القادرة على حقنها بالقدرات المالية ، اي الى دول وامارات وطوائف وعشائر

Digitized by Birzeit University Library

الخليج وشبه الجزيرة، وليس الى القوى القادرة على حقنها بالطاقات الثورية والتغييرية ، أي الى الجماهير العريضة · وبما ان ملاك المال هم اكثر العرب جهلا وتخلفا وبدائية ، فان الطابع الجاهل والمتخلف والبدائي للدولة الذي يتعزز ويبرز ·

١٩ ـ اذا كان التقدم على طريق الوحدة قد حدث ، في الخمسينات ، على ساحة النضال العام ضد الامبريالية ، وكانت الجماهير قد فهمت نضالها ضد الوجود والنفوذ الخارجي ، الغربي ، في وطن العرب بوصفه نضالا ضد حالة الوطن العربي انذاك ، المتسمة بالتجزئة والتأخر والتبعية والاحتلال الصهيوني المباشر لفلسطين ، فان موجة الثورة المضادة قد عرفت خطين سياسيين متعارضين شكلا ، أفضيا ، من حيث الجوهر ، الى النتيجة نفسها · أحد هذين الخطين كان « اشتراكية » حجمت الحركة الشعبية، وصادرت ارادة الجماهير ، وتوهمت انها تمثل التاريخ ، وتجسده ارادته الحرة، ففتت الحركة الجماهيرية باسم « جذرية اجتماعية كاذبة » ، وسمحت بتبلور قوى بداخلها قادتها من طور « الخلاف التاكتيكي » مع الحركة الشعبية الوحدوية ، الى طور « التعارض الجذري » ، الحاصل الان مع اي تطلع شعبي وحدوي · هذا الخط كان يجب ان يمارس سياسة تعزز الخط الشعبي الوحدوي العام ، ولكنه مارس سياسة معاكسة ، وحين انعزل شعبيا ، وجد نفسه لا يقوى على الصمود أمام القوى التي نماها وقواها للحفاظ على نفسه · فلا هو انجلز « الاشتراكية » ، ولا حقق اي خرق حقيقي تجاه الامبريالية في المنطقة ·

أما الخط الثاني فكان خط التقليدية العربية المحدثة · وهذه تنغرس اصولها التاريخية في العداء لخط التوحيد القومي ولطامح الجماهير · لقد اراد الخط الاول بناء الاشتراكية بعيدا عن التناقض الاساسي المتحكم بالمنطقة: تناقض الامة مع الامبريالية والصهيونية المعسكرة في فلسطين · وبالتالي ، فقط ، فهم « نضاله من أجل الاشتراكية » كقفزة هائلة من فوق المهمات المركزية لثورة ديمقراطية عربية ، جوهرها دحر الامبريالية بالتوحيد القومي · لكبر القفزة وجد نفسه يدق عنقه بيديه · وهذا منطقي ومنتظر· فالثورة الاشتراكية لا تلغي الثورة الديمقراطية، وانما هي تحققها على صعيد اعلى وارقى· هنا، في « التجربة الاشتراكية » التعيسة لم تنجز ثورة اشتراكية ، وثار الطابع القومي للثورة لنفسه بسرعة لا تكاد تصدق · بل ان الامر تجاوز ذلك : ان حل المسالة الزراعية ، مسالة الفلاحين ، هو جزء رئيسي من الثورة الديمقراطية ،

Digitized by Birzeit University Library

كما ان بناء الدولة القومية هو وجهها الثاني · فكيف حلت المسألة الزراعية ، في ظـل « الاشتراكية » بالكلام والمزاعم ؟

١ ـ اجرى اصلاح زراعي لم ينجح في توزيع الارض علـى الفلاحـين ، حتـى الان ·

٢ ـ قام هذا الاصلاح على تفتيت الارض الى ملكيات صغيرة ، دون ان يبذل اي جهـد لتجميعهـا ·

٣ ـ حدد الاصلاح سقفا للملكية دون ان يحدد سقفا للاستثمار الزراعي، فنشأت طبقة من المستثمرين الزراعيين التي تتصرف بأراضي الفلاحـين ، اذا ارادت ، ونشأت طبقة من الفلاحين المتوسطين والاغنياء (كـولاك) ، كـأن ابناؤها يقدمون « للتجربة الاشتراكية » كوادرها القيادية ، وضـباط جيشها ، ومخابراتها ، وطبقتها الجديدة ·

٤ ـ بالمقابل صودر دور الفلاحين السياسي ، وتحول حلفهم التاريخـي مع الطبقة العاملة ـ الشرط الاول لبناء الاشتراكية ـ الى الغاء كامل لاي دور مستقل لهم في الحياة السياسية · وبما ان الطبقة العاملة قد حرمت ، بدورها ، مـن اي ممارسة سياسية ثورية ، فقد تحول النظام السياسي الـى دولة تطلق تبجحات اشتراكية ، دون ان تستند الى اي تحالف طبقي ثوري ، قادر علـى تنمية البلاد ، وانجاح التجربة ، والصمود في وجـه هجمـات الامبرياليـة ، وحسم الوضع داخل النظام نفسـه لصالح الجماهيـر الثوريـة والفقيـرة ، والسير بالثورة الديمقراطية نحو افقهـا الاشتراكي ، ولا نقول حـل مهمات الثورة الديمقراطية مـن منظـور افقهـا الاشتراكي ، كمـا يجب ان يحدث · فبقيت « القيادة » معلقة في الهواء ، فلا هي تحظى بدعم الجماهير ، ولا هـي قادرة على التقدم · فانهارت من الداخل قبل ان تفككها ضربة العدو الخـارجي، التي اظهرت ، في كل الاحوال ، مدى تهافتها الداخلي ، وكشفت مقدرتها على قيادة نضال ديمقراطي لامة مجزأة ومتأخرة الى الاشتراكية ، هذا الخط فشل لانه لم يحل المهمات المركزية للثورة الديمقراطية · فلا هو حل المسالة الزراعية حلا تقدميا ، ولا هو بنى الدولة القومية ، او وضع حجر الاساس لبنائها ، او حتى سار على طريق وضعها · فوجد نفسه عاجزا عن انجاز اية مهـمات : تاريخية كانت ام واقعية ، ومات غير مأسوف على شبابه · لكنه كان قد انجز جـزءا مـن مهمات الثـورة المضادة ، وهو لا يـدري : تفتيت الحركة الشعبية الوحدوية والسير وراء مقولات بناء الاشتراكية في اطار ثورة ديمقراطيـة

Digitized by Birzeit University Library

مقلوبة ، جوهرها العداء الواقعي للوحدة · الذين ورثوا هذه الدولة لم يغيروا كثيرا في جوهر خطها السياسي ، وانما وضعوا اساسا طبقيا جديدا للدولة ، كان قد نما وكبر في حضن « النظام الاشتراكي » ، هو الاساس الذي وصفناه في الصفحات السابقة· ولان هؤلاء اسقطوا مزاعمهم الاشتراكية وتخلوا عنها، فقد ظهرت «الثورة الديمقراطية المقلوبة والمعاكسة» على حقيقتها، اي بوصفها ثورة مضادة نقية ، دون رتوش او ماكياج · فبدا وكأن نظاما قد الغى نظاما اخر · والاحرى ان يقال: ان النظام الجديد قد دفع بلعبة النظام القديم الى الوضوح، وازال عنها الايديولوجيا الاشتراكية الكاذبة ·

المهم ان الخطين قد التقيا : الخط الاول الذي انطلق من محاولة ايجاد حل لمشاكل الفئات البينية بالتحالف مع الفلاحين، والخط الثاني الذي استخدم موارده النفطية والمالية الكبيرة لتغيير وظيفة الدولة في المجتمع التقليدي، دون مساس بالمسألة الفلاحية او العمالية ، اي بتناغم ما بين الفئات القائدة للدولة والفئات البينية · وسبب اللقاء هو ان الخطين يقيمان ، الان ، هذا التناغم بين الفئات القائدة للدولة والفئات البينية ، وخاصة منها الطبقة الوسطى · واذا كان « الخط التقدمي » لا زال يعاني من متاعب مع الفلاحين موروثة من علاقته الماضية بهم، فانه في سبيل توظيف هذه العلاقة لصالح حلفه الجديد،ولتعزيزه·

٢٠ ـ يحاول النظام الجديد ان يوحي للجماهير بأن الامبريالية لم تعد سوى مسألة من مسائل العلاقات الدولية ، وليست متراكبة مع البنية الداخلية للمجتمع العربي · وبهذا المعنى فانه يحصر « نضاله ضد الامبريالية » في ايجاد شكل من العلاقات الخارجية معها ، « يحافظ على المصالح العربية » · ويدعي انه في سبيل العمل لاقامة هذه العلاقات المقبولة والمرضية عربيا ، وان نجاحه في ذلك سيكون اكبر انتصار للامة العربية ، الانتصار الذي عجزت مرحلة الخمسينات عن احرازه ·

من يتفحص الوضع العربي ، سيجد ان هذا الكلام ليس سوى من الاوهام والاكاذيب ، فالامبريالية ليست عالما خارجيا بالنسبة للوطن العربي ، وانما هي ستوضع في داخله · و « تنظيم » العلاقة معها لا يتم ، بالتالي ، باجراءات تمس السياسة الخارجية ، وانما أساسه الداخلي الذي يجد تعبيره في الخارجي · من يريد ان ينزل ضربة حقيقية بالامبريالية والصهيونية يجب ان يبدأ من داخل اقطاره · ولكن كيف تستطيع قيادات ، علمتها تجاربها ان نسف مرتكزات الامبريالية الداخلية سيؤدي الى نسفها هي نفسها ، ان تنجز مهمة

Digitized by Birzeit University Library

كهذه . وكيف تنسف الدول الاطار العام الذي تحتمي به ، وتحدث نفسها بداخله ، وتتقوقع وتتشرنق فيه، وهو التجزئة الامبريالية للوطن العربي، اذا كانت تريد سلامها مع الامبريالية ؟ . ثم ان «حفظ المصالح العربية» ضد الامبريالية لا يمكن ان يتم الا في مرحلة نهوض ثوري وحدوي واشتراكي جماهيري ، وهذا ليس واقع الحال الان . فكيف تفهم الانظمة العلاقه مع الامبريالية بالفعل لا بالقول ؟ . لنترك الاكاذيب عن « المتغيرات الدولية » التي يراد منها ايهام الجماهير بان الامبريالية القديمة ماتت ، لان الوطن العربي « حر ومستقل » ، وان الامبريالية الجديدة ليست سوى علاقات دولية يمكن تنظيمها بما يحفظ المصالح العربية . ولنتأمل الوضع الفعلي كما هو :

١ ـ تعرف الانظمة ، خير المعرفة ، ان اي عداء تناحري مع الامبريالية سيفتح الباب لنهوض شعبي وحدوي جديد . ولهذا فهي تعمل لكسر حدة هذا التناقض ، عن طريق تحويله الى شكل من اشكال العلاقات الدبلوماسية الخارجية .

٢ ـ لكنها تعرف ، أيضا، ان الامبريالية هي نسيج من العلاقات الداخلية العربية، ولهذا فهي تصوغ وضعها الداخلي وفق متطلبات المصالح الامبريالية. فهي تكرس الاقليمية والتأخر ، وتقمع الحركات الشعبية ، وتعلن استعدادها للقبول بوجود اسرائيل في المنطقة ، وبما يترتب عليه من علاقات ومصالح وأمن ، وترتد عن أي اجراء قد يثير تحفظات امبريالية ضده .

٣ ـ وهي تأمل ان تستطيع اقامة نوع من التأثير المتبادل بين وضعها الداخلي وعلاقاتها الخارجية بالامبريالية ، جوهره هذا الوضع الداخلي بالذات . فالامبريالية ، في رأيها ، مهتمة بالحفاظ على هذا الوضع ، وستقبل، في يوم ما ، باطار من العلاقات يحافظ عليه ويعززه ، بحيث يزول التناقض العدائي بين الوضع العربي الداخلي واطاره الامبريالي الخارجي ، ويتبادل كل منهما التأثير في الاخر ، بما يريحه ويحافظ على استمراريته . وبما ان النظام العربي قد خلق المرتكزات الداخلية التي يراها ضرورية لهذه العلاقات الخارجية مع الامبريالية ، فانه ينصرف ، الان ، باسم التسوية ، الى التفاوض حول هذه العلاقات معمقا ، في كل خطوة من المفاوضات ، الارضية الداخلية التي يعتقد ان الامبريالية ستقبل بها ، ثمنا لاقامة نظام العلاقات الجديد. هذه العملية تحدث منذ سنوات الانكفاء التي أعقبت هزيمة الخامس من حزيران ،

Digitized by Birzeit University Library

وصارت سياسة رسمية عربية ، بعد التبدلات التي حدثت في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ على الصعيد العربي ، وهي ، الان ، امر واقع ، وليست مسالة مستقبلية ، كما يظن البعض وتوحي الانظمة .

هكذا تم حتى الان : تحجيم الحركة الشعبية الوحدوية ، ضرب القوى المنظمة التي كانت على تماس ايجابي مع هذه الحركة ، اقامة نظام عربي هو نظام للثورة المضادة على الصعيدين القطري والقومي يتبادل الدعم والمساندة على المستويين الامني والاقتصادي ، ايجاد علاقة متبادلة بين الوضع العربي والوجود الامبريالي في المنطقة ، فيرسخ الوضع العربي الداخلي الوجود الامبريالي ، ويكرس الوجود الامبريالي الوضع العربي الداخلي في عملية صاعدة صارت الامر الواقع الاساسي الذي نعيشه .

٢١ ـ في الخمسينات والستينات قاد النضال الوحدوي الشعبي الى ارساء ملامح اولية لتقدم عربي . وجاءت اول وحدة عربية بأول تبدل جذري في علاقات الطبقات داخل المجتمع العربي منذ اكثر من الف سنة . فماذا فعلت الاقليمية بشكليها : « الاشتراكي » والتقليدي ؟. لقد اطاحت بالوحدة والاشتراكية ، وبما هو اهم في المرحلة الحالية ، بالعلاقة الصراعية مع الامبريالية ، فادخلت الوطن العربي في مرحلة من النوم الشتوي السياسي الذي يشبه الموت .

٢٢ ـ ما العمل في وضع كهذا ؟. ان الاجابة على هذا السؤال تتجاوز مقدرات اي فرد ، لانها ليست ذات طبيعة نظرية ، كما يظن للوهلة الاولى ، وانما هي ذات طبيعة عملية بالاساس . اذ من السهل ان ندعو الى تجديد النضال الشعبي الوحدوي ، ولكن السؤال الذي سيجابهنا هو : كيف نجدده في ظروف كهذه . واذا كنا سنقدم تصورا اوليا مبسطا ، فاننا نؤكد ان طابعه نظري وليس عمليا ، وهذا هو عيبه الاساسي . مع التأكيد على اننا لا ننكر دور النظرية في كشف طريق الجانب العملي من الممارسة ، واضاءته .

ثمة وجهات نظر متباينة وكثيرة تدور حول اجابة كهذه : هناك من يقول بضرورة القيام بنقد نظري شامل للحياة العربية ، يكون هدفه بناء اجيال جديدة من المثقفين الثوريين المستنيرين الذين يستطيعون حرث الارض الاجتماعية قبل زرعها بالعمل الشعبي والنضال الجماهيري ان الدافع الاساسي للنهوض الثوري هو ، بالنسبة لهؤلاء ، وعي جديد يمتلكه المثقفون ،

Digitized by Birzeit University Library

الذين ينقلونه بدورهم الى الحركة الشعبية ، التي ستكون حركة جديدة بكل معاني الكلمة نتيجة لوعيها الثوري الجديد .

وهناك من يقول بأن الدافع هو اعادة احياء الحركة القومية ، بوصفها البوابة التي ستعبر منها الجماهير الى السياسة ، مجددا . هذه النظرة تركز، ايضا ، على نقد تجربة الماضي ، وتعتمد على تطوير الخبرات التي حصل عليها العرب من نضالهم السابق ، وتعميمها في قوانين جديدة لحركة ناهضة جديدة .

وهناك من يرى أن النضال القومي قد فشل ، وان الخرق الثوري يجب ان يحدث في أحد الاقطار ، الذي سيتحول الى منطلق ورأس جسر للنضال التقدمي والشعبي ، ويرى بعض اصحاب هذا الاتجاه ان اية وسيلة للسيطرة على رأس الجسر هذا مشروعة ، مثل الانقلاب العسكري ، وما اليه .

وهناك من لا زال يرى ان في الانظمة الحالية امكانات وقوى تقدمية ووطنية ، يمكن تطويرها ضد امكانات وقوى يمينية لصيقة بها . وان دوره هو التحكم بهذه العملية ، رغم انه ليس موجه الحركة السياسية والمسيطر عليها .

واذا كانت الاتجاهات الثلاثة الاولى تعاني من معضلة عملية ، فان الاتجاه الرابع قد تعرض لانهيار سياسي شبه تام ، مع انه لا يزال ماض في طريقه، يقدم التنازل بعد الآخر، وينتقل من تراجع الى تراجع، ظنا منه انه يدعم « ثورة مضطرة للقيام بتراجعات تاكتيكيه واسعه امام ميزان للقوى غير مناسب » ، وان مهمته هي تسهيل هذه التراجعات ، دون ان تفقد الثورة طابعها الاستراتيجي ، والعمل ، في مرحلة لاحقة ، على مساعدتها كي تسترد تاكتيكاتها الهجومية ، فيزول الخلل الظاهر في مسيرتها الحالية ، ونحن نرى ان اصحاب هذا التيار مخطؤون في تقويم المرحلة الراهنة ، كمرحلة ثورية ، ومخطؤون في اعتبار ما يحدث « تراجعات تاكتيكيه » ، ومخطؤون في تقويم طاقاتهم وقدراتهم ؛ فهم لم يعودوا قادرين على منع الانهيار او التحكم به ، وانما اصبحوا في طليعة القوى المنهارة . وقد بلغ انهيارهم حدا جعلهم يتنازلون عن استقلالهم الايديولوجي والتنظيمي، بموجب مواثيق رسمية وقعوها بمحض ارادتهم. ويفكي ان يلقي المرء نظرة سريعة على مواقفهم المتعارضة والمتناقضة بتعارض وتناقض الانظمة التي تحالفوا معها ، حتى يدرك مدى الانهيار الذي أصابهم والتبعية التي وقعوا بها .

Digitized by Birzeit University Library

وتختلف الاتجاهات الثلاثة الاولى عن هذا الاتجاه الاخير ، بوعيها الصحيح بأن مرحلة تاريخية جديدة تبرز في الواقع العربي الراهن ، على انقاض مرحلة سابقة ، مضت وانقضت . وان كان الاتجاهان الاولان لا يريان اولويه العمل الجماهيري الان ، بسبب ضعف امكاناته ، ويعتقدان ان هذه المرحلة الجديدة تتطلب وعيا جديدا ، يقتضي اكتسابه فترة نضالية ليست بالقصيرة ، فان الاتجاه الثالث يعتقد بامكانية احراز نصر سريع على احدى الجبهات القطرية ، ويظن ان الاسلوب الذي فقد به السلطة هو الاسلوب المناسب لاستردادها : اي الانقلاب العسكري ، الذي ترتبت بعده الصورة السياسية والحالة الشعبية ، لصالح خط ثوري ونضالي .

لا شك في ان الاتجاهين الاولين يملكان نقاطا قوية في مسألتين اساسيتين :

- المسالة القومية ، كمحرض للجماهير العريضة .

- والوعي الجديد ، كسلاح بيد الطليعة ، التي ستقود وتحرض الحركة الجماهيرية ، وتستجيب لها .

لكن السؤال الاساسي الذي يجابههما هو التالي : كيف السبيل الى تحريك الجماهير الشعبية عمليا ، وفق متطلبات ومنطوقات الوعي الجديد . وما هي الخصوصيات التي ستصطبغ بها الحركة الشعبية القومية والثورية في ظل الظروف الجديدة . وهذا ، بدوره ، يطرح سؤالا هاما على الوعي الجديد : هل يمكن وعي الوضع العربي الجديد دون ان يقترن الوعي بالممارسة النضالية . وفي هذه الحالة : هل يكفي مخطط نظري ثوري وصحيح ، يقوم على « نقد ما هو قائم » (ماركس) كي يجد تماسه مع الحركة الشعبية المتقهقرة الان ، والمنكفئة على نفسها . اليس الوعي الجديد مهددا بأن يتحول ، اذا لم يصبح ممارسة عملية ، الى نقد « ثقافي » او بناء ثقافي حديث الى جانب البنى الثقافية والفكرية القائمة ؟ في هذه الحالة : هل يكون الوعي الجديد قد حقق الغاية منه في قلب الواقع وتغييره ؟.

ان لهذه المدرسة تجربة شديدة الغنى على الصعيد النظري ، فهي اول من شخص وحدد الطريق الذي يجب ان تقطعه الثورة العربية ، انطلاقا من الحالة الراهنة . فقالت بتراكب الثورتين الديمقراطية والاشتراكية ،

Digitized by Birzeit University Library

واندماجهما ، وقالت بالديمقراطية الشعبية بديلا عن الديمقراطية البرلمانية . وركزت على اهمية المسالة القوميه كدافع للثوره الاشتراكيه في الوطن العربي . واكتشفت مسالة الامبريالية وتجلياتها الداخلية . وكانت نظن ان هذا الوعي الجديد (والذي لا زال جديدا حتى الان) سيحول الوعي الذي يعيم تماسا نضاليا معه الى النضال الثوري القومي المنفتح اشتراكيا ، وسيسهم في تاسيس حزب البروليتاريا العربية ، الذي ادركت انه ضروره تاريخية . لكن الذي حدث هو العكس . فالفئات البينيه اخذت في اكثر من قطر هذا « المخطط التجريدي العام » ، وجعلته في خدمتها ، واخضعته ـ عمليا ـ لمصالحها ، وحولته الى سلاح بيدها ، لتدمير الوعي الثوري ، واعاقه قيام حزب البروليتاريا العربية وتحقيق الضرورة التاريخية .

بعد هذه التجربة كان يجب تطوير النقد وبناء الوعي باتجاه عملي ، ينزع من يد « اللاعبين » سلاح الوعي الجديد . لكن هذا لم يحدث ، حتى الان، مع ثقتنا بأن قادة هذا الاتجاه يستطيعون انجاز المهمة المنتظرة منهم . ونحن نخشى ان يكون رد فعلهم بالاتجاه الاخر، فيغرقون في مزيد من العمل النظري، الذي قد يتفصل مع قضايا جوهرية للهيكل العام للتطور ، لكنه يكون قابلا للاستغلال باتجاه يتعارض مع الغاية منه ، كما حدث خلال العقد الماضي . اننا نؤمن ، أشد الايمان وأصدقه ، بتراكب الثورتين ، وبطريق الديمقراطية الشعبية ، وباهميته مسالة الامبريالية ، وبالضرورة التاريخية لحزب البروليتاريا العربية ، ولكن كيف نجعل هذه المقولات تخدم خطا ثوريا صاعدا، وليس خطا سياسيا هابطا . وكيف نحول دون ان تصبح مقولة تراكب الثورتين، مثلا ، مشاعا عاما وليس جزءا من خطة عمل البروليتاريا دون سواها ؟ . قد يقول قائل : ببناء حزب البروليتاريا العربية . وهذا صحيح كل الصحة . لكن المعضلة تبقى ، في كل الاحوال ، معضلة عملية . صحيح ان بناة هذا الحزب ، بناة هذه الضرورة التاريخية ، يجب ان يترجموا «المخطط العام» الى سياسة عملية تقطع الطريق على الاطراف الاخرى في اساءة استغلاله . لكن هذا لا يعفي اساتذتنا ، اصحاب هذا المخطط من ان يدلوا بدلوهم في الموضوع، لانهم اكثرنا وعيا واسبقنا الى رؤية تعرجات الحركة السياسية لمجتمعنا العربي . وقد اثبتت رؤيتهم صحتها في كل المجالات التي تحدثوا بها ، او نبهوا اليها .

٢٣ ـ يمتاز الوضع العربي الراهن بتغييب الحركة الشعبية ، والحاق المجتمع بالدولة ، دون ان تكون هذه دولة اجتماعية ، او دولة للمجتمع . ترتب

Digitized by Birzeit University Library

ذلك على جملة من الوقائع الهامة · ان ما كان يسمى نفسه « حـزب الطبقـة العاملة » لم ير أية ثورة ديمقراطية عربيـة ، بل رأى هيكلا اجتمـاعيا تطريا مجردا ، فيه طبقات وحسب · وبما انه كان يدعي تمثيل الطبقه العاملـه ، فقد ترك لغيره تمثيل سواها من الطبقـات كالفلاحـين والبرجوازيـة الصغـيرة وغيرهما من الفئات البينية · ولان هذا الحزب لم يطرح على نفسه ، في اي يوم من الايام ، « المسالة الرئيسية لكل ثورة » ، اي مسالة السلطة السياسية، فانه لم يطرح على نفسه ، في اي يوم ، مسالة الثورة ، بل اكتفى ، في مرحلةنضاله الاولى (حتى ١٩٥٨) ، بدعم البرجوازية الوطنية، التي ستقود مرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية ، ريثما تخلق له هذه الشروط اللازمة لقيامه بالثورة الاشتراكية· فاكتفى طوال المرحلة الاولى بسياسة جوهرها مطلبي ـ اصلاحي· وعندما لم تتم « الثورة الديمقراطية البرجوازية » وضربت البرجوازية بعـد عام ١٩٦١ في اطار الوحدة ، سقط من غيوم اوهامه السياسيـة ، ليجـد ان خططه التاريخية قد انهارت ، فانقذه الانفصال من هذه المشكلـة التي لا حـل لها ، ولهذا ايده دون قيد او شرط ضد « الاستعمار المصري » (برقيـة بكداش الى مامون الكزبري ، يوم ٣٠ ايلول ١٩٦١) · الا ان « الثـورة الديمقراطيـة البرجوازية » الانفصالية لم تدم ، ونشأ بعدها « وضع انتقالي » سرعـان ما اعتبروه وضعا « ديمقراطيا ثوريا » ثـم « تطـورا لا رأسماليـا » ، واخـذوا يقدمون له الدعم ، حتى صاروا الى ما هم عليه ، من تبعية وعزلة ·

في المرحلة الاولى ، « الثورة الديمقراطية البرجوازية » ، كـان دورهـم تسريع التطور الراسمالي للمجتمع · الذي يتحتم على الطابع الوطني « المعادي للراسمالية الاجنبية وللامبريالية » للبرجوازية الوطنيـة ، وخاصـة فرعـها الصناعي · هذا الدور حال دون رؤية المسالة الحاسمة في كل ثورة ، مسالـة الفلاحين ، الذين كانوا القوة الاجتماعية والشعبية التي حسم موقفها الثـورة المعادية للاقطاع في اوروبا الراسمالية ، وثورة اكتوبر في روسيا السوفياتية· فلولا وقوف الفلاحين وراء حزب البروليتاريا الروسية والسلطـة السوفياتيـة لما صمدت وانتصرت · النتيجة كانت عزلة الحزب شعـبيا وضعـفه سياسيا ، وكانت نشوء قوى بينية ادركت اهمية المسالـة الفلاحيـة ومسائـل الثـورة الديمقراطية عموما · وقد وصلت هذه القوى الـى السلطـة بسبـب عجـز البرجوازية عن انجاز ثورة البرجوازيـة ـ لانها كانت ضد الفلاحين وبالتالي مع الاقطاع ـ و « حزب » البروليتاريا عن انجاز الثورة الاشتراكية ـ لاسباب اهمها موقفه من المسالة الفلاحية ومسائل الثورة الديمقراطية ـ ·

Digitized by Birzeit University Library

المهم ان هذه الفئات البينية « حلت » المسألة الزراعية وفق مصالحها ، فسحبت الكتلة الاساسية من الجماهير الشعبية – يقول ماركس عن الفلاحين : « انهم برجوازيه صغيرة ، لكنهم الجماهير الشعبيه ، ايضا » · عندنا لا يرون فيهم الا البرجوازية الصغيرة المحتقرة – من وراء القوى السياسية والطبقات الاخرى ، وكتلتها وراء سلطتها ، فبقي « حزب » الطبقة العاملة ، بوضع الطبقه العاملة انذاك ووضع « حزبها » فلة معلقه في الهواء ، كما بقيت محاولات « البرجوازية » من قبل معلقة في الهواء بخصوص انجاز ثورة « ديمقراطية برجوازية » ·

هذه الحقيقة التاريخية ، وفي ظل غياب برنامج وخطة عمل للطبقة العاملة ، واصلاحية « حزبها » ، كان احدى الركائز الاساسية لدور الدولة الراهن · الحقيقة الاخرى كانت امتلاك الدولة لوسائل الانتاج الاساسية في الصناعة ، ولمصادر التمويل كالمصارف والبنوك · هذا الامتلاك جعلها تضع يدها على فائض قيمة عمل المجتمع ، وخاصة منه العمال ، وتمتلك القدرة الاقتصادية على اعادة ترتيب البنية الاجتماعية للطبقات وفق مصالحها ، فخلقت الدولة الطبقة التي تلائم مصالحها ، والادوات الكفيلة بحماية هذه المصالح · فاذا اضيف الى ذلك الجهاز العسكري والقمعي في مجتمع متاخر ومفكك وضعيف تقسيم العمل ، والجهاز الايديولوجي التضليلي في وضع لا يتيح اي شكل من اشكال الديمقراطية ، فهمنا لماذا صار المجتمع يتمحور حول الدولة ، وفهمنا دور العامل السياسي في مجتمع لا يملك وحدات انتاجية كبرى تتيح له استقلالا ولو نسبيا عنها ·

لقد غيبت الحركة الشعبية، التي كان النضال القومي محركها ومحرضها الاكبر في الواقع الطبقي الذي كان قائما · وبغيابها ضعف النضال القومي الجماهيري · وصارت الدولة مركز اتخاذ القرار الاجتماعي · فالمجتمع مربوط بالدولة سياسيا ، لعدم وجود اشكال اخرى من التعبير عنه ، ومربوط بها اقتصاديا ، لانها مالك وسائل الانتاج والمتصرف الرئيسي بها · ولان السلطة السياسية تعني ، في الوقت نفسه ، امكانية الوصول الى السلطة اقتصادية وتتيح الغنى والاثراء والامتيازات ·

ان اعادة ترميم الحركة الشعبية واعادة بناء وعيها هما المهمة الاساسية المطروحة على القوى السياسية الثورية ، اذ ان استمرار الوضع الراهن

Digitized by Birzeit University Library

سيفرض عليها البقاء قلة معزولة « من تحت » ، مهددة بالسحق في كل لحظة « من فوق » . وهذا يتطلب ، في رأينا ، ما يلي :

(١) دراسة سائر نقاط قوة وضعف الوضع القائم ، ودراسة مسار تكونه التاريخي واحتمالات تطوره المقبلة ، ووعي الصوره النوعية التي سيأخذها التطور المقبل والعملية الحاصلة حاليا .

(٢) دراسة وضع وبنية ووعي سائر الطبقات الاجتماعية ، ووضع خطط وسياسات تضعف من تأثير الوضع الراهن على مسارها وتركيبها ، وتزيد احتمالات تقاطع تطورها ووعيها مع تطور ووعي سياسة ثورية .

(٣) دراسة بنية الدولة الراهنة ، ووظيفتها ، وحدود قوتها ، واحتمالات تطورها ، والخيارات العملية المطروحة عليها ، وطرح سياسة تأخذ كل هذه العوامل بعين الاعتبار .

(٤) فهم طابع التحولات التي حدثت في ادوار الطبقات والقوى الاجتماعية ، والمهمات المنبثقة عنها .

(٥) دراسة وفهم النتائج القومية المترتبة على الوضع الراهن . ودراسة وفهم طابع « الثورة القومية والديمقراطية والاشتراكية » . كما يسميها استاذنا الياس مرقص ، في الظروف الجديدة ، ورسم سياسة عملية تأخذ كل ذلك بعين الاعتبار وتستند اليه .

(٦) فهم الجدل الصميمي بين القطري والقومي ، وبين الداخلي والخارجي . والاشكال والصور التي ينعكس بها احدهما على الاخر ويؤثر فيه ، ومراعاة الاحتمالات الممكنة لواقعهما وتطورهما . ان الدافع الاساسي للثورة العربية لا زال مهمات الثورة الديمقراطية ، ومركزها الاساسي الحركة القومية . لكن هذا المركز يتجلى ، الان ، بصورة اكثر تعقيدا وغموضا مما كان يحدث في الخمسينات ، كما ان هذه المهمات تكتسب ، الان ، وضعا اكثر تعقيدا وتداخلا مما كان يحدث في السابق .

(٧) تحويل الاحزاب والقوى الثورية الى وسيط كيميائي للحركة الشعبية ، قادر على خلق قنوات جديدة للاتصال فيما بينها ، وعلى طرح المسائل التي تعيد وحدتها على أسس جديدة ، لخلق استقلالية نسبية لها عن الدولة الراهنة. وهذا لم يتم اذا لم ترافقه عملية اضعاف وتفكيك دؤوبة للدولة، تقوم على تحويلها من مركز يجري الاستقطاب الاجتماعي والسياسي وفق

Digitized by Birzeit University Library

مصالحه ، الى محل يتاثر بالاستقطاب الاجتماعي ، بحيث تتحول الدولة من اداة لتفكيك طاقات المجتمع وتغييب دوره الى اداة يصيبها الانقسام ، ويحدث فيها الفرز بفعل سياسات ونضالات القوى الثورية ، والنهوض الاجتماعي الذي يجب ان يصاحبها او يترتب عليها · كي يتحول الحزب الى طليعة ثورية، يجب ان يكون في المرحلة الاولى « محام عام للمجتمع » ، كما يقول لينين ·

(٨) يجب ان لا يكون الحزب مجرد طليعة ثورية وحسب ، بل يجب ان يكون ، ايضا ، « سلطه بديلة » ، في الواقع وفي وعي الجماهير · لقد شرشح العسكر فكرة مفهوم الحزب السياسي شعبيا · والسبيل الى استرداد اعتبار الحزب السياسي ، كواقع وكمفهوم ، هو التوجه الحاسم والنهائي نحو الجماهير الشعبية ، بوصفه احتمال سلطة بديلة في البدء · وهذا يتطلب من الحزب ان يمتلك « خطة عمل » تتسم بالشمول السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتقافي ، وبالقدرة على الاقناع العملي ، فينشط ، بصوره متزايدة ، كدولة بديلة ، بعيدا عن المغامرة والاستعجال ، ولكن بعيدا ، ايضا، عن انتظار نهوض شعبي عفوي ، لن يحدث بالصورة التي يريدها الثوريون العرب ، اذا لم يساهموا مساهمة اساسية في صنعه ·

(قلنا في مكان سابق ان هناك حلفا بين فئات الدولة وشرائح من الطبقات البينية · ونقول هنا ان الحزب يجب ان يعتبر الطبقة العاملة دائرة فعله الاولى واداته ، كما يعتبر نفسه اداتها · وان يطرح المسالة الزراعية على اسس تخلق تحالفا استراتيجيا بين العمال والفلاحين يكون دائرة فعله الثانية ، ثم يكسب جماهير الفئات البينية الدنيا والوسطى بوصفها دائرة فعله الثالثة) ·

(٩) لا يجب ولا يجوز لهذا الحزب ان يبنى على اسس اقليمية ، بل يجب ان يكون ذا طابع وبنية عربيين ، وان يمارس دورا عربيا · واذا كانت هذه المشكلة شديدة الصعوبة في وضعنا الراهن ، فانها ليست مستحيلة الحل ، لا في الحاضر ولا في المستقبل ·

٢٤ ـ لقد بدأت « الاقطاعية والبرجوازية » العربية كفاحها السياسي بمساومة مع الامبريالية ، فاسقطتها القوى والطبقات البينية ، حيث اسقطتها ونجحت في ان تطرح نفسها كبديل لها ، عندما عجزت « احزاب » الطبقة العاملة عن ان تكون هذا البديل · ولكن القوى القائدة للفئات البينية سابقا عادت الى نفس المواقع التي انطلقت منها الطبقات القديمة (الاقطاع

Digitized by Birzeit University Library

والبرجوازية) · **فالمشكلة القومية تحل الان امبرياليا** ، والوجود الامبريالي في الوطن العربي عاد مهيمنا ، والتجزئة صارت هي السياسة القوميـــة الوحيدة لهذه القوى ، والتأخر والتبعية انشوطة تلتف حول عنقها وعنق المجتمع بأسره، كما انفصلت مصالحها عن مصالح المجتمع ، الى حد التعارض العدائي ·

هذا الوضع يطرح من جديد فكرة البديل التاريخي : **انه اما العودة الى شكل من اشكال الحلقة السياسية المفرغة لقوى بينية جديدة، تبيعنا « يساريات واشتراكيات » ، لكنها تزيد من انسحاقنا القومي والوطني · او التقدم نحـو البديل الوحـيد المتـاح ، « الثـورة القوميـة والديمقراطـية والاشتراكـية »** بقيادة حزب البروليتاريا العربية · وبصراحة فان دور الفئات البينية **محتمـل** على ضوء دور البروليتاريا، فان عجزت هذه عن الارتفاع الى مستوى التحدي التاريخي ، فان وضع الانهيار الحاصل الان قد يستمر لفـترة طويلـة ، قاطعا الطريق على كل الاحتمالات لعدة عشرات مقبلة من السنين ·

ان المهمة مطروحة موضوعيا وتاريخيا · نجاحها وفشلها يتوقفان علينا · فهل ننقذ أمتنا من العدم السياسي الذي تساق نحوه ، أم نسير ، بدورنا ، الى هذا العدم ، تحت غطاء كثيف من الشعارات « اليسارية والثورية » ، فنستحق لعنة الاجيال الحاضرة والمقبلة ، كما استحقها الذين سبقونـا الـى اضاعـة الفرصـة التاريخيـة السابقـة ؟!

Digitized by Birzeit University Library

"مؤتمر كامب دافيد بين النجاح والفشل"

فهد زرافتو

مقدمة :

تمر المنطقة العربية في اخطر مرحلة من تاريخها ، فالقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية تتكالب لاحكام سيطرتها عليها وبسط نفوذها فيها . وليتسنى لها ذلك لا بد من استخدام كافة الوسائل وأنجع الاساليب التي تستهدف ضرب ، ومن ثم تصفية القوى الوطنية والتقدمية العربية ، من أجل ترتيب أوضاع المنطقة بالشكل الذي يخدم اهدافها .

لقد شهدت المنطقة العربية ، في الآونة الاخيرة ، حالة من الانحسار الوطني ، نتيجة للهجمة الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية العربية الشرسة عليها، وحالةمن المد الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي ، تتمثل في محاولات النظام الرجعي الأردني تصفية المقاومة في ايلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ ، وما تبع ذلك من خطوات شملت العديد من المناطق العربية .

اذ قام **السادات** بتوجيه ضرباته للقوى التقدمية في مصر ، تحت عنوان الحركة التصحيحية وضرب مراكز القوى، والذي توج تحركه هذا بالغاء المعاهدة المصرية السوفييتية ، وطرد الخبراء السوفييت من مصر ، وشرع في انتهاج سياسة الانفتاح الاقتصادي ، والذي تبعه انفتاح سياسي كامل على الغرب الرأسمالي وعلى الامبريالية الاميركية بشكل خاص .

كما تم في تلك المرحلة تدبير مذبحة **للحزب الشيوعي السوداني** الذي اسهمت فيه عدة انظمة عربية ، هذا بالاضافة الى الهجمة الرجعية الخليجية والسعودية والايرانية والاردنية على الثورة في الخليج العربي وعمان .

ان هذه الهجمة التي ابتدات منذ مطلع السبعينات كان من نتائجها ان فقدت الجماهير العربية ثقتها بقدرة القوى الوطنية والتقدمية على تجاوز اوضاعها التي خلقتها هذه الهجمة ، وبالتالي التصدي لها وتحقيق الانتصار .

بقيت هذه الحالة تسود المنطقة الى ان جاءت حرب تشرين الاول سنة ١٩٧٣ والتي عولت الجماهير الامال عليها بانها انتهاء لمرحلة الانحسار الوطني وبداية مرحلة جديدة ، ستستعيد القوى الوطنية والتقدمية العربية ترتيب اوضاعها ، وتتحمل مسؤوليتها التاريخية في قيادة الجماهير ، وتحقيق الانتصار على العدو القومي والطبقي .

لكن المفاجاة كانت كبيرة بعدما تبين ان هذه الحرب هي لتحريك التسوية ، والخروج من حالة الجمود التي استمرت منذ حرب الاستنزاف سنة ١٩٦٩ على الجبهة المصرية ، حتى حرب تشرين ١٩٧٣ وليس لتحرير الاراضي العربية المحتلة بما فيها كامل التراب الوطني الفلسطيني .

لقد ابتدأ بعد حرب تشرين اتباع نهج جديد في التعامل مع العدو الصهيوني اذ ان النهج الذي اتبع دائما ، هو معاداته ومحاربته الذي لم يعد واردا

Digitized by Birzeit University Library

واصبحت الاتصالات والمفاوضات المباشرة معه هي السائدة ، والاتفاقات التي عقدت، فك الارتباط الاول والثاني ، مع مصر مؤشرات واضحة تؤكد عليه · الى ان توج ذلك باعلان السادات عن مبادرته الخيانية لزيارة القدس المحتلة ، التي ادعى بانه سيحطم كل العوائق والحواجز التي تقف في طريق الوصول لتحقيق تسوية لازمة المنطقة ·

لقد كان من الطبيعي ان تحصل عملية فرز في المنطقة العربية كرد على مبادرته الخيانية **بتشكيل جبهة الصمود والتصدي** ، كما كان من الطبيعي ايضا ان تكون نتيجة هذا النهج الاتفاق الذي تمخض عنه مؤتمر كامب ديفيد ·

□ خصوصية المنطقة العربية واهميتها الاستراتيجية :

ان الموقع الجغرافي للمنطقة العربية كان محط انظار كل القوى الكبرى على مدى التاريخ ، فقد كانت الصراعات دائمة للاستيلاء عليها ، فهي في وسط القارات ، كما انها تشرف على مداخل البحار ، التي تؤمن اقصر الطرق بين القارات · وبحكم الثروات الطبيعية التي تتوفر في هذه المنطقة (المواد الاولية كالبترول ، والفوسفات) ... وغيره من المواد الحيوية للدول الصناعية المتطورة ، ناهيك عن الثروات الاخرى الزراعية والحيوانية ، هذا عدا عن كون هذه المنطقة تعتبر سوقا رائجة لتصريف المنتوجات ، وبحكم تخلفها فان تصدير الرساميل اليها واستثمار رؤوس الاموال فيها يحقق الارباح الطائلة وتوفر الايدي العاملة الرخيصة فيها ...

الاهم من ذلك كله ان الامبريالية وخاصة **اميركا** بعد الضربات التي وجهت اليها في كل من اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، قد وجدت انه باحكام السيطرة على المنطقة العربية تستطيع التعويض عن بعض ما فقدته ، مما زاد من اهتماماتها ، وعدم التفريط بها ، وعدم السماح للقوى الثورية بان تهدد مصالحها وجودها فيها بتوجيه الضربات المتكررة اليها ومقاومة **الوجود السوفييتي** مستغلة الاوضاع الرجعية التي تكن عداء تاريخيا له ·

□ طبيعة التطورات الجارية في المنطقة التي تهدد الوجود الامبريالي والرجعي فيها :

لقد ابتدأت ملامح الخطر تهدد الوجود الامبريالي ومصالحه والرجعية في المنطقة· فالتطورات التي حدثت في **افغانستان** ، الدولة الفقيرة التي سعت الامبريالية جهدها لضمها الى احلافها ، وبعدما فشلت في ذلك ، ارتضت على مضض حيادها ·

هذا التغيير التقدمي الذي قلب المعادلة رأسا على عقب ، اذ انه جاء لمصلحة العلاقة مع **الاتحاد السوفييتي** ، ودول **المنظومة الاشتراكية** ، واصبحت الدولة الحيادية تلك ، تقف في الوسط لتفصل الخط الذي يربط كل من باكستان بتركيا مرورا بايران ، (دول حلف المعاهدة المركزية) والمدعوم من حلف شمال الاطلسي ، هذا الخط الدفاعي انقطع في اهم حلقاته · اذ وجود افغانستان على الحدود الشرقية لايران يعطيها دورا فاعلا وثوريا في دعم الانتفاضة الايرانية ودفعها لتتخذ منحا ثوريا، دفع بزعيمه الامبريالية اميركا لترسل وزير دفاعها ليبحث مع المسؤولين في ايران الوضع المستجد في افغانستان وكيفية مواجهته ·

ان هذا الخط الذي احاط بايران من جهة حدودها الشرقية ، يزعزع من وحدتها الداخلية كما انه يؤثر على الباكستان من خلال دعمه للاقليات المكافحة فيها ، (البلوش وغيرها) · كما ان وجود الاتحاد السوفييتي على الحدود الشمالية لايران يزيد من حجم هذا الخطر ، الامر الذي جعل الامبريالية والرجعية العربية والايرانية تفقد صوابها نتيجة تطور

Digitized by Birzeit University Library

الانتفاضة الجارية في ايران (بالرغم من الطابع الديني الذي يغلفها) ، خشيه من امتداد الخطر الثوري لمنطقة الخليج وخاصة بعد التطورات الاخيرة التي طرأت على اليمن الديمقراطي لمصلحة النهج التقدمي والثوري ، ولمصلحة العلاقة **بالاتحاد السوفييتي** .

لم يكن صدفة ان تطلق الرجعية السعودية صرختها ، بلسان وزير دفاعها، مطالبة الدول العربية بتقديم الدعم لنظام الشاه درءا للخطر الشيوعي من ان يمتد للمنطقة كلها .

كما ان اهمية وجود خط ثوري يمتد من **افغانستان** الى اثيوبيا مرورا باليمن الديمقراطي موازيا الخليج العربي قادرا على السيطرة على منابع النفط في الخليج العربي . ولديه مواقعه الهامة التي يشرف بها على **البحر الاحمر ، والخليج العربي** ومن ثم على المحيط الهندي ، ومما يزيد من قوة نفوذه في المحيط الهندي السعي الحثيث للاتحاد السوفييتي لتحقيق تسوية بين ارتريا واثيوبيا .

ان هذه التطورات من الاهمية لدرجة ان بدأت الامبريالية بالتفكير بتشكيل حلف امبريالي صهيوني رجعي في المنطقة تكون احدى مهامه منع المد الثوري من التوسع في المنطقة ، معتمدة كأساس لتشكيل الحلف كل من مصر ، والكيان الصهيوني .

وان ما نشرته مجلة الحوادث اللبنانية في عددها بتاريخ ١٥ ايلول عن تشكيل حلف (**ميتو**) شرق اوسطي ، بعد حلف الشيوعي في المنطقة والذي قالت بان الخابرات المركزية الاميركية قد سربته ، ومما ورد فيه :

" ان الادارة الاميركية تسعى لاقامة ترتيب جديد ، يشمل منطقة الشرق الاوسط ، ويشكل ضمانة بعيدة المدى للمصالح الغربية واليابانية في المنطقة ، وهو ترتيب يعتمد على القوى الاقليمية الشرق اوسطية ، اكثر من اعتماده ، على المساهمات البشرية العسكرية الاميركية . وهذا يعني ان المنطقة ، من اجل تحقيق ذلك بحاجة الى (هيكل تنظيمي) كهيكل منظمة **الناتو** (حلف شمال الاطلسي) ، وان الظروف الشرق اوسطية تجعل المنطقة مهيأة لاقامة معاهدة تجمع عددا من دولها تحت اسم (**ميتو**) (منظمة حلف الشرق الاوسط) " .

نستنتج من ذلك ، ان الامبريالية تعي خطورة الوضع ، وانها تسعى لتحقيق اهدافها من خلال : ـ

■ تصفية القوى الوطنية والتقدمية العربية حتى لا تشكل خطرا يهدد مصالحها ووجودها .

■ ضرب العلاقات العربية السوفييتية، تمهيدا لتصفية وجوده في المنطقة .

■ الضغط لدفع بعض الانظمة العربية التي تعارض النهج الامبريالي الاميركي للتراجع عن الانجازات الوطنية والديمقراطية التي حققتها وحسم موقفها لصالحه مع انهاء علاقاتها بالاتحاد السوفييتي .

■ تشكيل قوة قمعية امبريالية رجعية ضاربة ضد القوى التقدمية العربية والافريقية ، (مثال ما حصل في زائير) تمهيدا لتشكيل الحلف الذي تهدف اليه .

■ انهاء حالة الصراع الدائر في المنطقة مع العدو الصهيوني بممارسة نوع من الضغوط عليه ، لتليين مواقفه نسبيا ، للوصول لاتفاقات جزئية او شاملة ضمن الحدود التي تضمن تحقيق الاطماع الصهيونية في المنطقة ، وتحافظ على استمرار الهيمنة الامبريالية فيها .

■ تعزيز الثقة بالرجعية العربية التي بدأت تهتز بالاونة الاخيرة ، حيال وصول مبادرة السادات للطريق المسدود نتيجة للموقف المتصلب للكيان الصهيوني المدعوم امبرياليا .

Digitized by Birzeit University Library

□ **مبادرة السادات وزيارته للقدس المحتلة وما ترتب عنها :**

لقد اتت زيارة السادات للقدس المحتلة كاستمرار للنهج الذي ابتدأه منذ مطلع السبعينات ، والذي وجد تعبيره في الاتفاقين الاول والثاني في سيناء .

لقد جاءت الزيارة لتتوج هذا النهج الذي اتبع ، اذ ادعى **السادات** ان ٧٠ ٪ من اساس المشكلة يعود لاسباب نفسية ، فلا بد من تحطيم **هذا الحاجز النفسي** ليتسنى التغلب على ثلاثة ارباع المشكلة، والذي سيسهل عليه بعدها التغلب على المشاكل الاخرى التي تمنع الوصول لحل كامل لمشاكل المنطقة ، وتحقيق التسوية الشاملة فيها .

الا ان مفاجأة **السادات** كانت كبيرة ، عندما اصطدم بالموقف المتصلب ، للعدو الصهيوني . فقد كان يعتقد بانه ثمنا لمبادرته الخيانية التاريخية ، سيحقق حسبا سياسيا كبيرا ، يدفع باتجاه تقديم تنازلات جوهرية لصالحه من قبل العدو الصهيوني ، لكنه لم يجد شيئا ، بل على العكس من ذلك وجد العدو الصهيوني يسعى للمزيد من الابتزاز ، وبرغم تبادل الزيارات واللقاءات بينهما في **تل ابيب ، والقدس** ، في الاسماعيلية والقاهرة ، في واشنطن ولندن ، دون فائدة ... سدت كل الابواب في وجهه ، ولم تنفع معه شفاعة ، ولم تجد كل التوسلات والتسولات ، الى ان وصل به الامر بعد **مؤتمر ليدز** بلندن لتجميد المفاوضات ووقف الاتصالات بالعدو الصهيوني ، مما حدا بالرجعية العربية ، الى اتخاذ موقف يدعو لاعادة التضامن العربي ، بعد الشرخ الذي اصاب المنطقة العربية نتيجة لمبادرته وزيارته القدس المحتلة ، الذي ادى الى ولادة **جبهة الصمود والتصدي العربية** .

ان هذا الموقف الذي اتخذته الرجعية السعودية تحت شعار التضامن العربي ، (الذي لم يتحقق اي تضامن عربي رسمي الا على حساب القضية العربية والجماهير العربية وقواها الوطنية في المنطقة) ، محققة بذلك :

١ ـ انقاذ مبادرة **السادات** من الفشل بعد وصولها للطريق المسدود بسبب التعنت والتصلب للعدو الصهيوني .

٢ ـ اعادة الاوضاع العربية الى سالف عهدها لاعادة الدور القيادي الذي تمارسه السعودية في المنطقه .

٣ ـ منع التفجرات في المنطقة ، خوفا من حدوث تطورات ثورية فيها تقلب موازين القوى لصالح القوى الثورية والعلاقة بالمعسكر الاشتراكي .

٤ ـ الوقوف بشكل مشترك لمنع المد الثوري من التوسع في المنطقة والقضاء عليه .

٥ ـ ممارسة نوع من الضغوط على **الامبريالية الاميركية** ، بأن الوضع لم يعد يحتمل الانتظار والسكوت عن الموقف المتصلب والمتعنت للعدو الصهيوني الذي يضرب بعرض الحائط مصالح كافة القوى مجتمعة في المنطقة ، ملوحين باستخدام سلاح النفط من جديد .

□ **الدعوة لعقد قمة كامب ديفيد والنتائج التي تمخضت عنه :**

جاءت الدعوة لعقد قمة كامب ديفيد للاسباب التالية :

١ ـ رغبة **الرجعية العربية** بضرورة انقاذ مبادرة **السادات** من الفشل حتى لا تحدث تفجرات يمكن ان تؤدي الى نتائج ومضاعفات خطيرة للامبريالية والرجعية .

٢ ـ اهمية الوصول لحل ما في المنطقة يعتبر الركيزة الاساسية لانطلاقة **السياسة الاميركية** في المنطقة العربية وافريقيا في تصديها للمد الثوري وخطر تزايد الوجود **السوفييتي في الشرق الاوسط** وافريقيا .

٣ ـ تحقيق اي انجاز ، او تقدم ، في المفاوضات ، او وصول لحل ما في منطقة

Digitized by Birzeit University Library

الشرق الاوسط ، يزيد من فرص النجاح لكارتر في الانتخابات المقبلة للكونغرس الاميركي نظرا لحساسية مسالة الكيان الصهيوني في اوساط الكونغرس الاميركي .

وما يمكن ان يحقق له ذلك من مكاسب في حال نجاحه .

فقد اوفد كارتر وزير خارجيته سايروس فانس فور انتهاء اجتماعات ليدز بلندن ، للدعوة لعقد قمة ثلاثي في كامب ديفيد بين كارتر وبيغن والسادات اثر اعلان الاخير عن تجميد المفاوضات الى ان يتحقق من وجود تغير فعلي وملموس في موقف العدو الصهيوني .

ورد بيغن عليه الذي يقول فيه : « ان السادات يعتقد انه بتغيير مكان المفاوضات من جنيف الى القاهرة ، قد ينجح في تغيير القضية .. ان استبدال مكان بمكان اخر لا يمكن ان يعدل نظره اسرائيل الى جوهر القضية » ، واضاف بيغن يقول : « ومشكلته (اي السادات) انه يطالبنا بدفع ثمن كبير جدا لزيارته المفاجئة للقدس ... ويطلب منا ان نطبخ معه وجبة على البريستو خلال بضعة ايام نحن نؤمن انها لم تنضج منذ ثلاثين سنة » .

لقد لبى الدعوة كل من السادات وبيغن وحدد موعدا لها ... وقد اتخذت كل الترتيبات لضمان نجاح هذا المؤتمر ، ومن ثم ضمان سلامة المؤتمرين .

وقد احيط المؤتمر بجو من السرية لم يعهد له مثيل من قبل حسب قول المراقبين ، ولم يتسرب عن المؤتمر الا اليسير من المعلومات التي اضفت عليه نوعا من الضبابية والتعتيم ، لدرجة ان كافة المراقبين لم يتوقعوا النجاح له ... اذ ساد جو التشاؤم جميع المراقبين وما سرب عنه من أن الفجوة لا زالت عميقة ، بين بيغن والسادات وأن الوصول لاتفاق ليس من السهولة بمكان تحقيقه ، كما ان ما اشيع بأن السادات قد هدد بالانسحاب من المؤتمر كل ذلك بهدف شد الانظار للقبول بالحل الذي تم التوصل اليه .

لقد انهى مؤتمر كامب ديفيد جلساته ، معلنا عن النتائج التي تم التوصل اليها ، والاتفاق الذي تم توقيعه بين رئيس نظام الخيانة المصري مع رئيس حكومة الكيان الصهيوني باشراف (شاهد الزور) زعيم الامبريالية الاميركية ... حيث اعلن عن وثيقتي الاتفاق والتي تتعلق احداهما بمستقبل الحل ، لكل من الضفة الغربية وغزة ، والتي اطلق عليها اسم « اطار السلام في الشرق الاوسط » والثانية والتي تتعلق بمستقبل الحل في سيناء والتي اطلق عليها اسم « اطار العمل لاجل عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » .

ما الذي حصل ؟ كيف انقلبت الاوضاع وتبدل جو التشاؤم المغرق بجو التفاؤل المفرط ؟ هل الاشاعات حول احتمال فشل المؤتمر صحيحة ؟ ما الهدف منها ؟ وهل صدفة ان يتم الوصول لمثل هذه النتائج وفي مثل هذه السرعة بعد كل ما اشيع عنه في اللحظة الاخيرة ؟ .

التساؤلات كثيرة ، وكثيرة جدا ، ومن الضروري الوقوف امامها والاجابة عليها .

من الواضح ان الاسباب التي ذكرت تحت عنوان « الدعوة لعقد قمة كامب دافيد والنتائج التي تمخضت عنه » لا تعطينا الاجابه على كل التساؤلات ان التقديرات منذ بداية عقد المؤتمر ، تشير الى انه لا بد من الوصول لاتفاق ما لحلحلة الازمة في المنطقة وليس لحلها . وأن ما سيتمخض عنه المؤتمر هو تحقيق اتفاقية ثالثة في سيناء (فك ارتباط ثالث) يرتبط ببرنامج زمني للانسحاب الكامل من سيناء ومع بعض التعديلات التي يتفق عليها ، ومن ثم اعلان نوايا ، أو اعلان مبادىء عامة يتعلق بمستقبل الحل للقضية العربية والقضية الفلسطينية بشكل خاص . وهذا بحد ذاته يعني ان الاتفاق على اقامة صلح منفرد بين مصر والعدو الصهيوني غير مستعبد ،

Digitized by Birzeit University Library

وأن الاتفاق الذي ورد في الوثيقة الثانية يستند اساسا الى ذلك ·

وأن كارتر الذي عمل جهده للوصول لحل ما وبعد ان تم مناقشة ٢٣ صيغه لم يتم الاتفاق على اي منها تقدم بالصيغه النهائية ، التي أعدها مستشاره برجينسكي بمساعدة **سايروس فانس** ، التي تم الاتفاق عليها والتي استمد اسهامها من موافقة السادات على اقامة صلح كامل ومنفرد دون الاهتمام لما يعكسه من نتائج سلبية على المنطقة العربية ·

أعلن كارتر قبل انعقاد مؤتمر كامب ديفيد : « أن مهمتنا الاساسية بالنسبة لازمة **الشرق الاوسط** تنحصر في دفع الفرقاء المعنيين نحو مزيد من التفاهم والانفتاح والايجابية ، مع الحرص على ابقاء التحرك الديبلوماسي حيا مخافة أن تصل القضية الى نقطة الجمود والفشل ··· والحرب الخامسة · لذلك نحن نلعب دور **المراقب** لا دور **الشريك** ، دور **المنسق** لا دور **الحكم**»·

لكن الذي تبين أنهم لعبوا الدور الاساسي ، الدور الذي الزم طرفي الصراع بقبول الصيغة التي قدمها · هل كان ذلك صدفه ؟ ام ان وصول المفاوضات الى طريق مسدود فرض عليه لعب مثل هذا الدور ؟ من الواضح انه ما ان دعى لعقد قمة كامب ديفيد الا بعد ان هيأت كل الاجواء لقبول الاتفاق اذي تم التوصل اليه وما اشيع عن الاجواء التي سادته تخدم نفس الاهداف ·

لقد نزل الاتفاق كالصاعقة على المنطقة العربية ، اذ جاءت نتائجه اكبر واخطر من كل التوقعات ، اذ تم الاتفاق على الانسحاب الكامل من سيناء خلال فترة تمتد بين سنتين وثلاث سنوات ، يتخللها التوقيع على معاهدة صلح واستسلام كامل في فترة تتراوح بين ثلاثة اشهر وتسعة أشهر من تاريخ توقيع الاتفاق في **كامب ديفيد** ، بناء قاعدتين عسكريتين جويتين في النقب على مقربة من سيناء للعدو الصهيوني ، مع مد خط بري يصل العقبة (ايلات) **بشرم الشيخ** مرورا بسيناء ، تحديد حجم القوات التي ستتواجد في سيناء بعد الانسحاب في ظل السيادة المصرية ؟؟؟؟ وضمان حرية الملاحة في قناة السويس ، واقامة علاقات طبيعية معه ، اقتصادية ، ديبلوماسية وثقافية مع الغاء المقاطعات الاقتصادية التي كانت قائمة فيما بينهما ·

ان ملخصا لاهم النتائج المترتبة عن اتفاق كامب ديفيد للامبريالية والعدو الصهيوني يتحدد في :

- تثبيت استمرار الهيمنة الامبريالية على المنطقة من خلال تفتيت وحدة الموقف العربي الرسمي بسحب بعض اطرافه بشكل كامل للصف الامبريالي الصهيوني ·
- اعتبار كل من مصر والعدو الصهيوني الركيزة الاساسية لتشكيل حلف امبريالي صهيوني رجعي في المنطقة لتنفيذ السياسة الامبريالية بضرب القوى التقدمية والثورية العربية ولمنع الخطر الثوري من الامتداد للمنطقة وخاصة الخليج العربي ، كمقدمة لاندماج اطراف عربية اخرى في هذا الحلف ·
- اعتبار روح **مؤتمر كامب ديفيد** والاتفاقات التي تمخضت عنه الاساس الذي يتبع للوصول لاتفاقات اقليمية جديدة في المنطقة كحل لازمة الشرق الاوسط ·
- اعطاء ازمة الشرق الاوسط مضمونا جديدا يتجاوز كل المواثيق الدولية والعربية فيما يتعلق بمستقبل القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية الثابتة (حق العودة ، حق تقرير المصير ، وحق اقامة دولته المستقلة) في ظل قيادته **منظمة التحرير الفلسطينية** ، على اعتبار ما توصل اليه اتفاق **كامب ديفيد** الاطار الوحيد لحل المشكلة الفلسطينية ·
- كسب العدو الصهيوني بذلك ، الارض ، والاعتراف ، والعلاقات الطبيعية معه ، كما حقق نوعا من الخرق لحاجز

Digitized by Birzeit University Library

العزلة الذي يحيط به في المنطقة ، على اعتباره من دول المنطقة وليس من خارجها وعدوا لشعوبها .

● قلب ميزان القوى بشكل كامل لصالحة العدو الصهيوني ، (بعد تخلي مصر اكبر قوة عربية عن دورها في الصراع معه) .

● ايجاد نوع من حالات اليأس لدى جماهير الشعب العربي والفلسطيني من امكانية تحقيق انتصار على الامبريالية والعدو الصهيوني .

● عدم تحديد شكل السيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة بعد انتهاء المرحلة الانتقالية ، يعني تحقيق اطماع العدو الصهيوني بعدم تخليه عنها وتمسكه الدائم فيها .

● اعتماد القدس واحدة وموحدة ولا مجال لتقسيمها على اعتبارها العاصمة التاريخية المستقبلية للكيان الصهيوني .

ردود الفعل العالمية والعربية على نتائج المؤتمر .

ان ردود الفعل على نتائج مؤتمر كامب ديفيد واضحة وصريحة من قبل كافة القوى العربية والعالمية ... فمنها من أيد الاتفاق وأشاد به بشكل كبير واعتبره انجازا عظيما يجب السعي لتحقيق خطوات مشابهة مع الاطراف العربية الاخرى . ومنهم من رفض الاتفاق بشكل مطلق لدرجة أنه لن يناقش ما ورد في الوثيقتين الاولى والثانية من نقاط وما احتوته من غموض ومغالطات وتناقضات (الاعتقاد انها مقصودة) لانه يرفض الاتفاق من حيث المبدأ وليس الشكل . وموقف اخر تحفظ ولم يبد أي موقف مؤيد او رافض .

- الطرف الاول المؤيد : فيتمثل في الدول التي شاركت بالمؤتمر بالاضافة لبريطانيا ، ويوغسلافيا ، واليابان ، وبعض بلدان اوروبا الغربية .

- الطرف الثاني الرافض : ويتمثل بموقف جبهة الصمود والتصدي ، والعراق اضافة الى الاتحاد السوفييتي، والسعودية، والاردن (الذي لديه اسبابه التي ستتوضح فيما بعد) ودول الخليج العربي واليمن الشمالي .

- الطرف الثالث المتحفظ : ويتمثل ببعض دول أوروبا الغربية ، رومانيا ، والصومال ، والمغرب ، وموريتانيا ، وبعض البلدان العربية مثل : السودان الذين لم يعلنوا عن موقفهم رسميا لكنهم ضمنا مع الاتفاق .

ان مصالح كافة هذه الاطراف تحدد موقفهم من هذا الاتفاق (رفضه او قبوله) .

لكن ما يجب الوقوف عنده هو لبنان والاردن والسعودية وموقف كل منهما من الاتفاق . لبنان التي ارتهنت مشكلته بوجود حل لازمة الشرق نأخذ بعين الاعتبار وجود نصف مليون فلسطيني على ارضه ، جاءت النتائج لتزيد من المشكلة تعقيدا ، اذ ان ما تم الاتفاق عليه في الوثيقة الاولى التي تتعلق بمستقبل الحل في الضفة الغربية وغزة ، هو انه « بتشكيل » او « بانتخاب » (حسب ما ورد في بنود الوثيقة) سلطة الحكم الذاتي سيتم الاتفاق من سيسمح له بالعودة وبالتالي تحديد العدد الذي سيوافق على عودته ، وهذا يعني ان من سيعودون لن يزيدوا عن نسبة ١٠ بالمئة وهذا يعني ضمنا توطين ٩٠ بالمئة من الفلسطينيين في لبنان مما حدا بالسلطة اللبنانية محاولة معرفة حقيقة هذا الامر وكيفية تناول المشكلة اللبنانية في مؤتمر كامب ديفيد .

كما ان القوى اليمينية قد جن جنونها اذ اعتبرت ان هذه ضربة قوية اليها من حلفائها يجب اعادة النظر حولها .

اما ما يمكن حدوثه في لبنان ... فنتيجة لاتفاق كامب ديفيد واعلان جبهة الصمود والتصدي رفضها لكل ماورد في الاتفاق والعمل لافشاله ، وانسجاما مع

Digitized by Birzeit University Library

المخطط الذي يهدف ضرب القوى الوطنية والتقدمية تمهيدا لتصفيتها ليتسنى ترتيب اوضاع المنطقة بالشكل الذي يخدم اهداف الامبريالية والصهيونية والرجعية ، ستوجه ضربات عسكرية يقوم بها العدو الصهيوني بشن اعتداءات على قواعد المقاومة الفلسطينية وعلى مواقع قوات الردع السورية ، (على اعتبار هذه القوى تعمل على عرقلة الاتفاق) ، يرتبط هذا بالدور التصعيدي الذي ستقوم القوى اليمينية اللبنانية (الجبهة اللبنانية) المرتبطة بالامبريالية وبالعدو الصهيوني ، مع محاولة اثارة مجموعة من المشاكل تهدف لزيادة اتباع الصف المعادي للقوى الوطنية اللبنانية وللمقاومة الفلسطينية .

اما فيما يتعلق بالاردن ووضعه : ـ

فان النظام الاردني قد بارك عقد مؤتمر كامب ديفيد واعلن موافقته على المشاركة حال وصوله الى نتائج واضحة وملموسة وان وجوده ـ الملك حسين ـ في لندن فترة انعقاد المؤتمر وبقائه على اتصال مستمر مع السادات يؤكد ذلك . الا انه رغم ذلك فقد حذر الاردن على لسان الملك حسين من فشل كامب ديفيد والنتائج التي ستترتب على ذلك اذ قال في مقابلته لشبكة الاذاعة الامريكية (اي . بي . سي) مع **بربارة وولترز** من انه يعتقد بأن « العالم العربي سيشعر بانه قد خذل (وانه) واثق من ان هناك قوى في هذه المنطقة ستحاول استغلال ذلك ، الى اقصى حد ممكن ، كما ان الولايات المتحدة تواجه محكا خطيرا جدا في المنطقة كلها . واعتقد ان سمعتها كقوة عظمى وكقوة للسلام في هذه المنطقة ستكون في الميزان » .

كما حذر من ان فشل المفاوضات المصرية ـ الصهيونية في **كامب ديفيد** ، قد يؤدي الى « انقلابات يسارية في العالم العربي » ما لم يتم تحقيق تقدم نحو السلام بطريقة ملموسة .

بعد الاستعداد للمشاركة في المفاوضات والتحذير من فشله . يتخذ الاردن موقفا يرفض به الاتفاق بكل ما نص عليه فيما يتعلق بمستقبل الضفة الغربية وغزة ويعود ذلك للاسباب التالية : ـ

■ لم يحقق الاتفاق اهداف الملك حسين وطموحاته في ضم الضفة الغربية للاردن .

■ المطلوب من **الاردن** التوقيع فقط اي التنازل عن حقها بالمطالبة بالضفة الغربية كجزء من **الاردن** (اي كشاهد زور) لصالح **العدو الصهيوني** .

■ اعطاء الاردن دورا هامشيا اي دور **الشرطي المساعد** في ظل سيادة الاحتلال في الضفة .

■ لم يعترف اي بند بدور للاردن في الضفة الغربية بعد انتهاء المرحلة الانتقالية (اي بعد خمس سنوات) .

■ ان ٦٠ بالمئة من مواطني الاردن فلسطينيون يشاركون بجميع مؤسسات الدولة (الجيش والامن) ، ويلعبون دورا هاما في الاقتصاد الاردني ، مما يخلق حالة من الارباك تشل النظام الاردني وتساعد على اعادته للوراء (الى امارة شرق الاردن) .

ان النظام الاردني من الذكاء لدرجة انه قادر على التكيف مع الواقع والتعاطي معه بالشكل الذي يخدم اهدافه في الوقت الذي لا يجد الامور تسير بالشكل الذي يريد . لذا فعلينا ان لا نغفل حقيقة هذا النظام العميل للامبريالية وموقفه التاريخي المعادي لحركة الجماهير وقواها الوطنية

كما ان الموقف السعودي لا يقل اهمية ان لم يزيد عن الدور الاردني وان سبب رفض السعودية لاتفاق كامب ديفيد للاسباب التالية : ـ

■ اعادة الولد الضال (السادات) الى حظيرة والده (السعودية) الذي خرج عن ارادته .

Digitized by Birzeit University Library

■ اهمال الامبريالية للدور السعودي الذي يجب اطلاعه على كل التحركات والترتيبات التي ستتخذ في المنطقة وتقرر مستقبلها لتتخذ الاجراءات المناسبة مسبقا لتطويق اية ديول لها .

■ خشية الرجعية السعودية ان يؤدي الاتفاق الى تفجير الاوضاع في المنطقة ، لذا ستضطر للتريث في الاعلان عن مواقفها حتى تستطيع بشكل او باخر ، الالتفاف ومن ثم تنفيس اي موقف جذري يمكن ان يتطور ويشكل خطرا يهدد وجودها في المنطقة .

■ العمل على استمرار بقائها كقائدة للانظمة العربية ، او اعادة دورها في قيادة المنطقة من خلال عملها الدائم تحت شعار التضامن العربي وتوحيد كل الجهود العربية في وجه العدو الصهيوني ، الذي تزعزع في الاونة الاخيرة .

■ ان تخلي السادات عن قضايا العرب المصيريه وخروجه على ميثاق جامعة الدول ، ومؤتمرات القمة العربية يجعل اية تغطية سعودية مباشرة له موافقة ، بل مشاركة فعلية معه في التآمر على وحدة الصف العربي .

■ النقطة المركزية للسعودية التي تتحرك بها باسم التضامن العربي هو ضرورة التصدي (للخطر الشيوعي) ومنع انتشاره ، اذ لن يتحقق هذا في ظل الاوضاع المتفجرة الراهنة .

يجب ان لا ننسى دور السعودية بعد مبادرة السادات الخيانية لزيارة القدس المحتلة ، او التي لم تتخذ الموقف المؤيد لها . لكنها اخيرا وبعد ان وصلت المبادرة الى الطريق المسدود (الى الفشل) قامت السعودية محاولة انقاذها من خلال تبهيت صورة جبهة الصمود والتصدي . كما يجب التنبه الى ان كافة الدول الخليجية واليمن الشمالي يرتهن موقفهم دائما بالاتجاه الذي يتخذه الموقف السعودي

□ **العقبات التي تواجه تنفيذ الاتفاق :**

توجد عقبات متعددة تقف في وجه التسوية الاستسلامية اي تنفيذ الاتفاق ، ولا بد من تحديدها : ـ

■ عقبة المستوطنات في سيناء ، ولكن هذه العقبة يمكن تجاوزها .

■ العقبة الفلسطينية وتتعلق برفض اي اتفاق يطمس الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني باستعادة التراب الوطني الفلسطيني كاملا ولا يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد ، واعتبار القدس جزء اساسي غير منفصل عن القضية الفلسطينية .

■ العقبة العربية والتي تتمثل بالموقف السوري بشكل خاص والعربي بشكل عام الذي يرفض اي حل جزئي للصراع مع العدو الصهيوني والاعتراف بحقه على اي جزء من الاراضي العربية .

■ العقبة المصرية والتي تتمثل في رفض الشعب المصري وقواه الوطنية للاتفاق حيث تعمل على محاربته بكل قوة لافشاله .

■ العقبة الاردنية والتي تتمثل بالموقف الاردني للاسباب التي ذكرت مسبقا .

■ العقبة السعودية والتي لن ترضى بالاتفاق الذي لن يحقق اعادة السيطرة السعودية في قيادتها للمنطقة من جديد .

■ العقبة الدولية وخاصة السوفييتية التي ترفض الاتفاق المؤامرة على حساب القضية العربية عموما والفلسطينية بشكل خاص .

■ العقبة الصهيونية التي لن ترضى بأي حل يمكن ان يتعارض مع مفهومها لعملية التسوية للمنطقة من اي طرف من الاطراف .

بالطبع ، النسب تتفاوت في تأثير كل عقبة عن الاخرى على عملية الاتفاق .

□ **جبهة الصمود والتصدي وما يمكن ان تمثله :**

ان ما تضمنه البيان الختامي لجبهة

Digitized by Birzeit University Library

الصمود والتصدي ، والاعلان عن مبادىء ومؤسسات جبهة الصمود والتصدي يعتبر خطوة لا بل خطوات الى الامام

وان اعتبار الجبهة كأداة للامة العربية وكقاعدة للنضال القومي تعمل على تعبئة وحشد كل الامكانات العربية لمحاربة الامبريالية والصهيونية ولمحاربة نتائج مؤتمر كامب ديفيد خطوة الى الامام ايضا ، وان تشكيل قيادة عليا ، ولجنة سياسية ، واخرى اعلامية ، وثالثة عسكرية لديها مسؤولياتها المحددة والواضحة تخضع كل الجيوش والقوات العسكرية لقيادتها خطوة ايجابية ايضا.

وان التطرق للمهام القومية في المنطقة العربية وتحديد موقف اتجاه كل منها ، بما فيها دعم نضالات الشعوب الافريقية ضد الامبريالية والرجعية والتميز العنصري ، والتاكيد على تعزيز علاقة التحالف مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الصديقة يؤكد على ان الجبهة قد وضعت الاساس النظري السليم لتحركها وعلى كافة المستويات ...

ان تاكيدها على الحقوق الفلسطينية الوطنية الثابتة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وتقديم كل الامكانات مع عدم السماح بالمساس بهذا الحق ، ينقصه فتح كافة الجبهات امام العمل المسلح الفلسطيني لممارسة النضال المسلح المشروع ضد العدو الصهيوني من كافة الاراضي العربية . كما ان تقديم الدعم هذا يتطلب تقديم الدعم المماثل للحركة الوطنية اللبنانية في تصديها جنبا الى جنب مع المقاومة الفلسطينية للعدو الصهيوني والقوى اليمينية المرتبطة معه . كما ايضا فان ضرورة الوقوف بجدية امام الحركة الوطنية في مصر العربية وتقديم كل الدعم والامكانات لها شرط لا بد منه من أجل تطوير نضالاتها لاسقاط نظام السادات العميل . يرتبط هذا الشرط بقطع العلاقات الاقتصادية والسياسية بالنظام الساداتي العميل .

بشكل عام فان المقررات ايجابية نظريا، ويجب اعتبار الاساس في تنفيذ هذه المقررات حتى لا تعود الجبهة الى المكان الذي ابتدأت منه (اي تراوح مكانها) لقد علمتنا الايام ان نتوقع كل الاشياء وننبه لها . كما ان كل البرامج والمقررات مهما كانت ثوريتها اذا لم تجد الاداة القادرة على تنفيذها وتطويرها باستمرار، فستفقد مبرر وجودها ... لذا فان ما يأمله كل فرد منا ان تكون الاهداف بمستوى الامال التي علقتها جماهير شعبنا العربي المعطاءة لتحقيقها .

من الضروري التاكيد على ان المقررات والبرامج والاتفاقات ليست هي الاساس بقدر وجود الاداة القادرة على تنفيذ ذلك وكما ينطبق هذا المثل على السادات والاتفاقية الخيانية التي تم التوقيع عليها من حيث القدرة على تطبيقها ، ينطبق على جبهة التصدي والصمود ايضا ...

● **الخلاصة :**

ان احتمالات النجاح والفشل للاتفاق الذي تمخض عنه مؤتمر كامب ديفيد تتحدد في مدى تاثير العقبات التي وردت مسبقا ، في نجاحه او فشله اذ ان الظرف الموضوعي الراهن يساعد على افشال الاتفاق (المؤامرة) شرط توفر العامل الذاتي الثوري القادر على الاستفادة من هذا الظرف وتسخيره لخدمة اهداف الجماهير العربية بافشال المخططات الامبريالية الصهيونية الرجعية (وبمحاربة نتائج اتفاق كامب ديفيد).

ان احتمالات نجاح تنفيذ هذا الاتفاق ضعيفة للدرجة التي يصعب المراهنة على امكانية تحقيقها بسبب كثرة العقبات والعوائق التي تعترضها .

يبقى علينا ان نكرر بأن اي اتفاق

Digitized by Birzeit University Library

يعقد بين اربعة جدران لا يعبر عن امال الجماهير واهدافهـــا سيكون مصيره الفشل ·

ان جماهير شعبنا العربي ، في المنطقة العربية ، لن ترضى بتمرير المؤامـــرة الخيانية ، وستحاربها بكل قوة وبـدون هوادة ، ان هذه الجماهير المعطـــاءة دائما لن تبخل ببذل كل جهد وتضحية في سبيل تحقيق امالها وطموحاتهـــا القومية ·

ان العمل الثوري الجـاد والدؤوب ضمن برنامج عمل ثوري وتصميم كامل على ترجمـــة هذا البرنامـج ووضعـه موضع التنفيذ ، مـــع عدم التـــواني والتباطؤ في تحقيقـــه ، نكون قد وضعنا الاساس الذي نستطيع به مـــن تعبئـــة وحشد كل الطاقات العربية الجماهيرية الكامنة للتصدي لابشع واخطر المؤامرات التي تستهـــدف حق شعبنا العربـــي بـــالتحـــرر والاستقـــلال السياسي والاقتصادي ·

في الاسواق الآن

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام

التربية الاشتراكية

حكمت عبدالله البزاز

دراسة هامة في مجال بناء صرح المفهوم التربوي والقومي الـــثوري المنشود · انبثاقا من الفلسفـــه الاجتماعيـــة للثورة وانسياقا مع اهدافها الاشتراكية ·

توزيع / الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

Digitized by Birzeit University Library

القمع السادات "للديمقراطية" في مصر

ـ ٢ ـ

إعداد: عزة إمام

تنشر « الكاتب الفلسطيني » هذه المجموعة من الوثائق استكمالا للدراسة التي نشرت في العدد الماضي .

وتود « الكاتب الفلسطيني » ان تعرب عن اسفها للخطأ الفني الذي وقع في المقال المنشور في العدد الماضي حيث سقطت فقرات في الصفحة الثالثة من المقال (ص ١٢٤ من المجلة) .

واذ نتلافى الخطأ ، الآن ، بنشر الفقرات التي سقطت فاننا نرجو من القارىء ان يضعها في سياقها الاصلي حيث تقع في الصفحة المذكورة من العدد الماضي ، العامود الثاني ، ما بعد السطر الثالث عشر : « فهي تتحدث عن مشاكلها ، وازماتها ... »

Digitized by Birzeit University Library

ومعاناتها اليومية المباشرة، وكذلك مصالحها البعيدة، وتفضح الصفقات المريبة للوزراء واصهار الرئيس واقربائه ، وتعري « الرأسمالية العائلية » ومليونيرات السلطة ، وتكشف فساد النظام وتفسخه .

لقد تعرضت « الاهالي » للمصادرة ، اكثر مرة ، وحمل السادات عليها ، في خطاباته المتلاحقة ، متهما اياها بأنها « اصبحت منشورا يدعو الى اثارة الطبقات على بعضها » . اما كوادر التجمع وقواعده فمنهم من تعرض للفصل ، او نقل مقر عمله الى بلدة اخرى بعيدة عن مكان اقامته ، ومنهم من تعرض للاعتقال والضرب والاهانات ، وجاءت « مبادىء » الاستفتاء لتشدد قبضة القمع والمحاصرة ضد قيادات الحزب ، ونوابه ، وكوادره ، وانصاره ، ومؤيديه ، ومنها مبدأ «الحرمان من تولي وظائف الادارة العليا في الدولة ، او القطاع العام ، او الترشيح لعضوية مجالس ادارة النقابات العامة ، او المهنية، او الكتابة في الصحف ، او العمل من اي وسيلة من وسائل الاعلام ، لكل من يثبت انه يدعو ، او يشارك ، في الدعوة ، لمبادىء تتناقض مع احكام الشرائع السماوية او تعرض بها » كما ان بندا اخر قد صيغ بعناية ليساهم في محاصرة التجمع والوفد ، في آن واحد ، والذي ينص على انه :

« لا يجوز الانتماء للاحزاب السياسية ، او ممارسة اي نشاط سياسي ، لكل من يثبت ضده انه اتى افعالا من شأنها افساد الحياة السياسية في البلاد ، او تعريض الوحدة الوطنية ، او السلام الاجتماعي للخطر ، سواء أكان ذلك بالذات او بالوساطة ، وسواء أكان بصورة فردية، او من خلال تنظيم حزبي ، او تنظيم معاد لنظام المجتمع » .

وبهذه الصياغة المبهمة لبنود الاستفتاء، يمكن ان يقع أي انسان تحت طائلة القانون ، وتحت شعار « الديمقراطية » التي يريد السادات ان يحولها الى واجهة للاستهلاك المحلي والعالمي وهي لا تحمل غير الاسم فقط .

وبعد الاستفتاء بأيام قليلة ترجمت « مبادئه » القمعية الى مشروع قانون ، حول الى مجلس الشعب ، واجتمعت اللجنة التشريعية في اليوم نفسه ، وفي جلسة عامة واحدة اقر اخطر قانون في تاريخ الحياة السياسية في مصر - في حين ان قانون الضرائب ما زال يناقش منذ ثلاث سنوات - . ووافق على مشروع القانون نواب حزب مصر والاحرار الاشتراكيين (الوسط واليمين) ، واعترض نواب الوفد واغلبية المستقلين ونواب التجمع ، وكان تعليق النائب خالد محي الدين ، رئيس حزب التجمع ، على القانون بأنه « فصل الختام بالنسبة للحياة الحزبية في مصر » .

وجاءت ردود الفعل متباينة بعد اقرار قانون « حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي » ، ففضل حزب الوفد الانسحاب من ساحة العمل السياسي ، واعلن حل نفسه ، وذلك لرفضه الاجراءات « التي تحرمه من رئيسه وزعمائه ، بطريقة غير دستورية ، وغير مبررة ، وتجعله غير قادر على ممارسة وظائفه» كما جاء في البيان الذي صدر عن الجمعية العمومية للحزب .

وكان قرار حل الوفد صفعة موجهة لتجربة السادات « الديمقراطية » ، والتي كان السادات يحاول الاستمرار بها ، كواجهة لامعة ونظيفة ، وفي غاية « الديمقراطية »، بينما باطنها القمع ، والتحكم ، والعفن ، وهو ما لم ولن يتحقق طالما الحركة الوطنية حاضرة وواعية لسياساته ومراميه .

اما الكتاب والصحافيون والفنانون المصريون ، داخل مصر وخارجها ، والذين شنت السلطات المصرية ضدهم حملة

Digitized by Birzeit University Library

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

نشرة اعلاميـــة عاجلة

صباح يوم ١٩٧٨/٥/٤

السيد المحترم

يتشرف حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي ان يهديكم خالص تحياته وان يبلغكم بما يلي :

- في ١٩٧٨/٤/٣٦ تقدمت سكرتارية حزبنا بمدينة كفر الدوار باخطار المأمور بندر شرطة كفر الدوار بأنها سوف تقيم سرادقا في شارع بور سعيد بالمدينة وذلك لاقامة حفل جماهيري بمناسبة العيد الثاني لتأسيس الحزب وعيد اول مايو وحددت الموعـد كتابة بالساعة السادسة مساء يوم الخميس ١٩٧٨/٥/٤ وان السيد خالد محي الدين مقرر الحزب سوفيحضر الاجتماع ويلقي خطابا سياسيا فيه ومعه وفد من السكرتارية العامة.

- علم حزبنا ان السيد اللواء عبد الحليم حتاتة محافظ البحيرة قد عقد اجتماعا طارئا لقيادات الحزب الوسط الحاكم يوم ١٩٧٨/٤/٢٧ لمناقشة كيفية منع عقد هـذا المؤتمـر .

- ومنذ ذلك الحين بدأت سلسلة من المؤامرات تستهدف منع عقد المؤتمر .

- وفي منتصف ليلة ١٩٧٨/٥/٢ اتصل احد ضباط مباحث امن الدولة بسكرتير لجنة المتابعة بالحزب ليبلغه ان قرارا « من اعلى » قد صدر بتعطيل الاجتماع .

- في صباح ١٩٧٨/٥/٣ اتصل السيد خالد محي الدين مقرر الحزب بالسيد وزير الداخلية ليسأله عن حقيقة الامر ولما كان السيد وزير الداخلية بالاسكندرية في ذلـك الوقت فقد خاطبه السيد الدكتور مدير مكتبه الذي اكد انه لا علم له بأي قرار من هذا القبيل ووعد بالاتصال بالسيد الوزير ومعاودة الاتصال بالحزب . لكنه لم يتصل .

- وبناء على ذلك اجتمعت لجنة المتابعة وقررت مواصلة الاعداد لعقد المؤتمر واتصل احد اعضائها بمباحث امن الدولة متسائلا عن سبب اشاعة قرار منع المؤتمر فكانـت الاجابة ان الامر ليس في ايديهم وانه يبحث على « اعلى المستويات » .

- وفي منتصف مساء يوم ١٩٧٨/٥/٣ اتصل احد ضباط مباحث امن الدولة بسكرتير لجنة المتابعة ليبلغه نص القرار التالي : لما كان حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي قد تقدم بطلب لعقد اجتماع في مدينة كفر الدوار ولما كان حزب مصر العربي الاشتراكي قد تقدم بطلب تال لعقد اجتماع في نفس الموعد وفي نفس المكان . وتلافيا لاي اخلال بالامن فقد تقرر الغاء المؤتمرين .

Digitized by Birzeit University Library

ان حزبنا يود ان يسجل ما يلي :

1) انه من الغريب الا يجد حزب مصر مكانا وموعدا مختلفا عن موعد ومكان انعقاد مؤتمرنا ولكن الواضح ان حزب مصر قد استخدم كمطية لتحقيق اغراض اجهزة الامن التي استهدفت من البداية منع عقد مؤتمرنا ٠

ب) كان رد حزبنا على ذلك انه لا مانع لديه من ان يتجاور المؤتمران زمانا ومكانا وانه لا يجد في ذلك ما يخل بالامن العام طالما التزم الجميع بالاساليب الصحيحة للعمل السياسي ٠ ولكن طلبه رفض ٠

ج) عرض حزبنا تغيير موعد او مكان مؤتمره برغم انه كان صاحب الطلب الاول ، ومع ذلك رفضت اجهزة الامن ذلك ٠

الامر الذي يوضح ان التدبير كان يستهدف اولا واخيرا حرمان حزبنا من عقد مؤتمر جماهيري يحتفل فيه بعيده الثاني ٠٠٠ خاصة وان هذه ليست الحادثة الاولى ففي نفس اليوم ١٩٧٨/٥/٣ قرر مأمور قسم حلوان منع لجنة حزبنا بالحي من اقامة معرض بمناسبة عيد اول مايو ٠٠٠

وقبل ذلك بأيام احتشدت قوات الامن المركزي لتحاصر قرية كمشيش ولتمنع وفد السكرتارية العامة ووفود المحافظات من مشاركة لجنة حزبنا بالقرية في الاحتفال بذكرى استشهاد احد ابطال القرية على يد عتاة الاقطاعيين ٠٠

ان حزبنا اذ يضع هذه الحقائق امام الرأي العام ليود ان يسجل استنكاره الشديد لهذا الاسلوب البوليسي في حرمان المعارضة المشروعة من حقها في ممارسة نشاطها القانوني في مخاطبة جماهير الشعب ٠٠

اننا نشهد الرأي العام على حقيقة « الديمقراطية » التي يسعى حزب الوسط الحاكم لفرضها وعلى حقيقة الارهاب والقمع الذي تشنه اجهزة الامن ضد حزبنا وكوادره ٠

اننا نعاهد الرأي العام على اننا سنواصل نضالنا من اجل ديمقراطية صحيحة ومن اجل حقنا في مخاطبة جماهير شعبنا التي وهبنا حياتنا لخدمتها وخدمة اهدافها ٠

مقرر حزب

التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

خالد محي الدين

Digitized by Birzeit University Library

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

بيان من السكرتارية العامة

يطرح المواطنون كثيرا من التساؤلات حول التطورات السياسية الاخيرة لماذا حدثت؟ وما هي دلالاتها الحقيقية ؟ وماذا يمكن ان يترتب عليها من نتائج ؟ وكيف يمكن مواجهة نتائجها السلبية ؟ وما هي القوى المسؤولة عن ذلك ؟

وترى السكرتارية العامة لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي من واجبها ان تعرض على الشعب المصري بمختلف طبقاته الاجتماعية وقواه السياسية رؤيتها لهذه الاحداث ، خاصة وانها تؤثر بشكل مباشر على مستقبل البلاد .

ففي السنوات القليلة الماضية واجهت مصر ظروفا صعبة .. فهناك ازمة في القضية الوطنية قضية تحرير الارض . وازمة اقتصادية ، وازمة اجتماعية ، وازمة فكرية ثقافية .. وبينما تتطلع جماهير الشعب ومختلف القوى السياسية الى خطوات ملموسة لحل هذه الازمات ، وتطالب بمزيد من الحريات السياسية والحقوق الديمقراطية ، وترى ان الديمقراطية هي الاطار الامثل لتخطي هذه الازمات ، وتعبئة كل الجهود من اجل الانقاذ الوطني ، اذا بنا نفاجأ بخطاب السيد رئيس الجمهورية في مجلس الشعب يوم ١٤ مايو يعلن عدة اجراءات ، يعتبر تنفيذها عدولا عن التطور الديمقراطي الذي شهدته البلاد في الفترة الماضية ، وسيترتب عليها تصفية المعارضة السياسية كل المعارضة واي معارضة . لانها في الحقيقة ليست موجهة ضد حزب بعينه ولن تمس فقط احدى فئات المجتمع ، بل انها تضيف قيودا جديدة على حركة معظم القوى السياسية في البلاد وعلى الحركة النقابية والجماهيرية وتعوق انطلاق وحرية الابداع الفكري والثقافي والعلمي والمهني لقطاع عريض من المواطنين والمثقفين المصريين .. وبذلك اضيفت ازمة جديدة الى ازمات المجتمع .. هي ازمة الديمقراطية . وبدلا من ان تكون الديمقراطية هي طوق النجاة لوطننا وشعبنا اذا بها تواجه مأزقا يتمثل في تصفية المكاسب المحدودة التي تحققت في الفترة الماضية واضيف عبء جديد على كاهل الشعب المصري عبء مواجهة الازمة الديمقراطية الجديدة .

لهذا فانه لا بد من موقف واضح من هذه الاجراءات .. يناقشها ويتعرف على نتائجها ويحدد كيف يواجهها ومن الطبيعي ان يأتي الاستفتاء في مقدمتها لانه الضربة الرئيسية الموجهة للممارسة الديمقراطية .

اولا :

ان الاستفتاء المقترح اجراؤه بعد اسبوع ، يتضمن عديدا من المخالفات الدستورية ويمس امن المواطنين ، وكيان المجتمع ، ومستقبل الديمقراطية في مصر ، ويتضح ذلك مما يلي :

١ ـ ان التعرض لمعتقدات المواطنين الدينية والتشكيك في ايمانهم برسالات السماء ،

Digitized by Birzeit University Library

يتناقض مع الشريعة الاسلامية السمحاء ، التي حددت بوضوح قاطع ان التكفير لا يكون الا في احدى حالتين : ان ينكر الانسان وجود الله او ينكر ما هو من الدين بالضرورة . اما حين يلتزم الانسان الصمت او يعلن الايمان فلا وجه لتكفيره بحال من الاحوال ، فحين يلتزم الصمت يصبح امرهُ الى الله سبحانه وتعالى الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وحين يعلن الايمان لا بد مـــن ان نصدقه لان الايمان يكتفي فيه بالاعتراف .

كذلك فان تبني المواطن لمنهج في التحليل السياسي او نظرية معينة في السياسة او الاجتماع او الاقتصاد لا يعني بذاته تخلي هذا المواطن عن عقيدته الدينية وتبقى الحجة على من يدعي غير ذلك .

ان الحضارة العربية الاسلامية لم تعرف ولم تقبل اتهام الناس في دينهم ، كذلك فان شعبنا المصري على امتداد تاريخه القديم والحديث كان اعظم من ان يمارس هذه الخطيئة ، وكان دائما وما يزال باقباطه ومسلميه مثالا لاتساع الافق وسماحة النظرة .

يضاف الى هذا كله ان الاستفتاء في هذا الموضوع يخالف الدستور الدائم للبلاد ، حيث تنص المادة ٤٠ على ما يلي « المواطنون لدى القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس او الاصل او اللغة او الدين او العقيدة » اننا نرفض استفتاء الناس في هذا الموضوع تمسكا بالشريعة الاسلامية ، والتزاما بروح الحضارة العربية الاسلامية ، وتقاليد الشعب المصري ، واحتراما للدستور الدائم .

٢ – اننا نرفض استفتاء المواطنين حول الموقف من السياسيين الذين شاركوا في احزاب ما قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهل يسمح لهم بمباشرة حقوقهم السياسية ، لاننا مهما اختلفنا معهم في الرأي فاننا ضد اتخاذ اي اجراء استثنائي ضدهم والعودة الى العزل السياسي مرة أخرى . وقد اكد السيد رئيس الجمهورية طوال السنوات الماضية على انه لن يسمح بالعودة الى العزل السياسي مرة اخرى .. اننا نتخذ هذا الموقف تمسكا منا بالدستور والديمقراطية وثقة منا في قدرة جماهير الشعب على الاختيار السياسي السليم بعد مضي ٢٥ سنة على قيام الثورة .. ان حقها في الاختيار مسؤولية جسيمة نثق في انها ستنهض بها بنجاح .

٣ – ان الاستفتاء على الموقف من المواطنين الذين صدرت ضدهم احكام في قضية مايو ١٩٧١ (القضية رقم (المدعي الاشتراكي) هو في الحقيقة عبارة عن اضافة عقوبة جديدة ضدهم بدون حكم ، ولم تكن قائمة وقت محاكمتهم ، وهذا مخالف لمبدأ عـدم رجعية التشريعات العقابية التي نص عليها الدستور صراحة .

٤ – ان البند الخامس والبند السادس من الاستفتاء يمثلان مخالفة صريحة للدستور لانهما يسلبان اختصاص السلطة القضائية ، حيث اعطيت اختصاصات النيابة العامة في التحقيق للمدعي الاشتراكي ، واعطيت اختصاصات القضاء في اصدار الاحكام لمجلس الشعب الذي هو سلطة تشريع وليس سلطة قضاء . يضاف الى هذا كله ان المدعي الاشتراكي ليس له قانون بحكم تصرفاته حتى الان .

Digitized by Birzeit University Library

٥ ـ ان الصياغات المبهمة والغامضة التي حفلت بها بنود الاستفتاء في تجريم النشاط السياسي للمواطنين سوف توقع اي انسان تحت طائلة القانون طبقا لاهواء اجهزة الادارة والسلطة التنفيذية والحزب الحاكم ، وابرز مثال لذلك ما جاء بالفقرة الثالثة من البند الثاني في الاستفتاء والتي تتجاوز في تجريم النشاط حدود العمل السياسي المباشر ليشمل النشاط المهني والثقافي والعلمي والادبي والفني ، وفضلا عما في هذا الاجراء من تهديد لامن المواطنين ودفعهم دفعا الى تجنب مناقشة قضايا الوطن المصيرية او الاهتمام بها ، فانه يشكل ايضا مخالفة لمواد الدستور رقم ٤٦ عن حرية العقيدة ، ورقم ٤٧ عن حرية الرأي ، ورقم ٤٨ عن حرية الصحافة والطباعة والنشر ، ورقم ٤٩ عن حرية البحث العلمي والابداع الادبي والفني والثقافي .

٦ ـ اما ما يقال عن التشكيك ، وتعريض السلام الاجتماعي للخطر ، فالكل يعلم انه توجد بمصر عشرات بل ومئات القوانين المقيدة للحريات ، والتي تجرم كثيرا من النشاط الفكري والسياسي وحرية الرأي ، وتحفل هذه القوانين بالعديد من العقوبات المشددة لهذه الجرائم ، ومن السهل محاكمة اي انسان طبقا لهذه القوانين خاصة وان حالة الطوارىء معلنة والاحكام العرفية معمول بها . واذا كان قد ظهر رأي يمكن ان يعتبر قذفا او تشكيكا فاننا نرحب بتقديمه للمحاكمة طبقا للقوانين القائمة امام القضاء العادي طبقا للدستور الذي ينص على محاكمة كل انسان امام قاضيه الطبيعي .. اما الاتجاه الى استصدار قوانين عقابية جديدة فهو شهادة للمعارضة السياسية بمختلف اتجاهاتها انها لم تخالف القوانين القائمة .

ثانيا : وبالنسبة للاستفتاء كأسلوب لابراز الارادة الشعبية فاننا نلاحظ ما يلي :

ـ الاصل في الاستفتاء كاجراء دستوري انه يطرح سؤالا محددا حول قضية واحدة لا يحتمل الاجابة سوى (بنعم) او (لا) فقط .

ـ بينما يلاحظ ان الاستفتاء المقترح يطرح عدة قضايا متشابكة ومعقدة ، ولا توجد سوى فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز اسبوع امام الناخبين لابداء رأيهم ، ومن الواجب فتح اجهزة الاعلام والصحافة امام كل الاتجاهات لعرض وجهات نظرها لفترة كافية قبل الاستفتاء .

ـ ان الاستفتاء في مجتمع تتمتع فيه اجهزة الادارة بسطوة غير عادية ، وفي مناخ غير مؤاتي للديمقراطية ، لا يمكن ان يعبر بحق عن الارادة الجماهيرية وهو بذلك يعتبر اجراء غير ديمقراطي ، على العكس من مجتمعات اخرى متقدمة توفر للاستفتاء كافة ضمانات ابراز الارادة الشعبية الحقيقية .

ـ وتدلنا خبرتنا في مصر ان هذه هي المرة الثانية التي يستخدم فيها الاستفتاء خلال عام واحد لتقييد التطور الديمقراطي المحدود الذي اعلنته نفس السلطة التي تتجه للتقييد بالرغم من اننا قبلناه كنقطة بداية قابلة للتطور .

من هذا كله .. من الموضوعات المطروحة للاستفتاء ، ومن ملاحظاتنا العامة على الاستفتاء كأسلوب للتعرف على رأي الشعب فاننا نقول « لا » للاستفتاء القادم وندعو المؤسسات الدستورية والمنظمات الجماهيرية والاجتماعية وفي مقدمتها مجلس الشعب والاحزاب السياسية والمستقلين والنقابات المهنية والنقابات العمالية ونادي القضاة

Digitized by Birzeit University Library

واندية هيئات التدريس بالجامعات والشخصيات العامة من المفكرين والعلماء والفنانين والادباء والكتاب الى رفض الاستفتاء ، وشرح الاخطار المترتبة عليه والمطالبة باجراء مناقشة عامة حول مستقبل مصر تشترك فيها كل القوى الشعبية .

اننا نتوجه بالنداء الى هذه المؤسسات والمنظمات والشخصيات لحماية التطور الديمقراطي الذي حققه المجتمع المصري ، وحماية المكاسب الديمقراطية وخاصة حق تعدد الاحزاب وحق المعارضة والنقد والتعبير عن الرأي ، والعمل على تقوية الاتجاه الى بناء دولة المؤسسات ، وتأكيد مبدأ سيادة القانون والحد من الاجراءات الاستثنائية للتقليل من السلطة المطلقة للفرد .

ان القيود الجديدة التي يراد فرضها على الممارسة الديمقراطية في مصر ليست موجهة ضد حزبنا فقط ولكنها موجهة بصفة عامة للحركة السياسية والجماهيرية وتؤثر على مستقبل الديمقراطية في مصر ، انها تمس حزب الوفد الجديد والمستقلين من اعضاء مجلس الشعب والناصريين خارج حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي ونقابة المحامين ونقابة الصحفيين واختصاصات القضاء .

كذلك فان القيود الجديدة التي يراد فرضها على الممارسة الديمقراطية بهذا الاستفتاء تشوه سمعة مصر الدولية ، لانها تخالف ميثاق حقوق الانسان الذي اصدرته هيئة الامم المتحدة ووقعته مصر . ومن المؤسف ان تفرض هذه القيود في وقت يتميز بأن الدفاع عن حقوق الانسان قد تحول الى ظاهرة عالمية تنافسية ، تحظى بأولوية خاصة في السياسة الدولية الى الحد الذي حتم على بعض رؤساء الدول الغربية ادراجها في مقدمة برامجهم السياسية ، والى الحد الذي اصبحت معه مسألة حقوق الانسان معيارا لمدى تقدم او تخلف السلطة في كل بلد من بلاد العالم .

اننا في الوقت الذي ندعو الى التصويت على الاستفتاء بـ «لا» فاننا نعلم بحكم خبرتنا انه يمكن ان يمر نتيجة بعض الظروف السياسية والادارية في مصر ، ولهذا فاننا نتوجه منذ الان الى جميع اعضاء مجلس الشعب بمختلف اتجاهاتهم السياسية لكي يتحملوا مسؤولياتهم كاملة عند اصدار التشريعات الجديدة المترتبة ، على الاستفتاء . انهم يتحملون مسؤولية تاريخية امام الله والوطن وامام ناخبيهم . وعليهم ان يحافظوا على هذا القدر الذي تحقق من التطور الديمقراطي ، والا يشاركوا او يسمحوا بالعودة بالبلاد مرة اخرى الى سيادة الرأي الواحد والتنظيم الواحد . انها مسؤولية فردية لكل عضو في مجلس الشعب لا يعنيه منها انتماؤه الحزبي . ويجب ان يشعر كل منهم بذلك من خلال مناقشات ناخبيه له واتصال المثقفين به وتوجيه العرائض اليه تشرح له القضية وتحمله نتائجها . اننا في حاجة الى تحرك شعبي واسع النطاق في اتجاه المؤسسات الدستورية والقنوات الشرعية لحث اعضاءها على العمل لايجاد مخرج من هذا المأزق الجديد ، وايجاد حل سريع لازمة الديمقراطية التي كنا نتوقع ان تكون مرشدنا لبر الامان ومواجهة باقي الازمات وما زلنا نأمل ذلك .

ثالثا : واذا كانت الاجراءات والتشريعات المترتبة على الاستفتاء سوف تؤثر في الحركة السياسية بصفة عامة فانه من الواضح ان حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي يواجه بالاضافة الى هذا ، اجراءات وترتيبات خاصة لتقييد نشاطه ، ولهذا فاننا نعرض بايجاز عددا من الحقائق الاساسية حول تجربة الحزب ومستقبله .

Digitized by Birzeit University Library

● ان تعدد الاتجاهات السياسية في المجتمعات الانسانية حقيقة موضوعية نابعة من طبيعة المجتمعات ذاتها وكما قال الرئيس انور السادات اكثر من مرة فانه يوجد بمصر كسائر المجتمعات وسط ويمين ويسار .. ان اليسار المصري حقيقة موضوعية لا يمكن تجاهلها او انكارها او الغاؤها طالما كان هناك مجتمع تشده قوى للجمود واخرى للتغيير .. ولسوف يزداد اليسار المصري نضجا وتبلورا وتعبيرا عن قوى التغيير في مصر كلما ازدادت حاجة هذا المجتمع المصري للتغيير .

● قدم حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي صيغة لوحدة اليسار المصري بكل فصائله ، وقد حققت هذه الصيغة نجاحا ملموسا من خلال العمل في اطار برنامج موحد للنضال السياسي ومن خلال العمل في اطار تنظيم واحد شرعي وديمقراطي . وقد حققت هذه الصيغة نجاحا ملموسا وتحظى باهتمام القوى الوطنية والتقدمية في كثير من الاقطار العربية وبلدان العالم الثالث .

● يحرص حزبنا منذ قيامه على احترام الدستور والعمل في اطار الشرعية ، وذلك بالرغم من كل تحفظاتنا على التجربة الديمقراطية فنحن نتعامل معها باعتبارها نقطة انطلاق مقبولة يمكن تطويرها نحو مزيد من الحقوق والحريات السياسية . ولم تفلح كل العقبات التي واجهتنا وفرضت علينا ان تخرجنا عن نطاق الشرعية والدستور، ونحن نفعل ذلك ايمانا منا بأن التطور الديمقراطي السلمي للمجتمع المصري هو طوق النجاة للشعب ، والطريق الصحيح للانقاذ الوطني ، وتجاوز الازمة التي يعانيها في مختلف المجالات .

ونحن حريصون على الاستمرار في طريق الشرعية ، ومتمسكون بوضعنا كحزب شرعي يتحمل مسؤولياته في النهوض بالبلاد من ازمتها . ويعبر عن المصالح العليا للوطن ، ونحن واثقون في قدرة الحركة السياسية المصرية على تجاوز كل النواقص والعقبات .

● يتصرف حزبنا دائما من موقع المسؤولية ولا يكتفي بالنقد بل انه يمارس دوره بفهم صحيح للمعارضة على انها اسهام في ترشيد واثراء السياسات العامة من خلال تقديم البديل للسياسات المطروحة من الحزب الحاكم ، بالاضافة الى عرض رأيه في كيفية حل المشاكل القائمة . ومن ابرز مواقفنا في هذا المجال تقرير نواب التجمع للرد على بيان الحكومة سنة ١٩٧٧ وسنة ١٩٧٨ وقد تضمن كل تقرير حلولا محددة للمشاكل الاساسية كالاسكان والمواصلات والخدمات واعادة توزيع الدخل القومي واولويات الاستثمار والانفاق الحكومي وتقدم نواب الحزب بمشروعات قوانين متعددة سواء بمبادرة منهم او ردا على مشروعات مقدمة من الاحزاب الاخرى وكلها تمس المصالح الحيوية للناس وبصفة خاصة قطاعات العاملين وصغار الفلاحين والحرفيين . وقدم حزبنا ايضا رأيا متكاملا لحل القضية الوطنية بديلا للسياسة الحالية التي لم تحقق نجاحا يذكر ، وقدم برنامجنا . وكان الرد الوحيد الذي حصلنا عليه هو الاتهام والتجريح ورفض الحوار .

● ومما يلفت النظر ان اسهامنا الايجابي في المعارضة ونقد النواقص القائمة وحرصنا على اثراء الحوار السياسي بآراء مدروسة ، قد ووجه بأسلوب غريب فعندما تحدثنا عن ضرورة تحرير الارض وبناء القوة الذاتية والاعتماد على التضامن العربي

Digitized by Birzeit University Library

باعتبارهما اقوى سلاحين للتحرير اتهمونا بالخيانة والعمالة ، وعندما اقترحنا اللجوء الى اسلوب التنمية الاقتصادية ووضع اولويات عادلة لتوزيع الدخل القومي اتهمونا بالمزايدة على الام الجماهير واثارة الاحقاد ، وعندما تحدثنا عن ضرورة حماية السلام الاجتماعي باقامة العدل الاجتماعي وحصول الفقراء على نصيب عادل من الثروة الوطنية اتهمونا باننا ملحدون وكفرة ، وبالرغم من ذلك فانهم يلهثون الان بحثا عن مصادر السلاح لبناء القوة الذاتية ولعقد مؤتمر تضامن عربي ويدركون خطورة التفاوت الاجتماعي الهائل وضرورة الحد منه .

ان الصحف والمجلات والكتب ما زالت موجودة ولن يمكن محوها وهي حافلة بمئات الواقع التي تؤكد ان كل اسهام منا لحل مشاكل المجتمع قابله اتهاما في ديننا ووطنيتنا. وبالرغم من ذلك فاننا نواصل طريقنا واسهامنا في دراسة الواقع وفهم مشاكله وتقديم الحلول السليمة المحققة لمصالح غالبية المواطنين ولم نتهم احدا في وطنيته او في دينه ان الوثائق موجودة والسجلات محفوظة لن تضيع بل انها ستبقى رمزا لاسلوبين متناقضين في العمل الحزبي : اسلوب اليسار العف الموضوعي واسلوب الاخرين القائم على التشهير والتجريح . وسيحكم الشعب لنا او علينا من خلال هذه الحقائق ولهذا فاننا سنواصل هذا الاسلوب مهما كانت متاعبه خاصة وان مجتمعنا مليء بنماذج شريفة في كل مكان لديها استعداد للتجاوب والاسهام الجاد عندما تقتنع ، ولا يهمها موقع قد تخسره ، او مكسب قد يضيع منها لانها في هذه الحالة تكسب نفسها .. وما اكثر هذه النماذج .

● اننا مقتنعون بسلامة خطنا السياسي ، وتماسك حزبنا ، ووحدة فصائله على اسس ديمقراطية ، ونرفض اي تدخل في شؤونه الداخلية . فقد اولينا اهمية خاصة خلال العامين الماضيين لقضايا الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي وتحالف قوى الشعب العامل وركزنا على أن دعمها والمحافظة عليها تتحقق فقط باقرار المساواة الكاملة بين المواطنين لدعم الوحدة الوطنية ، وتحقيق العدل الاجتماعي كأساس للسلام الاجتماعي ، وتحقيق المزيد من الحريات السياسية والديمقراطية لدعم تحالف قوى الشعب العامل . وما زلنا نرى ان هذا هو الطريق الصحيح لدعم هذه الظواهر والمحافظة عليها .

● اننا لا نخاف الاحتكام الى القضاء فقد كنا نعرف منذ البداية كافة الاحتمالات التي تواجهنا ونحن نعتبر اشخاصنا مجرد مراحل على طريق النضال الطويل للشعب المصري ، وانه يمكن ان تشهد مصر انتصارها النهائي على طريق التحرر والتقدم والديمقراطية والسلام بعد ان يكون معظمنا قد رحلوا عن عالم اليوم ، ونحن لا نأسف على عمل قمنا به او وقت انفقناه من اجل مصر وكادحيها . وعلى العكس من هذا فاننا نشعر بالسعادة بعملنا هذا ونحن متفائلون نتطلع الى غد مشرق وايام كلها سعادة واطمئنان لشعبنا الصامد القادر على تجاوز ازمته وانقاذ وطنه والاتجاه به نحو افاق الحرية والاشتراكية والوحدة .

اننا من موقع المسؤولية نتوجه بالنداء الى المؤسسات الدستورية والاحزاب السياسية والمنظمات النقابية والحركة الجماهيرية والشخصيات العامة .. هذا يوم الصمود دفاعا عن الديمقراطية .. دفاعا عن حق الانسان المصري في حرية اعتناق الرأي والتعبير عنه والدعوة له دون قيود . وما أقسى حكم التاريخ والشعب اذا لم نفعل ذلك في اخر القرن العشرين لبلد وضع أولى لبنات الحضارة الانسانية منذ اكثر من سبعة

Digitized by Birzeit University Library

الاف عام .. واذا بدأ الضحايا في التساقط وجاء الدور على احدكم فلا يلومن الا نفسه .

اللهم قد ابلغنا فاشهد انك نعم المولى ونعم النصير .

تحريرا في : ١٤ مايو ١٩٧٨

اعضاء السكرتارية العامة لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

توقيعات

خالد محي الدين	محمد عوده	د. رمزي فهيم
علي طلخان موسى	د. اسماعيل صبري عبد الله	د. يحي الجمل
رأفت سيف	فتحي محمود مصطفى	لطفي الخولي
حسين عبد الرزاق	حمدي عبد الجواد السيد	ليازي عبد العزيز
عبد الغفار شكر	لطفي واكد	د. محمد احمد خلف الله
صلاح القاضي	غريب نصر الدين	د. لطفي سليمان
صلاح زكي	د. عبد الحميد عطيه	نبيل محمود منصور
جمعه عبده قاسم	د. ميلاد حنا	محمود المراغي
محمد خليل	شوقي عثمان	عبد العظيم المغربي
حسين فهمي	قبارى عبد الله	ابو العز الحريري
حلمي حسن عاشور	مصطفى عاص	

وثيقة « ٣ »

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

وجه الزميل ابو العز الحريري الاستجواب التالي الى وزير الثقافة والاعلام في مجلس الشعب .

الاستجواب :

حول الاجراءات والقرارات التي اتخذتها الوزارة وخاصة في الشهور الاخيرة والتي تتعارض مع الدستور والقانون وتؤدي الى فقدان السيادة المصرية والقضاء على الثقافة والتراث المصري واعادة صياغة العقل المصري بما يحقق المصالح الاجنبية في النهاية الى ان تكون القرارات مصرية الشكل اجنبية المضمون وذلك من خلال :

١ ـ الاتفاق الذي عقده السيد الوزير مع المستثمرين السعوديين في اجتماعه بهم يوم ١٩٧٨/٣/٣ والذي وافق فيه الجانب المصري (سرا ودون الرجوع الى المختصين بغرفة صناعة السينما والفنانين) وعلى مبدأ المشاركة في انشاء مشروعات استثمارية (استثمار في الثقافة والاعلام ؟) على ان تكون مساهمة الجانب المصري بحصة عينية هي دور العرض والاستديوهات والعقارات اللازمة لها وان تكون مساهمة الجانب السعودي بحصة نقدية وان يصدر السيد الوزير قرار بتشكيل لجنة تتولى تنفيذ هذا الاتفاق فصدر

Digitized by Birzeit University Library

فعلا القرار رقم ٤٦ لسنة ٧٨ بتشكيلها والذي حدد مهمة اللجنة في ـ حصر الحصة العينية المصرية وتقييمها تحديد الحصة النقدية التي سيساهم بها الجانب السعودي مباشرة للاجراءات اللازمة لتأسيس الشركات التي ستتولى تلك المشروعات .

ج ـ اعتماد المبالغ اللازمة لمباشرة اجراءات التأسيس .

٢ ـ السماح بانشاء دوائر تلفزيونية مغلقة برأس مال مصري ـ امريكي مشترك ليعطي ارسال يومي لمدة ٦ ساعات تحت عنوان نادي السينما المنزلي .

٣ ـ السماح بانشاء مؤسسة الحرية الدولية (شركة مصرية سعودية ، امريكية) للنشر والاعلان بالتواجد وهي مؤسسة ذات تمويل ضخم يبلغ ٥٠٠ مليون دولار وتعمل في مجالات النشر والاعلان والانتاج السينمائي بل ان الشركة اعلنت انها ستقوم بالتعويض ضد التأميم والحراسة والمصادرة مع ان الدستور المصري يبيح ذلك في حدود القانون واذا ما اضفنا الى ذلك الملابسات التي تحيط بالمستثمر السعودي سابق الذكر وعلاقته كشريك لنجل السيد الوزير في شركة استثمار تعمل في مجال بناء المساكن والتعمير والصناعات الهندسية المتعلقة بها ـ وبالتالي تمتد هذه الملابسات الى السيد الوزير .

٤ ـ لقد اعتبر السيد الوزير ان عملية المشاركة تخضع لقانون استثمار المال العربي والاجنبي رقم ٤٣ لسنة ٧٤ . وبالرغم من ذلك لم يتم الرجوع الى هيئة استثمار المال العربي والاجنبي .

ابو العز الحريري

نائب كرموز

مذكرة ايضاحية

لاستجواب وزير الثقافة والاعلام

لقد تحدد الهدف من الانفتاح الاقتصادي والسماح بمشاركة رأس المال العربي والاجنبي في انه يساهم في خطة التنمية اقتصاديا وركزت القيادة السياسية ومجلس الشعب ومجلس الوزراء دائما على ان الهدف من سياسة الانفتاح هو زيادة الانتاج وخلق فرص عمالة جديدة وتنمية موارد البلاد ولم يتطرق الى ذهن احد اطلاقا اي امكانية للسيطرة الاجنبية على اهم واقدس ما تحرص عليه كل الدول شرقية وغربية ناميه تحت اي شعار من الشعارات بدخول الاستثمار مجال الثقافة والاعلام لان ذلك يفقد السلطة في اي بلد امكانية التوجيه لمستقبل جموع الشعب وبالتالي يتيح للتدخل الاجنبي المستثمر فرصة صنع القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بما في ذلك من اهدار للقيم الروحية والحضارية والثقافية للمجتمع ونحن نجزم بأن مخطط يهودي صهيوني يستخدم بعض الوجوه العربية والاجنبية وهو تمليه واقعا في سيطرة اليهود على وسائل الاعلام والثقافة الغربية ومحاولاتهم من قبل السيطرة عليها في الدول الاشتراكية والتي

Digitized by Birzeit University Library

بلغت ذروتها ابان حركة التطهير في بولندا وبالتالي فان ذلك يعتبر استعمارا غير مباشرا وهو اخطر من الاستعمار المباشر المحدد الملامح .

ولما كانت الامكانيات الوطنية لا تستطيع الوقوف امام المنافسة الواردة من الخارج فان خطر توقف الامكانيات الوطنية في مجالات الثقافة والاعلام فان انتهازها يصبح امرا حتميا .

ولما كانت هذه الامور تتم بشكل انفرادي من السيد الوزير بعيدا عن مشاركة الجهات الاخرى المسؤولة وخاصة مجلس الدولة بالاضافة الى ان هذا التصرف يتناقض مع ما جرت عليه العادة من طرح الامور ذات الاهمية الخاصة الى الحوار العام استفادة من الرأي والرأي الاخر ولو كان ذلك داخل نطاق الحزب الحاكم .

فاننا نرى ان السيد الوزير قد جاوز سلطاته ولم يلتزم بالمصلحة القومية واساء الى سمعة مصر .

١٦ـ٨ـ١٩٧٨ .

ابو العز حسن الحريري
نائب كرموز

وثيقة « ٤ »

حكاية النائب ابو العز الحريري

هي قصة يجب ان تحكى ، وليس لنا عليها تعليق اللهم الا انها جرت تحت شعار الديمقراطية وسيادة القانون ، ودولة المؤسسات .

تبدأ القصة عند فتح باب الترشيح لانتخابات دائرة الجمرك بالاسكندرية بعد فصل النائب السابق الشيخ عاشور ، وتقدم للترشيح عشرة مواطنون من بينهم ممثل حزب مصر وحزب الوفد وحزب التجمع التقدمي .

وللانتخابات لغة خاصة ، وخاصة بعد غيبة للاحزاب تبلغ حوالي ٢٥ سنة ، ومن الطبيعي ان كل حزب كان يطرح من خلال مرشحه برنامجه وافكاره ومبادئه وانجازاته ، ومن الامور الطبيعية ايضا تبادل النقد المباح لما يتم في حدود القانون وبدون اعتداء على المواطنين او قسرهم على افكار معينة ، ولا بد لكل حزب من التعرض للمشاكل الملحة التي يعاني منها شعب مصر من قضية وطنية لم يتم حلها ومشاكل يعاني منها جماهير الشعب ووضع الحلول والاقتراحات لعبور هذه المشاكل وحل هذه الازمات .

وكان من الطبيعي ان يقوم كل حزب بالاشراف على معركة مرشحة الانتخابية وان يشرك في هذا كل من يشاء ، وقد رأينا ان حزب مصر استعان بكل اعضائه من رئيس الوزراء ورئيس الحزب الى الوزراء الى محافظ الاسكندرية ورئيس الحكم المحلي واعضاء مجلس الشعب لتأييد مرشح حزب مصر وعقدوا اكثر من مؤتمر واكثر من لقاء ،

Digitized by Birzeit University Library

شاهدناهم في السرداقات والساحات الشعبية يؤيدون حزبهم ومرشحهم بكل ما في وسعهم من قـوة .

وقرر حزب التجمع الوطني ان يكون النائب ابو العز الحريري مسؤولا عن الدعاية السياسية ومشرفا على المعركة الانتخابية لمرشح الحزب احمد مصطفى ، وبدأ النائب يقوم بمسؤوليته وواجبه الحزبي في حدود القانون ، ومن المعلوم للكافة والخاصة ان حزب التجمع الوطني حزب معارض وان ابو العز الحريري نائب معارض ، الا اننا لاحظنا ان تحركات ابو العز الحريري اصابت حكومة حزب مصر بما يشبه الذعر ، واخذت اجهزة الادارة والبوليس تلاحق اعضاء ومؤيدي حزب التجمع ، وتعتقلهم في الحجـز وتقدمهم للنيابة بتهمة توزيع منشورات تحرض على كراهية نظام الحكم ثم يفرج عنهـم بعد ايام بالقضاء والنيابة بعد دفع كفالات مالية بلغ مجموعها حوالي ٥٠٠ جنيه مصري وتعد الامر مسألة الانتخابات وتم تفتيش منازل هؤلاء الاعضاء .. كل ذلك ثابت رسميا ... بينما رأينا حزب مصر يوزع منشورات غير قانونية تحتوي سبب صريح وحض على كراهية طائفة من المواطنين والصاق تهم باطلة بهم وصلت الى حد رميهم بتهم الكفر والخيانة والعمالة ولم يتعرض موزعوها للاحقة الادارة او البوليس فأخذت الصحـف الحكومية تشير الى اعتزام السلطات المختصة طلب رفع الحصانة عن نائبين احدهمـا وفدي والاخر يساري بالاسكندرية (ينظر جريدة الاخبار بتاريخ ٥/١٣) .

وفي يوم ٥/١٦ نشرت جريدة الاخبار (ص ٦) تصريحا للمدعي العام الاشتراكي عن تلقيه بلاغا من وزارة الداخلية ضد علوى حافظ وابو العز الحريري ويتهم الاخير بأنه وزع منشورات تتضمن عبارات فيها تعريض بالنظام القائم وذلك اثناء الانتخابات الاخيرة التي اجريت بالاسكندرية .. وقد استمع الى اقـوال الشهود د. فاروق جرانة سكرتير حزب الوسط بالاسكندرية والسيد علي السيد وكيل مجلس الشعب الامر الـذي يوضح ان النية كانت مبيتة على النيل منه حتى كانت الليلة السابقة على الانتخابات ، وقام احد المرشحين بمسيرة قوامها اكثر من خمسة الاف مواطن ، وطالب مرشح حزب التجمع بمسيرة مماثلة لكن رفض مأمور قسم الجمرك فطلب اليه النائب ابو العز الحريري ان يسمح للمرشح القيام بجولة انتخابية عادية خاصة وقد انتشرت اشاعة خبيثة بأنه قد تنازل عن الترشيح وقد صرح له بذلك مأمور الجمرك ، وانصرف اعضاء حزب التجمع بعد رفض المسيرة .

وتعرض البوليس للموكب الانتخابي لمرشح حزب الوفد وفضوها بالقوة بعد ان اعتدوا بالضرب الوحشي على القائمين بها واصيب في ذلك النائبين طلعت ارسلان واحمد ناصـر .

واثناء مرور الموكب الانتخابي لمرشح حزب التجمع في شارع اسماعيل صبري حوالي الساعة ٣٠ر١٠م اذا بقـوات البوليس والامن المركـزي تنقض على اعضاء الموكب وتوسعهم ضربا وتقبض على تسعة اشخاص . توجه السيد احمد مصطفى المرشح والنائب ابو العز الحريري الى قسم الجمرك للاطمئنان على المقبوض عليهم ففوجئا بحجزهما بالقسم والاعتداء عليهم بالضرب للمرة الثانية اي انه قبض على ابو العز الحريري في غير حال التلبس كما يدعون وانه كان في طريقه الى قسم الجمرك للاطمئنان عن المقبوض عليهم وان احد رجال الامن عرض على ابو العز الحريري توصيله واعترف هذا الضابط ان اوامر القبض على ابو العز الحريري صدر له اثناء توجهه مع ابو العـز

Digitized by Birzeit University Library

الحريري الى السيارة لتوصيله الى قسم الجمرك اي انه لم تكن هناك حالة تلبس وحاول المحامون واعضاء الاحزاب ومجلس الشعب الاتصال بهم ولكن حيل بينهم وبين هذا حتى الساعة الثانية من صباح الاربعاء ١٧-٥-١٩٧٨ .

وفي يوم الاربعاء احيل المقبوض عليهم للنيابة بعد ان افرج عن مرشح حزب التجمع احمد مصطفى الساعة ٣,٣٠ صباحا ، وتولى السيد رئيس نيابة غرب التحقيق وشهد رجال البوليس ان النائب ابو العز الحريري كان يتزعم مظاهرة تهدف الى قلب نظام الحكم ، وان المأمور توجه اليهم لفضها سلميا الا انهم رفضوا واعتدوا على قوات البوليس بالطوب فأمر قواته بفضها بالقوة ، وشهد رجال البوليس بأن احدا منهم لم يصب بسوء ، وتضاربت اقوال الشهود ، ونفى المتهمون التهم الموجهة اليهم واثبتوا اعتداء البوليس الوحشي عليهم وانهم لم يكونوا يقومون باكثر من حقهم الطبيعي كأعضاء في حزب شرعي يقومون بالدعاية لمرشحهم في الانتخابات وان هذا يستدعي بالطبيعة مرورهم على الناخبين كما اثبتوا اعتداء احد نواب حزب مصر بالسب وبقذف الالفاظ البذيئة على احدهم اثناء قيامه بتعليق لافتات باسم مرشح حزب التجمع الوطني كما رفض النائب ابو العز الحريري التحقيق معه الا بعد رفع الحصانة البرلمانية عنه .

وانتهى التحقيق مع المقبوض عليهم في تمام الساعة الخامسة مساء الاربعاء وهي الساعة المحددة لغلق صناديق الانتخابات ثم صدرت القرارات بالافراج عنهم جميعا في الساعة السابعة مساءا بضمانات مالية (وقدرها ٣٢٠ جنيه) ورحلوا الى مديرية الامن لتنفيذ قرارات النيابة بالافراج .

وفي نفس الليلة نحو التاسعة مساء اقتيد المتهمون الى سراي النيابة لاستكمال التحقيق وتم هذا بعد منتصف الليل ووجهوا جميعا بتحريات المباحث العامة التي تدعي انهم ماركسيون او - منضمون لتنظيمات شيوعية سرية او انهم ويا للعجب متهمون بتأييد ونشر فكر ابو العز الحريري ومن المبكي حقا انه كان من بين المقبوض عليهم مواطنون لا ينتمون الى احزاب ولا يشتغلون بالسياسة واحدهما حدث لا يعرف الكتابة او القراءة وعند انصراف المتهمون اذ بملحق للتحقيق يضاف مع مخبر ومعه تقرير طبي بأنه اصيب من الطوب الذي القي في المظاهرات .

وقد صور الامر على انه قبض على النائب ابو العز الحريري متلبسا بقيادة مظاهرة ضخمة تهدف الى اسقاط نظام الحكم وبث دعايات مثيرة تهدد الامن والسلام زمن الحرب وذكر بالتحقيقات شعارات نسب تهديدها الى المقبوض عليهم وهي لا تخلو ان صدق ترديدها عن كونها شعارات حزبية دعائية عادية لا تمس بصلة الى الاتهامات الموجهة اليهم لقد استهدف القبض على النائب ابو العز الحريري اعتبارات محددة هي :

١ - اقصاؤه كمسؤول سياسي عن معركة حزبه الانتخابية ، وليس مستغربا ان يتم القبض عليه وزملائه والتحقيق معهم عشية الانتخابات ويستمر التحقيق حتى انهاء عملية الانتخابات في تمام الساعة السابعة مساء الاربعاء ١٧-٥-١٩٧٨ .

٢ - ارهاب الناخبين والضغط عليهم ليتجنبوا التصويت لمرشح حزب التجمع الوطني .

٣ - النيل من شخص النائب ابو العز الحريري لمواقفه البرلمانية المعروفة كنائب معارض وتجميع الادلة ولو في الباطل لما يبيت له .

Digitized by Birzeit University Library

٤ ـ تشويه حزب التجمع الوطني لاستكمال المؤامرة المبيتة ضده بدليل انه بعد ان تصرفت النيابة في التحقيقات واصدرت قراراتها بالافراج عن المقبوض عليهم بعد دفع الكفالات اعيد فتح باب التحقيق لمواجهة المقبوض عليهم بتحريات المباحث العامة وكلها تدور حول امور لا علاقة لها بالمعركة الانتخابية من ان المقبوض عليهم ماركسيون يدعون للماركسية من خلال حزب التجمع .

ولقد تقدم مرشح حزب الوفد ببلاغ بالتدخلات المعيبة في الانتخابات مثل منع مندوبي المرشحين من دخول اللجان الانتخابية والتواجد بها وعدم اثبات حالة الصناديق الانتخابية قبل بدء التصويت وقد امر السيد المحامي العام بتحقيق البلاغ فورا وتقدم مرشح حزب التجمع ببلاغ مماثل الحق بالتحقيقات مع النائب ابو العز الحريري والمقبوض عليهم ، والذين رحلوا الى سجن الحضرة بالاسكندرية الى يوم السبت ٢٠-٥-١٩٧٨ . لتجديد امر حبسهم او الافراج عنهم .

لقد انتهت المعركة الانتخابية واعلنت النتيجة وكانت متوقعة فكل الاحداث تؤدي اليها وبعد ... هل انتهت حكاية ابو العز الحريري ام لا زالت لها ابعاد ستكشف عنها الايام المقبلة .

لن نعلق على شيء .. فما جرى .. وما قد يجري يغنينا عن التعليق ...

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

لجنة محافظة الاسكندرية

وثيقة « ٥ »

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

السكرتارية العامة

بيان حول

القبض على النائب ابو العز الحريري

بمناسبة انتخابات دائرة المنشيه بالاسكندرية نظمت الاحزاب الثلاث مسيرات انتخابية وقد سارت مسيرة حزب الحكومة يحوطها تكريم رجال البوليس ورعايتهم . وسارت مسيرة الوفد وكان من ضحاياها ان نائبا وفديا اصيب اصابة ادت الى نقله الى المستشفى الاميري .

اما بالنسبة لدعايتنا الانتخابية فقد حاولت اجهزة القمع ان تقضي عليها وطلب من للزميل ابو العز الحريري الذي كان يريد ان يقوم بجولة في الدائرة تأييدا لمرشح الحزب باعتبار موقعه السياسي والحزبي في الاسكندرية ان لا يقوم بذلك وقد استجاب ابو العز الحريري بعد المناقشة ولما حاول ان يجد سيارة اجرة لكي يذهب الى قسم

Digitized by Birzeit University Library

الجمرك للاطمئنان على الاشخاص المحتجزين من الحزب عرض عليه احد رجال الامن توصيله واخذه معه في السيارة ليذهب به الى القسم وفوجىء في قسم الجمرك بالقبض عليه وذلك مخالفة لكل مبادىء الدستور والقانون والاخلاق .

ان ابو العز الحريري عضو في مجلس الشعب له حصانة ، وفي الانتخابات في كل بلاد العالم يسمح بالمؤتمرات الانتخابية ، وابو العز الحريري لم يرتكب جرما ولم يقترف اثما ولم يخالف قانونا ومع ذلك قبض عليه ولاول مرة في تاريخ الحياة الدستورية في مصر يقبض على نائب اثناء الانتخابات وبسبب قيامه بالدعاية الانتخابية لزميل في حزبه .

ان الحزب يقف بكل عواطفه مع الزميل ابو العز الحريري وان الحزب يستنكر بكل قوة الاجراءات التعسفية التي اتخذت ضده ويطالب بالافراج عنه فورا وبلا ضمان ومحاسبة المسؤولين عن هذا الاجراء احتراما للدستور وكرامة اعضاء مجلس الشعب .

ان حزبنا يطالب كل القوى الديمقراطية برفض هذا الاجراء ومنع تكراره احتراما للقانون والديمقراطية .

تحريرا في : السبت ٢٠-٥-١٩٧٨ .

السكرتارية العامة

وثيقة « ٦ »

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

اجتمعت السكرتارية العامة لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي يوم الاحد ٢١-٥-١٩٧٨ وقررت اصدار البيان التالي بالاجماع :

بيان من السكرتارية العامة

الان وبعد اعلان نتيجة التصويت بالموافقة على الاسس التي طرحها السيد رئيس الجمهورية للاستفتاء حول حرية العمل السياسي وحدود النشاط الديمقراطي الذي اشرفت على اجرائه حكومة حزب مصر فقد اصبح مجلس الشعب محط انظار الشعب كله وهو يصدر خلال الايام القادمة التشريعات المنفذة للاسس العامة للاستفتاء . وبذلك فاننا نقف على ابواب مرحلة جديدة في العمل الوطني يتهددها خطر الانتكاس بالديمقراطية ليس فقط عن الافاق التي طالما سعت اليها وتطلعت اليها مختلف القوى السياسية والطبقات الاجتماعية ، بل ايضا عن المكاسب المحدودة التي حققها النضال الشعبي المصري في الفترة الماضية وفي مقدمتها حق تكوين الاحزاب السياسية وحقها في اصدار صحفها ، وحق اعتناق الرأي والتعبير عنه والدعوة له ، والاتجاه الى اقامة دولة المؤسسات واعلاء مبدأ سيادة القانون وتأثيم الاجراءات الاستثنائية ومحاكمة كل من خرج في الماضي عن حدود القانون في معاملة المسجونين السياسيين وخصوم الرأي .

Digitized by Birzeit University Library

من هنا فان السكرتارية العامة لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي ترى من واجبها ان تحدد منذ الان رؤيتها للمستقبله وان تضع كل المؤسسات الدستورية والقوى السياسية امام مسؤولياتها المباشرة في انقاذ الوطن من هذا المازق الجديد الذي سوف يستهلك طاقات الشعب في مواجهات نحن في غنى عنها والاجدى منها ان تعبأ كل القوى لتحرير الارض المحتلة وصيانة استقلالنا الوطني وتجاوز الازمة الاقتصادية وتطوير الممارسة الديمقراطية .

وفي اطار هذه النظرة التي تضع الوطن فوق كل اعتبار وحرية الشعب قبل اي مشكلة مرحلية او طارئة فاننا نعرض لاهم متطلبات الدفاع عن الديمقراطية في المستقبل على النحو التالي :

اولا :

يتحمل مجلس الشعب المسؤولية الاولى في حماية المكاسب الديمقراطية وتوفير عوامل الامانة للمواطنين المصريين بدون اي تمييز . وهي مسؤولية فردية يتحملها كل عضو بمجلس الشعب باعتباره ممثل للامة ونائبا عنها وذلك بصرف النظر عن انتمائه الحزبي او موقفه السياسي . ان كل عضو بمجلس الشعب مسؤول امام تاريخ بلاده عن كافة القوانين والتشريعات التي سيصدرها المجلس تنفيذا للاسس التي تم الاستفتاء عليها .. ومن واجب كافة الاعضاء ان يضعوا مستقبل البلاد فوق اي اعتبار اخر وان يتذكروا دائما ان وجود مجلس الشعب في حد ذاته وقيامه بسلطاته واختصاصاته رهن دائما باستقرار الممارسة الديمقراطية في مصر وقد علمتنا التجربة ان اي عدوان على ابسط مظهر من مظاهر الديمقراطية ينتهي بالانتقاص من مكانة وسلطات المجلس التشريعي . ونحن لا نتصدى للدفاع عن الديمقراطية من فراغ بل اننا ننطلق من مكاسب محددة حققها نضالنا الشعبي ، ومبادىء عامة استقرت في وجدان المصريين من خلال مناقشات مستفيضة طوال السنوات السبع الماضية ، وكل ما نطلبه في هذه المرحلة من اعضاء مجلس الشعب هو ان يقيموا التشريعات المراد اصدارها بشأن مستقبل العمل السياسي والممارسة الديمقراطية على هذه المبادىء والمكاسب والا يوافقوا على اي اتجاه من شأنه الاطاحة بها او اهدارها ... وحرصا على الوضوح الكامل في هذا الصدد فاننا ندعو جميع اعضاء مجلس الشعب الى ان تلتزم القوانين والتشريعات الجديدة بالمبادىء والاسس العامة والمكاسب التالية :

١ - احترام الدستور واعلاء مبدأ سيادة القانون .

٢ - لا مكان في مجتمعنا الجديد للاجراءات الاستثنائية او حرمان مواطن من مباشرة حقوقه السياسية (العزل السياسي) وهذا هو ما سبق ان اعلنه السيد رئيس الجمهورية في اكثر من مناسبة .

٣ - ان تكون السلطة القضائية مستقلة تماما والا ينتقص من اختصاصاتها وان تكون المرجع الوحيد لاي خلاف حول ممارسة الحقوق السياسية .

٤ - ان يصدر قانون ينظم اختصاصات وطريقة تشكيل المحكمة الدستورية بحيث تكون جزء من السلطة القضائية والا يكون للسلطة التنفيذية اي ولاية او تأثير عليها .

Digitized by Birzeit University Library

٥ ـ حماية المكاسب الديمقراطية التي تحققت حتى الان والتي نص عليها القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ بشأن الاحزاب السياسية باعتباره الحد الادنى المقبول من كافة القوى كاساس لممارسة العمل السياسي والتأكيد بصفة خاصة على حق تكوين الاحزاب وحقها في اصدار صحفها واستقلالية الصحف الحزبية وحرية اعتناق الرأي والتعبير عنه والدعـوة لـه ٠

٦ ـ عدم التمييز بين المواطنين في تولي الوظائف العامة او ممارسة الحقـوق السياسية بسبب الجنس او اللون او الدين او العقيدة او الموقف السياسي او الانتماء الاجتماعي وذلك طبقا لنص المادة رقم ٤٠ من الدستور ٠

٧ ـ الحرص على الصياغة المحددة والدقيقة للقوانين الجديدة وتجنب الصياغات المبهمة والعبارات الغامضة التي تسمح بتفسيرات متناقضة للقانون الواحد خاصة وان هذه القوانين سوف تؤثر على كيان ومستقبل المواطنين الذين يتصدون لمختلف مجالات الخدمة العامة ومن بينها العمل السياسي ٠

٨ ـ الا تتجاوز التشريعات العقابية نطاق المخالفات السياسية الى العمـل المهني والعلمي والادبي والفني للمواطنين لما لهذا من اثر مدمر على طاقات الابداع المصـري ومستقبل الحركة العلمية والثقافية والفكرية ولمخالفته لابسط مبادىء حقوق الانسـان التي تمنع اضطهاد المواطنين بسبب نشاطهم المهني او العلمي او الفكري ٠

ان الالتزام بهذه المبادىء والمكاسب في صياغة التشريعات الجديدة سوف يوفـر على الشعب المصري كثيرا من الالام وكثيرا من الطاقات وسيحمي البلاد من الانزلاق الى طريق قد يبدو سهلا في البداية ولكن نهايته ستكون شديدة المرارة للجميع ، فـان اجراءا استثنائيا يحرم بعض المواطنين المصريين من حقوقهم السياسية يمكـن ان يصل بنا الى حرمان المجتمع كله من الحرية ٠

وقد بدأ ذلك بواقعة تتصل بالمجلس فقد قبض على زميلنا السيد ابو العز الحريري عضو مجلس الشعب بدون استئذان مجلس الشعب او رئيسه وافرجت عنه المحكمـة المختصة بلا ضمان وبالرغم من ذلك فقد اعتقل بقرار من المدعي العام الاشتراكي ليلة الاستفتاء دون استئذان المجلس او ورئيسه مخالفا بذلك احكام الدستور والقانون ٠
ان مجلس الشعب يواجه في الفترة القادمة مسؤولية جسيمة ستكون لها اثار بعيدة المدى على مجمل العمل الوطني ولهذا فانه مطالب بمعالجة هذه القضية بروح قوميـة ترتفع فوق الانتماءات الحزبية وبرؤية تاريخية تتجاوز مشاكل وصعوبات هذه المرحلـة الى ضرورات المستقبل ٠ ومن مسؤوليته ان يجتاز هذا الامتحان الصعب بالعمل طبقا لمبدأ « ان خير علاج لمشاكل الديمقراطية هو المزيد من الديمقراطية » ٠

ثانيـا :

انطلاقا من قرارات لجان الحزب وهيئاته القيادية بالمحافظات والاقسام والمراكـز المنعقدة الاسبوع الماضي فان السكرتارية العامة تؤكد ان حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي قد عمل على اساس احترام الدستور وفي اطار الشرعية انطلاقا من خبـرة الحركة الوطنية الديمقراطية المصرية ، ان الديمقراطيـة هي افضل السبل لازدهار

Digitized by Birzeit University Library

وفاعلية العمل الوطني والتقدم الاجتماعي وانها تتمسك بحق الحزب في الاستمرار كحزب شرعي قام على اساس القانون ويقبل الاحتكام للقانون لحسم اي خلاف ينشأ مع الحكومة حول حدود الممارسة الديمقراطية . كما تؤكد الهيئات القيادية للحزب رفضها اي تدخل في شؤون الحزب الداخلية واي مساس بهيئاته القيادية وان المرجع الوحيد في ذلك هو لائحته الداخلية المتفقة مع قانون الاحزاب وتؤكد ايضا تمسكها بكل فصائل اليسار المصري التي تنتمي للحزب .

ثالثا : تلاحظ السكرتارية العامة ان الحزب يتعرض منذ عدة ايام لحملة جديدة في الصحف واجهزة الاعلام تصوره على غير طبيعته وتحاول تقديمه للمواطنين بصورة مشوهة الهدف منها عزله عن الحركة الجماهيرية والايحاء بأنه يمارس نشاطا غير شرعي وانه قد تجاوز حدود القانون ووصل الافتراء الى حد الادعاء على البرنامج السياسي للتجمع بما لم يتضمنه . وهي حملة مكشوفة لجميع المواطنين لان الكل يعلم انها تمهيدا لاتخاذ اجراءات غير قانونية ضد الحزب .. ومع ذلك فاننا سنواصل نضالنا في نطاق الحقوق الطبيعية للانسان والدستور .

رابعا : من الواضح ان الاجراءات الجديدة لن تمس حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي فقط ولكنها تمس ايضا حزب الوفد الجديد والجبهة البرلمانية المستقلة والنقابات المهنية والعمالية ، والمشتغلين بالصحافة والاعلام والثقافة والبحث العلمي وأي معارضة لسياسة الحكومة كما تمس اختصاصات السلطة القضائية .. وحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي عندما يعارض هذه الاجراءات فانه لا يدافع عن نفسه ولكنه يحمي المجتمع المصري كله من اي مساس بالحريات السياسية ومن المؤكد ان هذه المؤسسات والقوى السياسية والاجتماعية تعي جيدا درس التاريخ المصري وتاريخ المجتمعات الانسانية ان التفريط في حق سوف يؤدي الى ضياع كل الحقوق وان المساس بقوة سياسية معينة سوف ينتهي الى البطش بكل القوى .. وقد امتلأت اجهزة الاعلام والصحافة بالعديد من الامثلة والوقائع التي تؤكد مدى الاضرار التي اصابت البلاد في فترات مختلفة نتيجة التساهل في الدفاع عن الحقوق الديمقراطية والحريات السياسية، وليس من شك ان الكل يشعر بمسؤوليته الجسيمة الان في الدفاع عن المكاسب الديمقراطية المتحققة بل اننا ما زلنا نأمل في ان تحدث مراجعة لحساب المكسب والخسائر المترتب على هذا الاتجاه الجديد في اطار من الحرص على الوحدة الوطنية في هذا الظرف الدقيق للعمل الوطني فليس من المنطقي او المعقول ان ننسى كل ما بشرنا به طوال السنوات السبع الماضية لمجرد حدوث بعض المشاكل ولمجرد ظهور بعض الصعوبات ولمجرد ممارسة الاحزاب السياسية والقوى الاجتماعية حقها المشروع في نقد اعمال وسياسات الحكومة .

والله ولي التوفيق .

تحريرا في : ٢٢-٥-١٩٧٨

السكرتارية العامة

Digitized by Birzeit University Library

هل هي مسؤولية الديمقراطية

بقلم : خالد محي الدين

فجأة وبلا مقدمات اصبحت الديمقراطية عبئا بـــل وخطرا ٠ وبعد سيل المقالات والتصريحات عن الديمقراطية وحسن ممارستها وعن كمالها وايجابية نتائجها تعـود النغمة لتنعكس فتثير تساؤلات مخيفة وتحذر من اخطار جسام ٠٠ هل ستحترق القاهرة للمرة الثالثة بسبب الممارسات الخاطئة للديمقراطية ؟

كل المشكلات نسيناها ، وازمة مصر لم تعد مع التعنت الصهيوني ، ولا في صعوبة الخروج من الاختناق الاقتصادي ، ولا في سياسة الانفتاح بنتائجها سلبية كانـت أم ايجابية ٠٠ ليس هناك شيء من ذلك فالخطر والخطأ بل والخطيئة تتمركز كلها فيما أسمى بالممارسات الخاطئة للديمقراطية ٠

وكالعادة تتضخم اشياء هي بطبيعتها لا تستحق التضخيم ، كلمة افلتت من فم نائب مرهق يعاني من حصار اغلبية اعتادت الجموح في التعامل مع اية معارضة ، كلمة كهذه - برغم انها شيء غير مقبول - وبرغم انها حدثت وتحدث كل يوم تحت قباب برلمانات كافة الانظمة ٠٠ تتضخم لتصبح كارثة توشك ان تؤدي بالتجربة ، بـــل وبمستقبل الوطن ٠

والاستجوابات والاسئلة وطلبات الاحاطة يقال انها اصبحت قيدا على حركـــة الحكومة ٠! وهل هذا جديد او غريب ٠؟ البرلمان يعني وجود حكومة مسؤولة ٠٠ اي مسؤولة امامه ٠ والنائب يمتلك الحق فيما يمتلك في ان يسأل ويستجوب ويهاجم ما يراه من خطأ والا ففيما كانت قيمة النيابة عن الامة وفيما كانت ضرورة المجلس النيابي كسلطة رقابية وكأداة تشريع ٠؟ ولقد يتزيد البعض في استخدام الحق ، ولقد يستشعر الوزراء بعضا من الضغط ، بل وبعضا من الحرج والضيق ، وكل هذا مفترض ، بل اقول كل هذا ضروري لحسن انتظام التجربة ولحسن سير الامور ٠٠ والا فما اداة الرقابة على الحكم ان لم تكن البرلمان ٠؟ وكيف تكون الرقابة من المعارضة ان لم تكن بما يشعر الوزراء بالحرج ؟!٠

فالديمقراطية هي بذاتها وفي جوهرها الاصيل قيد على الحاكم وحرية للمحكومين ، واي حاكم في ظل نظام ديمقراطي حق لا بد من ان يستشعر ضغوطا من اتجاهات مختلفة تحكمها توازنات القوى التي تمارس الديمقراطية ٠٠ وتحت هذه الضغوط وبسببهـــا تتحقق نسبة اكبر من الصحة في القرارات ، لانها لا تصدر عن تصور فردي وانما من خلال المعاناة والاحتكاك مع الاراء المتعارضة ٠

فالرئيس الامريكي - كنموذج قريب - يعاني من الممارسة الديمقراطية للكونجرس بل لعل الكونجرس يعرقل بعضا من خططه وقراراته « مشكلة الطاقة - وصفقة الاسلحة لمصر والسعودية » لكننا لم نسمعه يشكو من خطأ وخطر هذه الممارسة ٠ بل هو يقبل هذه الضغوط لانها جزء من طبيعة الديمقراطية ذاتها ، ولسنا نتصور رئيسا امريكيا

Digitized by Birzeit University Library

يفكر في فرض قيود على ممارسة الكونجرس لحقوقه حتى ولو تجاوزت هذه الممارسة حدودها او ممكناتها ٠

خلاصة الامر ان الممارسة الديمقراطية هي بطبيعتها قيد على الحكام ٠٠ وهي لا تكون اصلا اذا افتقدت هذه الميزة ٠

والرئيس في اي بلد ديمقراطي هو حكم « بين » السلطات وليس حكما « على » السلطات ٠ ويجسد الدستور للرئيس مهمتين اساسيتين فهو رمز للوطن وهو واضع للسياسة العامة للدولة ٠٠

ومن حيث هو رمز موضع احترام الجميع وتقديرهم ، اما من حيث هو واضع للسياسة العامة فان سياسته يتعين عليها ان تتقبل ـ كأي اجتهاد بشري ـ احتمال الصواب والخطأ ، او على الاقل احتمالات الظن بوجود مثل هذا الاحتمال ومن ثم فان عليها ان تتحمل بعضا من النقد وبعضا من المعارضة ٠

والاختلاف مع بعض مكونات السياسة العامة ليست اختلافا مع النظام العام او خروجا عليه ٠ فالنظام العام هو تكوين فوق الاشخاص يتجسد ليس في قرارات وقتية ، وانما في مواثيق اساسية للمجتمع يرتضيها الجميع حكاما ومحكومين ويلتزمون بها امام انفسهم وامام بعضهم البعض وامام امتهم ٠٠ وفي حدود اعتقادنا فان النظام العام لمجتمعنا يتكون من عدد من المواثيق هي : الدستور والميثاق الوطني وبيان ٣٠ مارس وورقة اكتوبر وبرنامج العمل الوطني ، وهي تتفق في مجملها على مجموعة من المسلمات التي التفت حولها الارادة الشعبية كمنهج للعمل الوطني ٠ ومن ثم يكون الخروج على هذه المسلمات او تحديها هو المقصود به الخروج على النظام العام او تحديه ، اما انتقاد خط من خطوط السياسة العامة او جزء من مكوناتها او حتى خطها العام فهو امر مفترض ، بل وضروري ، والا فقيم تكون جدوى المعارضة ان امتنعت عن لمس الاسس العامة للسياسة ٠٠ اي لمس ما هو هام وجوهري ومؤثر في مجريات الامور ٠٠

كذلك فان حق المعارضة ليس ترفا وليس منحة ٠

ليس ترفا بمعنى ان يسمح به ان كانت الريح مواتية والمركب تسير ، ثم نتململ ونشعر بالضجر منه عندما تتعقد الامور ، وهل يمكن للتفكير ان يكون سليما وصحيحا اذا تم بمعزل عن الاراء الاخرى بحجة ان الامر معقد او « قومي » !

وحق المعارضة ليس منحة ٠ انه حق اساسي يكفله كل دستور ٠٠

لكن الغريب هو ان الحكومة برغم ما تمتلك من نفوذ وسلطان وبرغم استخدامها لهذا النفوذ والسلطان استخداما قد يكون محل ملاحظات عدة ٠٠ هي التي تبادر بالشكوى من المعارضة ومن المعارضة اليسارية بالذات ٠!

اي خطر تستشعره الحكومة التي تمتلك في يديها كل السلطات التنفيذية والادارية التي تمكنها من نقل وتشريد عشرات من العمال والموظفين وتطيح بهم وبأسرهم من اماكن ووظائف استقروا بها زمنا طويلا ٠٠ لمجرد انهم اعضاء في حزبنا يعارضون

Digitized by Birzeit University Library

سياستها .. والامثلة كثيرة والقوائم طويلة وكلها تتحدث بالوثائق عن ان النقل تم بناء على تعليمات اجهزة الامن .. هذه الحكومة التي تملك وتمارس كل هذه الهيمنة على اجهزة الادارة والتنفيذ والامن والحكم المحلي تشكو من حزبنا ! ورحم الله سعد زغلول اذ قال « من الناس من اذا رأى ظالما يظلم ومظلوما يعاني من الظلم ، قال للمظلوم لا تصرخ ولم يقل يقل للظالم لا تظلم » .

والحكومة التي تمتلك الاغلبية الساحقة في مجلس الشعب وينتمي الى حزبها رئيس المجلس ووكيلاه وكل رؤساء اللجان وكل رؤساء المجموعات البرلمانية الاقليمية والوكلاء البرلمانيون وفيما اظن ٣١٥ نائبا مقابل ٤٥ فقط وهم كل نواب المعارضة بيسارها ويمينها ووفدها ومستقليها بتوجهاتهم المختلفة .. هذه الحكومة تشكو ، فماذا تريد اكثر من ذلك كي تكف عن الشكوى ؟.

والحكومة التي تمتلك التحكم المطلق في اجهزة الاعلام التي تسمى تجاوزا (قومية) وفي الاذاعة والتلفزيون والصحف اليومية الثلاث وقرابة العشر مجلات اسبوعية والعديد من المجلات الشهرية والتي تمتلك صحيفة حزبية تنعم بفيض غامر من الاعلانات .. هذه الحكومة تشكو من جريدتنا « الاهالي » التي تصدر من خلال المعاناة اليومية بقروش الفقراء ولا تملك ان تزيد ما تطبعه لتواجه احتياجات التوزيع المتزايدة ..

والحكومة التي سجلت لنفسها وحدها حق استخدام الشتائم ضد « الخصوم » ونهجت هي ومسؤوليها وصحفها نهجا غير صحي وغير محمود وانهالت علينا بالشتم والاتهام بالعمالة والخيانة والكفر هذه الحكومة تشكو من ان « الاهالي » تجاسرت فكشفت المستور هنا او هناك ، ونقلت سطر او سطرين من الجريدة الرسمية ..

أليس هذا كله غريبا .. بل ومريبا ؟!.

فماذا تريد الحكومة اكثر مما تستمتع به من نفوذ وسلطان ؟! وهل تستشعر الحاجة الى المزيد ؟.

والغريب والمريب ايضا هو تلك الحساسية المفرطة تجاه اي كلمة نتفوه بها نحن.. في موضوع هضبة الاهرام كانت « الاخبار » الصحيفة « القومية » المرضى عنها دائما هي البادئة ، وشاركت في الحملة نقابة المحامين ونواب مستقلون واساتذة جامعات والاف من المواطنين .. فلماذا لا تثور الحساسية الا عندما ندخل نحن الى الموضوع بكلمة ما .

وموضوع السينما تحدثنا فيه وتحدث فيه غيرنا ، نواب وسينمائيون ، وفنانون وغرفة صناعة السينما ونقابة المحامين .. واخرون فلماذا الحساسية من كلمتنا بالذات؟

مع اننا ويا للغرابة .. الجريدة الوحيدة التي انتهجت منذ صدرت نهج الموضوعية الكاملة ، فلم نلجأ الى قاموس الشتائم الذي تستخدمه بغير حرج صحف الحكومة .. وصحيفة حزبها ..

لكنهم يتهمون (الاهالي) بالاثارة ولعله من حقنا ان نسأل عن تعريف لكلمة (الاثارة) وهل يدخل ضمن هذا التعريف (المعارضة) (النقد) « كشف الانحرافات »؟

Digitized by Birzeit University Library

لو استخدمنا المنطق المجرد لقلنا انه في تصرف اي معارض قدر قل او كثر من الاثارة فهل المطلوب هو اغلاق كل الافواه منعا لاي اثارة ؟

ثم اثارة من ؟ لقد اكد السنيد الرئيس في خطابه انه قد لمس بنفسه في جولته الاخيرة ان القاعدة الشعبية من عمال وفلاحين سليمة ، راسخة هادئة ، وان ما عدا ذلك مجرد فقاقيع .. فغيم الخوف اذن من كلمة هنا او نقد هنا ك..

اثارة من ؟ أليس في هذا القول ادانة للشعب واتهاما له بأنه (كلمة تجيبه وكلمة توديه) .

واثارة بماذا ؟ بجريدة اسبوعية في مجابهة هيمنة اعلامية طاغية !

ومرة اخرى يبدو مثيرا ذلك الاحساس المطلق بالحساسية تجاه اية كلمة تصدر من جانبنا فماذا نقول نحن ، وماذا يقول غيرنا ؟.

بل ماذا يقول بعض اعضاء حزب الحكومة انفسهم .. لقد بدأ الامر مثيرا للاستغراب عندما وقف السيد سعد محمد احمد وزير القوى العاملة لينحدث في اول مايو ، ثم اذا به يردد نفس انتقاداتنا على سياسة الحكومة .. بل ويطالب ببعض ما يطالب به برنامجنا ..

السيد سعد محمد احمد يطالب معنا بربط الاجر بالاسعار .. ويطالب معنا - وهذا نص كلامه - « بوضع حد للاتجاهات التضخمية والنزعات الاستغلالية للاثراء عن طريق رفع الاسعار » ، وهو يطالب معنا بتعاونيات للاسكان ، ويشكو من الاثار الاجتماعية المترتبة على الاسكان حيث يفتقد الشباب حتى الطموح الى تكوين أسرة مستقرة .

هل هذه اثارة ؟. ام هي كذلك ان اتت من جانبنا وهي نقد بناء ان اتت من غيرنا !.

لقد انتقد وزير العمل وبشدة سياسة الانفتاح كما هي مطبقة ووصفها بأنها الفتاح استهلاكي يهدد الصناعة الوطنية بمنافسة لا قبل لها بها .. وردد بذلك نفس الكلمات (المثيرة) التي نقولها ويقولها برنامجنا .. ولعله قد بالغ قليلا في الحماس الى درجة ان صحفنا « القومية » قد اختصرت هذه الفقرة من كلامه ..

لكن السيد الرئيس في خطابه اكد على وجود هذه الاخطاء وطالب بوزارة جديدة تنهج نهجا اكثر صحة في سياسة الانفتاح . فيم « الاثارة » اذن ..

ان كنا نقول ما هو صحيح وننتقد ما يجري تصحيحه بالفعل .

وبغض النظر عما في الامر من غرابة .. عندما يقف وزير ليشكو امام الجماهير من سوء تطبيق الحكومة لسياستها العامة .. وبغض النظر عما يوحي اليه ذلك من ان الوزير قد تحدث بصفته الاخرى كرئيس لاتحاد العمال الامر الذي يعطي انطباعا بأن جماهير العمال معارضون للسياسة المطبقة ، بما يوحي بأن الجماهير ليست راضية عن

Digitized by Birzeit University Library

تطبيقات الحكومة الى الحد الذي دفع وزيرا من الحكومة الى ترديد هذه الانتقادات في مواجهة الحكومة ذاتها .. بغض النظر عن ذلك كله فان احدا - حتى الان على الاقل - لم يتهم السيد الوزير بالعمالة او الاثارة او التشكيك .. فهل هذه المجموعات من الشتائم مخصصة لنا وحدنا .. حتى ولو رددنا نفس الكلمات او بالدقة لو ردد الاخرون نفس كلماتنا ؟.

نحن وحدنا العملاء والمثيرون .. لماذا ؟

لاننا لم نزل نصف (انتفاضة الحرامية) بأنها « انتفاضة شعبية » ولان احدا في الكون كله لا يشاركنا هذا القول سوى راديو موسكو .. نحن اذن عملاء لموسكو ..

حسنا .. هل من حقنا ان نناقش هذا الامر ؟ واذا لم يكن من حقنا فهل يمكننا ان نوجه بعض التساؤلات ؟..

● اذا كنا نتفق على الحجم الكبير للمتظاهرين في يومي ١٨ و ١٩ يناير والذين قدرهم الجميع بمئات الالاف ، واذا كنا نتفق على ان خروجهم متظاهرين في الطريق العام كان كرد فعل تلقائي لقرار حكومي خاطىء صار الغاؤه فعلا ، فهل من الصحيح ان نتهم كل هذه الجموع بأنها « حرامية » !

نحن نتفق على ادانة التخريب وادانة النهب ولكن هل كل فرد من مئات الالوف التي خرجت بعفوية وكرد فعل لقرار اعترف الجميع بخطئه .. هل كل واحد من هؤلاء هو بالضروري (حرامي) .

● واذا كنا نختلف مع هذا الوصف فهل نحن عملاء لراديو موسكو ؟ وهل اتفاق حزب سياسي في موقف ما مع صحيفة ما أو اذاعة ما في بلد ما يعني بالضرورة عمالة الحزب لهذا البلد ؟ هل اذا اتفقت سياسة حزب ما في بلدنا حول موقف ما مع سياسة امريكا تدفعنا الى اتهامه بالعمالة لها !

● ثم هل صحيح ان راديو موسكو وحده هو الذي وصف احداث يناير بأنها انتفاضة شعبية ! هل نسينا ما نشرته صحف العالم اجمع امريكية او فرنسية او انجليزية او المانية غربية عن « ثورة الجياع في مصر » واوصاف اكثر بكثير مما يقول به احد في مصر .. هؤلاء جميعا عملاء لمن اذن ! والمراسل الاجنبي الوحيد الذي طرد من مصر في اعقاب الاحداث كان مراسل الجارديان البريطانية فهل هي الاخرى يسارية او عميلة لراديو موسكو ..؟!

انها مجرد تساؤلات ؟ اما النقاش فان كان مسموحا به فلعل مجاله مقال اخر .

ولا بد لذلك من ان يقودنا الى الحديث المتكرر عن العمالة والفكر المستورد .. مرة اخرى لا نملك الا التساؤل : هل يمكن للفكر ان يستورد .. وكيف ؟.

الفكر اي فكر ماركسي كان او رأسمالي ، فلسفي كان من اي نوع اقتصادي من اي مدرسة علمي من اي فرع هو تراث انساني ينتقل كما انتقلت الحضارات المختلفة

Digitized by Birzeit University Library

ويتأثر به الجميع معارضوه ومؤيدوه ثم يستوعبونه ، او كما يقول علماء الحياد « يتمثلونه » ثم يفرزون بعد ذلك فكرا ملائما لاوضاعهم وتراثهم وممكناتهم .

والاتهام بالعمالة بشكل مطلق ودون بينة ، والحديث المتكرر عن الفكر المستورد ، هما في نظرنا امور لا تستقيم ان خرجت عن حدود الادلة ومسار النقاش المتأني الى طريق الشتائم وكسلاح لاسكات الخصوم .

وهي على اية حال اسلحة ذات حدين ، وربما اكثر من حدين .. فهل كل من يردد فكرا او فكرة اتت من دولة معينة عميل لهذه الدولة ؟ وهؤلاء الذين يمجدون ليل نهار نمط الحياة الامريكية والسياسة الامريكية هل ينطبق عليهم نفس الوصف ؟.

والغريب ، الغريب حقا اننا ندعو الى فتح اسواق بلدنا وبنوكنا ومؤسساتنا الاقتصادية وبمرونة شديدة مبالغ فيها .. بينما ندعو الى اغلاق العقول وبسياسة متشددة امام التراث الانساني مهما اختلفنا حولها .

ثم نأتي اخيرا الى القول بأن اليسار حزب مسموح به بشرط الا يقوده او يسيطر عليه « عملاء » .. وهكذا ومرة اخرى تطلق الالقاب دون تحديد .. فمن الذي يملك اختيار قيادة حزب من الاحزاب .. او ان يفرض من خارج الحزب نمط القادة ونوعيتهم ويحدد له هويتهم وانتماءهم .

ان الحزبية هي انتماء اختياري ، وما من احد يجبر عضوا على الانضمام لحزب لا يرضى عن قيادته او منهجها او اسلوبها .. وما من قيادة في حزب يعمل من خلال الديمقراطية تستطيع ان تفرض نفسها او استمرارها ..

والاحزاب التي تقوم على اساس الديمقراطية ومنها حزبنا تقوم كل تنظيماتها بالانتخاب والقيادة منتخبة بالارادة الكاملة للاعضاء ، فمن الذي يملك الحق في ان يرفع سبابته في وجه القاعدة العريضة للحزب ليملي عليها اختيارا محددا ..

وعلى اية حال .. نحن نقدر وبرغم كل شيء تجربتنا الديمقراطية حق قدرها ، ونبتهج بما حققته حتى الان من منجزات ، شاكرين لاصحاب الفضل فضلهم ، غير منكرين دورهم في ارساء قواعدها ، لكن ما حفزنا الى الكتابة هو احساسنا بأن البعض يضيق بهذا القدر المحدد من الديمقراطية ..

وكلمتنا الاخيرة في هذا الصدد .. هي انه كلما شعرت الحكومة بالضيق من المعارضة ومن الممارسة الديمقراطية فالعلاج الوحيد الصحيح هو المزيد من الديمقراطية .. والا فان الضيق بالممارسة سيدفعنا الى اجراء هنا واجراء هناك ثم نفيق فنجد انفسنا وقد سرنا في طريق معاكس .

.. اخيرا صدقوني ليست الديمقراطية وممارستها هي السبب في رفض اسرائيل العودة لحدود ١٩٦٧ او الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وليست هي السبب في عدم خروجنا من الازمة الاقتصادية الطاحنة واستمرار ارتفاع الاسعار وازدياد الفروق الاجتماعية وتهديد الاستقلال السياسي والاقتصادي . فقط الممارسة الديمقراطية كشفت اخطاء هذه السياسات فاستحق ممارسوها اللعنة .

الاهالي ١٠-٥-١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

بيان عن مكتب الادباء والفنانين بحزب التجمع حول محاكمة ادباء وفنانين وطلاب امام القضاء العسكري .

يكثر الحديث في بلدنا حول الديمقراطية والحريات وسيادة القانون ولكن الواقع يكشف عن ظاهرة خطيرة ، مناقضة تطفو على سطح الحياة السياسية في وطننا . وتتمثل تلك الظاهرة في التحول بالقضايا ذات الطابع السياسي من المحاكم المدنية العادية الى محاكم امن الدولة ثم الى المحاكم العسكرية . ولو اسقطنا التحفظات السياسية والموانع الديمقراطية فاننا قد نجد بعض المنطق وراء احالة القضايا التي يصاحبها العنف او التخريب الى المحاكم الخاصة رغم رفضنا لمثل هذا الاجراء . اما مع قضايا الرأي البحت فانه حتى هذا القدر القليل من المنطق لا يقوم . وقد كانت احالة الشاعر احمد فؤاد نجم والمغني الشعبي الشيخ امام والفنانة عزة بلبع والبعض من طلاب جامعة عين شمس الى المحكمة العسكرية العليا تصعيدا للتعامل اللاديمقراطي من قبل السلطة للمفكرين والفنانين واصحاب الرأي . وقد اصدرت تلك المحكمة في الايام الاخيرة احكاما بالغرامة والسجن مددا متفاوتة على الشاعر المذكور وكذلك على بعض الطلاب الجامعيين الذين تم اقحامهم في قرار الاتهام . وهذا يدفع مكتب الكتاب والادباء والفنانين بحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي الى التحذير من خطورة هذا التقليد .

ان المكتب اذ يعتبر السكوت عليه وامكانيه تكرار هذا الموقف خيانة للديمقراطية وتهاونا في حق اساسي من حقوق المواطن المصري ، يجد من واجبه ان يضع مجموعة المؤشرات التالية امام انصار حرية الرأي وحق التعبير في كل مكان وان يطالبهم بمشاركته للتصدي لايقاف مكان وان يطالبهم بمشاركته للتصدي لايقاف كل تلك الممارسات اللاديمقراطية والعمل من اجل تصحيح الاخطاء والاثار السلبية التي تنجم عنها مستقبلا .

١ - ان الممارسه الديمقراطية لا تقوم على غير الخلاف في الرأي . وهو الامر المؤكد حتى في الديمقراطيات الليبرالية الشكلية . والكتاب والادباء والفنانون هم في الاساس اصحاب وصناع رأي . والدستور المصري وكذلك الاعلان العالمي لحقوق الانسان يصونان الرأي الحر ويضمنان حق التعبير ومن هنا فان احالة اصحاب الرأي الكتاب والادباء والفنانين لاختلاف السلطة معهم الى غير القضاء العادي يعتبر تعسفا من السلطة في استخدام القانون فما بالنا باحالتهم الى المحاكم العسكرية فانه يدل على قصد مع سبق الاصرار بمصادرة حقوقهم الدستورية التي منها طبقا لدستورنا ان لا يحرم مواطن من قاضيه الطبيعي .

٢ - ان القضاء العسكري نوع من المحاكم الخاصة وتشكيل هذه المحاكم ، وبالتالي احكامها روعى فيها طبيعة الانضباط العسكري الذي قد لا يتسع لكثير من الضمانات القانونية والديمقراطية فهل نكون مخطئين اذا اعتبرنا اخضاع المدنيين لهذا القضاء الخاص هو توظيف لصرامة قواعده في غير ما وضعت من اجله او حرمان للمواطنين مما يتوافر لدى القضاء العادي من ضمانات .

Digitized by Birzeit University Library

٣ ـ ترتفع قيمة العمل الفني او الادبي كلما تعددت التفسيرات والدلالات التي تصاحبه وبالتالي فان العمل الجيد يمكن تحميله تأويلات فاسدة متعسفة والنتيجة المنطقية لكل هذا ان يصبح الابداع الحقيقي في هذا الوطن موضع اتهام وان يصير المبدعون ضيوفا دائمين في مخافر الشرطة واستراحاتها .

وثيقة « ٩ »

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

- **من اجل الدفاع عن كرامة مجلس الشعب**
- **ومن أجل الدفاع عن كرامة أعضائه**

نداء الى جميع اعضاء مجلس الشعب

في الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم ١٩٧٨/٥/١٦ وبعد ان قامت قوات الامن بفض الموكب الانتخابي لاحد المرشحين بدائرة الجمرك بالاسكندرية والقبض على بعض المواطنين وعند توجه السيد ابو العز حسن الحريري عضو مجلس الشعب عن دائرة كرموز ومعه المرشح المذكور للاطمئنان على المواطنين المقبوض عليهم ومحاولة التوسط للافراج عنهم فوجىء سيادته (ابو العز الحريري) بحجزه بالقسم وتحويله الى النيابة وتوجيه الاتهام له بضبطه متلبسا بالقيام بمظاهرة عدائية .

وفي نفس الوقت تقريبا قامت نفس القوات بالاعتداء على بعض اعضاء مجلس الشعب من اعضاء حزب الوفد الجديد الامر الذي ادى الى اصابة اثنين منهم هما الاستاذين احمد ناصر وطلعت رسلان ودخول الاخير المستشفى للاشتباه في اصابته بارتجاج في المخ .

ان هذين الحادثين وبغض النظر عن اسبابهما او هوية وانتماء الذين وقع عليهم الاعتداء يمثل سابقه خطيرة وانتهاكا للحصانة البرلمانية التي تعتبر ركنا اساسيا من اركان الديمقراطية واحترام الدستور لا يجوز السكوت عليه او تمريره بدعوى انه لا يمس سوى عدد محدود من اعضاء مجلس الشعب المعارضين لسياسة الحكومة ، فالمعارضة في نهاية الامر موقف قد يشمل اتجاهات متعددة وانتماءات مختلفة وقد يصبح المؤيد معارضا والمعارض مؤيدا في الغد والمطلوب ليس فقط حماية يومنا بل وتأمين غدنا ايضا .

اننا نناشد جميع اعضاء مجلس الشعب بغض النظر عن تعدد انتماءاتهم الحزبية بل ومواقفهم العملية اليوم ، ان يتخذوا موقفا حازما تجاه هذا الانتهاك للدستور والعدوان على كرامة اعضاء المجلس التي هي كرامة المجلس نفسه ، وان تجتمع كلمتهم على استنكار هذا الاعتداء والمطالبة بتوقيع العقاب على المسؤولين عنه وتشكيل لجنة من كل الاحزاب للتحقق مما جرى للنائب ابو العز الحريري وتقديم تقرير عنه الى المجلس .

تحريرا في : ١٩٧٨/٥/٢٠ .

اعضاء مجلس الشعب
عن التجمع الوطني التقدمي الوحدوي
خالد محي الدين
قبارى عبد الله

Digitized by Birzeit University Library

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

اصدرت السكرتارية العامة للحزب بيانها التالي بالاجماع :
يوم ١٩٧٨/٦/٤

في الوقت الذي تتراكم فيه على الوطن والشعب الازمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تفرض لمواجهتها جوا ديمقراطيا صادقا ، اختارت السلطة التنفيذية والحزب الحاكم طريق تصفية بدايات التجربة الديمقراطية وبالرغم من ان الرأي العام في البلاد ومن مختلف الاتجاهات قد استشعر الخطر وراء هذا الاتجاه وعبر بصور مختلفة ومشرفة عن الحرص على الحريات الاساسية وسلامة الحياة الحزبية ، اصدر مجلس الشعب قانونا جديدا يكرس سيطرة الحزب الواحد وتركز السلطة وتكبيل الحريات ، فهذه المؤسسات التي تمنى الشعب منذ ثلاث سنوات بقانون للضرائب لم ير النور حتى الان جمعت كل قواها وشتى اساليب الضغط لتصدر في يوم واحد قانونا يلغي الحياة السياسية الشرعية ويهدد امن كل مواطن ويصادر كل رأي حر وبهذا تزج تلك المؤسسات بالبلاد في ازمة خطيرة وتتحمل بذلك مسؤولية جسيمة امام الشعب الذي يتطلع الى تحرير ارضه وتوفير قوته وصون كرامته .

ان القانون الذي اقره مجلس الشعب في اول يونيو فريد في صياغاته المطاطة ، جريء في مخالفته لمبادىء الدستور الاساسية ، يجرم كل ما لا ترضى عنه السلطة التنفيذية والحزب الحاكم ويكفي ان نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر : -

١ - يخالف القانون الدستور مخالفة صارخة من حيث انه يغير من بعض احكامه الاساسية التي لا يجوز المساس بها لانها جزء من حقوق الانسان المقرة عالميا ومتضمنة في ميثاق حقوق الانسان الذي اصدرته الامم المتحدة ووقعته مصر . وهو لم يتخذ الاسلوب السليم لتغيير الدستور واتباع الاجراءات المنصوص عليها فيه بغية تعديله .

٢ - يجعل هذا القانون من الاجراءات الاستثنائية التي تتخذ عادة في مرحلة استثنائية وتنتهي بانتهائها يجعلها وضعا طبيعيا دائما وقانونيا . وهذا واضح في كل السلطات التي يمنحها القانون للمدعي الاشتراكي . فالعزل السياسي والحرمان من الوظائف العامة والمراكز القيادية الانتخابية والنقابية وفرض القيود على الرأي الاخر بل وتجريمه وتكبيل الصحافة بمزيد من القيود لا يمس عددا من محددا المواطنين لمدة محددة وانما هو سلاح دائم يمكن في اي لحظة ان يستخدم ضد اي مواطن .

٣ - يخرق القانون صراحة نص المادة ٤٠ من الدستور التي تنص على ان المصريين سواء لدى القانون وتحظر التمييز بينهم بسبب الجنس او الدين او العقيدة كما يهدر علما بأن الدستور كان يكفل هذه الحقوق حتى في ظل التنظيم السياسي الواحد .

٤ - يحرم القانون المواطن من الالتجاء الى قاضيه الطبيعي ، ويسلب السلطة القضائية صلاحياتها في اخطر ما يمس حياة المواطنين وهو مجال الرأي والفكر والعمل

Digitized by Birzeit University Library

السياسي . ويبتدع جمع سلطات التحقيق والاتهام والادانة في يد موظف عام ويجعل من مجلس الشعب واللجنة السباعية التي يرأسها امين اول اللجنة المركزية والتي يتمتع فيها الحزب الحاكم بالاغلبية المطلقة ، جهة القضاء في اخطر حقوق المواطن .

٥ ـ برغم كل القيود التي تضمنها القانون ٤٠ لسنة ١٩٧٧ بشأن الاحزاب السياسية فان القانون الجديد ينتكس عليه ويجعل العضوية في اي حزب ونفاذ قرارات هيئاته القيادية وممارسته لنشاطه بل وجوده ذاته ، رهنا بقرار من اللجنة المشار اليها في الفقرة السابقة كما انه يحرم الاحزاب من صحافتها المعبرة عن رأيها في جو طبيعي وحر .

ولكل ذلك فان هذا القانون مخالف لمبادىء الدستور الاساسية ولا بد من العمل بكل الوسائل القانونية لاثبات عدم دستوريته والغائه . ان المعارضة بصفة عامة احترمت القانون والشرعية وعجزت الحكومة عن ان تستخدم ضدها ايا من النصوص الكثيرة في القوانين المقيدة للحريات وللعمل السياسي . وهذا في ذاته شهادة على سلامة ممارسة المعارضة وضيق السلطة التنفيذية بأية معارضة .

وحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي الذي نشأ بطريقة طبيعية وثمرة لنضال طويل وتطور فكري في اطار الواقع المصري والعربي ليعبر عن وحدة قوى التقدم والوحدة في بلادنا ، يعتز بأنه كان على مستوى مهمته وعلى قدر مسؤوليته . ويشرفه ان الجماهير استجابت لكلمته واقبلت على جريدته « الاهالي » التي اثبتت بكل المقاييس ان الصحافة الحزبية المسؤولة يمكن ان تنجح نجاحا رائعا مهما قل ما تحت يدها من امكانات . ولذلك فان حزبنا يتمسك بحقه في الوجود الشرعي المستقل ويؤكد احترامه للدستور ويطالب الجميع بتغليب مصالح الوطن العليا على اي مصلحة حزبية ضيقة من اجل انقاذ البلاد من هذه الازمة السياسية الجديدة التي اضافتها السلطة التنفيذية والحزب الحاكم لازماتنا الاقتصادية والاجتماعية والخارجية . ويدعو لفتح المناقشة العامة حول افضل السبل لتطوير الممارسة الديمقراطية وحمايتها من الانتكاس . ان علاج سلبيات الديمقراطية لا يكون الا بالمزيد من الديمقراطية ، ولم يكن الرأي الواحد يوما ـ ولو زين بأحزاب هزيلة وشكلية ـ سبيلا للاستقرار او التقدم او الوحدة الوطنية .

وبناء على ذلك كله ... فان السكرتارية العامة تقرر ما يلي :

اولا : دعوة الهيئة التأسيسية لاجتماع طارىء في الساعة العاشرة من صباح يوم الاحد ١١ يونيو ١٩٧٨ بالمقر المركزي للبت في مستقبل الحزب على ضوء هذه التطورات السياسية الخطيرة .

ثانيا : اتخاذ الاجراءات القانونية للطعن في دستورية هذا القانون والغائه .

ثالثا : والى ان تصدر الهيئة التأسيسية قرارها حول مستقبل الحزب فان السكرتارية العامة ترى من واجبها ان تحدد الموقف من القانون الجديد والذي تبلور من خلال حوارها المتصل مع مختلف قواعد الحزب وهيئاته القيادية على النحو التالي :

١ ـ الامتناع عن النشاط السياسي الجماهيري في ظل هذا القانون .

Digitized by Birzeit University Library

٢ ـ يقتصر النشاط الحزبي حتى صدور قرار الهيئة التأسيسية على العمل الداخلي بالمقرات ، ويدخل في ذلك اتخاذ الاجراءات القانونية للدفاع عن الحـــزب واعضائه ، وتنظيم المناقشة العامة حول مستقبل الحزب .

٣ ـ توقف جريدة الاهالي عن الصدور اعتبارا من يوم الاربعاء ١٤ يونيو ١٩٧٨ .

٤ـ الاصرار على استقلالية الحزب ووحدة كل فصائله ، وعدم التدخل في شؤونه الداخلية وان يكون الفيصل في العضوية هو اللائحة الداخلية للحزب التي اقرت وفقا للقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ بشأن الاحزاب السياسية .

٥ ـ دعوة كافة الهيئـــات القيادية والاعضاء الـــى التحلي بالمزيد من الانضباط التنظيمي والتمسك بالشرعية ، والارتفاع الى مستوى المسؤولية للمرحلة الراهنـة من نضالنا الديمقراطي القومـي .

٦ ـ ايقاف قبول اي عضوية جديدة في ظل هذا القانون .

واننا لعلى ثقة ان الكلمة النهائية حول مستقبل الديمقراطية في مصر ستكـــون لجماهير شعبنا الصامدة الاصيلة .

والله هو المستعـان
التاريخ ١٩٧٨/٦/٤

السكرتارية العامة

وثيقـة « ١١ »

رسالة من الكتاب والصحفيين المصريين الى المدعي العام الاشتراكي

السيد ـ انور حبيب

المدعي العام الاشتراكي

بجمهورية مصر العربية ـ القاهرة

بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٧٨ نشرت الصحف المصرية ما يفيد انكم قررتم استدعاء ٢٤ صحفيا وكاتبا وفنانا مصريا من الخارج للحضور امامكم للتحقيق معهم فيما نسب اليهم من انهم يكتبون من الخارج مقالات او يدلون بأحاديث اذاعيـــة تعبر عن معارضـــة للسياسات التي ينتهجها النظام الحاكم الان في بلدنا .

كذلك نسبت الصحف المصرية ووكالات الانباء لكم تصريحات تتضمن تهديـدات بتوجيه تهمة الخيانة العظمى لمن تثبت ضده تلك المزاعم ، وباسقاط الجنسية عمن يرفض الاستجابة للاستدعاء الصادر عنكم .

Digitized by Birzeit University Library

ان الموقعين على هذه المذكرة ، وهم بعض المشمولين بما قيل انه قرار استدعاء منكم ، يودون ان يضعوا امامكم ، وامام شعبنا وامام الرأي العام العربي والعالمي ، رأيهم في ذلك الاستدعاء ، وفي الملابسات المحيطة به .

اولا - ان القضايا التي يقال انكم تريدون استدعاءنا للتحقيق معنا بشأنها هي قضايا سياسية جادة ، تتعلق بالمصالح العليا لشعبنا ووطننا . ونحن نرفض مناقشة هذه القضايا الجادة والخطيرة في اطار مهزلة من الاجراءات القمعية والتعسفية هدفها المعلن على لسان رئيس الدولة هو قمع كل معارضة لسياساته حتى يكون طليق اليدين في التصرف بمقدرات شعبنا ووطننا هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى ، فان تلك القضايا التي تزيد استجوابنا بشأنها هي من صميم المسائل المتعلقة بحرية الضمير والعقيدة التي يكفلها الدستور ، وتكفلها كل المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان ، ومن هنا فاننا نرفض مبدأ التحقيق معنا بشأنها ، حيث لو قبلنا بذلك فاننا نكون شركاء لكم في تشويه صورة بلدنا كبلد تنتهك فيه اهم اركان حقوق الانسان وهي حرية الضمير والعقيدة .

من ناحية ثالثة ، فاننا نعتبر وجودنا في الخارج ، والدور الذي نقوم وخاصة بعد موجة القمع الاخيرة ، هو ضرورة وطنية وقومية ، لذلك فاننا لا نرفض وحسب الاستدعاء الموجه منكم الينا ، بل اننا نعلن استمرارنا في اداء مهمتنا الوطنية في الخارج ، دفاعا عن وطننا وشعبنا الذي يريد النظام الحاكم حاليا ان يغتال مصالحه السياسية والاقتصادية والثقافية دون ان يكون هناك من يفضح جريمته امام الرأي العام العربي والعالمي .

ثانيا - اننا نود ان نلفت نظركم الى ان هناك امورا لا ينبغي الاقتراب منها الا بكل حذر ودقة مثل موضوع الخيانة العظمى وموضوع اسقاط الجنسية .

ويهمنا ان نحذركم انكم اذا ما لعبتم باستخفاف بهذه الامور ، فانكم لن تكونوا قد وقعتم وحسب في خطيئة توجيه تهمة باطلة الى مواطنين شرفاء ومناضلين صادقين عن مصالح شعبهم ووطنهم ، بل انكم ستتورطون في جريمة اساءة استخدام منصبكم للتستر ، والدفاع عن اولئك الذين يخونون الوطن والشعب فعلا .

اما جنسيتنا المصرية فهي ابدا لم تكن منحة منكم او ممن تمثلون حتى يكون لكم حق التصرف بها ، ان جنسيتنا المصرية بحكم الانتماء لتراب مصر تتعمق جذورها بفضل نضالنا الطويل وتضحياتنا التي لا حصر لها دفاعا عن مصر ، وعن حرية مصر وعن شرف مصر . ان انتماءنا لمصر هو اعمق واقوى عشرات المرات من انتماء الذين يتجاسرون على الحديث عن امكانية اسقاط الجنسية عنا .

السيد المدعي الاشتراكي ..

بعد هذه المقدمة فيما يتعلق بالشكل ، فاننا نتطرق الى الموضوع :

اننا سننطلق من افتراض انكم تعون حقيقة مهمتكم بحكم قانون انشاء المنصب الذي تشغلونه ، أي منصب المدعي العام الاشتراكي ، وانكم تحترمون التزاماتكم التي

Digitized by Birzeit University Library

يمليها عليكم توليكم هذا المنصب ، والقسم الذي اقسمتموه عند توليه . انكم بحكم القانون مطالبون بالتحقيق فيما يضر بأمن الوطن وسلامته وبمصالح الشعب .

وتأسيسا على ذلك ، فاننا نطالبكم بدلا من التحقيق معنا ، ومع غيرنا من الكتاب والصحفيين والفنانين داخل ارض الوطن ، ان تحققوا في الوقائع التالية :

(- ما انشرته صحيفتا « واشنطن بوست » و « اليهرالد تربيون » الامريكيتين بتاريخ ١٠ ابريل ١٩٧٧ منسوبا الى مصادر عليا من وكالة المخابرات المركزية الامريكية عن رئيس الدولة المصري ..

ان رئيس الدولة لم يصدر اي بيان ينفي فيه ، او يفسر ، او يحتج على ما نشرته الصحيفتان خلافا لما نقله غيره من الساسة العرب او العالميين الذين نسبت اليهم نفس التهمة ، مما يعني ان رئيس الدولة لم يكن في وضع يسمح له بنفي هذه التهمة الخطيرة ، والتي ان ثبتت فانه يقع بذلك تحت طائلة المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى . ان مهمتكم ، يا سيادة المدعي العام الاشتراكي هي التحقيق في هذه الواقعة.

٢ - ان رئيس الدولة الحالي ، ومنذ توليه هذا المنصب انقلب على مجمل السياسات الخارجية والداخلية التي سارت عليها بلادنا منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والتي كانت في اتجاهها العام تتجاوب مع اماني شعبنا الذي ناضل من اجلها منذ بدأت ثورته الوطنية بقيادة عرابي . ان السياسات التي دمرها رئيس الدولة الحالي هي التي بفضلها تحقق استكمال وتعزيز استقلالنا السياسي والاقتصادي ، وهي التي حققت قدرا غير هين من النصر والازدهار لاقتصادنا الوطني ، والى تحسن ملموس من مستوى مواطنينا ماديا وثقافيا كما ان تلك السياسات هي التي عززت دور مصر العربي القيادي ، واعطتها مركزها الدولي الممتاز .

ان الانقلاب على هذه السياسات الحق اضرارا فادحة بوطننا وبمصالح شعبنا والتحقيق في ذلك هو صميم مهمتكم . فلقد ادى الارتماء في احضان الامبريالية الامريكية الى الانتقاص الفاضح من سيادتنا الوطنية والى تهديد خطير لاستقلالنا السياسي ، ويبدو ذلك واضحا من تزايد نفوذ الدوائر الرجعية العربية والامبريالية الامريكية في مواقع صنع القرار السياسي في مصر وادى ذلك الى تخريب علاقات بلدنا بأشقائنا العرب الوطنيين والتقدميين وبأصدقائنا العالميين وخاصة الاتحاد السوفيتي ، وكلاهما كان مصدرا لدعم غير محدود وغير مشروط سواء لتنمية قدراتنا الاقتصادية او لدعم قدراتنا الدفاعية.

ان تدمير اقتصادنا الوطني عن طريق ما يسمى بالانفتاح الاقتصادي ، واعادة فتح الباب على مصراعيه امام الرأسمالية المحلية والعالمية لنهب ثرواتنا القومية ، واعتصار جهد شعبنا الكادح في الريف او المدينة ، والمجاعة الحقيقية التي جلبتها هذه السياسة على قطاعات واسعة من جماهير شعبنا ، وكذلك تخريب القدرة الدفاعية لجيشنا عن طريق ما يسمى بتنويع مصادر السلاح ، كلها حلقات من مخطط خبيث هدفه في النهاية تركيع شعبنا امام اعدائه الصهاينة والامبرياليين ، وتحويل وطننا من قلعة طليعية للتحرر ، الى قاعدة للنشاطات الامبريالية والرجعية والصهيونية المعادية لمصالح وطننا العربي ولمصلحة التقدم والتحرر والسلام من منطقتنا وفي العالم . فاذا لم يكن كل ذلك هو الخيانة العظمى فماذا تكون اذن ؟.

Digitized by Birzeit University Library

٣ ـ ان رئيس الدولة قد اضطر للاعتراف امام مجلس الشعب في خطابه يوم ١٥ مايو ١٩٧٨ بأنه استولى على مليون جنيه استرليني محولة من امير قطر الى خزانة الدولة ووضعها في حسابه الخاص ٠ وانه نسيها !! ـ ان القصة التي اوردها رئيس الدولة لتبرير هذه الواقعة بعد افتضاحها لا تقنع احدا ٠٠ وانما هذه الواقعة في حد ذاتها تحتاج الى تحقيق اضافة الى انها مؤشر يوحي باحتمال ان تكون هناك وقائع اخرى مشابهة من التلاعب بأموال الدولة ٠ ومهمتكم يا سيادة المدعي الاشتراكي هي التحقيق في ذلـك ٠

٤ ـ اننا نطالبكم ايضا بالتحقيق في وقائع تمويل لبعض اجهزة الاعلام الرسمية ، ولبعض المؤسسات التعليمية من جانب دوائـر امبرياليـة امريكية ، ورجعية عربية لتشجيعها على المضي في تضليل شعبنا ، وتزييف الحقائق عليه ، وتخريب وجداننا القومي ، وتدمير فضائلنا وقيمنا الوطنية والقومية واشاعة الثقافات المهترئة والقيم المتدهـورة ٠

٥ ـ كما نطالبكم بالتحقيق في عملية تحويل جيشنا الوطني عن المهمة التي منحها الشعب كل شيء مـن اجـل القيام بها وهـي تحرير الارض المحتلـة الـى جيش يخدم مصالح الاحتكارية الغربية في زائير ، ويدعم المؤامرات الامبريالية في افريقيا ، ويحمي انظمة معادية لشعوبها كما هو الحال في السودان وتشاد ، ويعتدي على شعب عربي شقيق كما حدث مع ليبيا ٠

٦ ـ وقيام رئيس الدولة بزيارة قادة العدو في القدس المحتلة يومي ١٩ و ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ بقرار انفرادي منتهكا بذلك احكام الدستور الذي وضعه هو ، وميثاق الجامعـة العربية ، وقرارات مؤتمرات القمة العربية في الخرطـوم والرباط والجزائر والمحادثات السرية التي اجراها مع قادة العدو دون ان يطلع عليها اية جهة مصرية ٠ والتعهدات والتنازلات التي قدمها للعدو ، واخطرها انهاء حالة الحرب ، والاعتراف بالعدو وفتح الحدود معه ، وهي كلها امور تمس المصالح العليا للوطن وللامة العربية ، ولا يمكن لرئيس الدولة ان يتصرف فيها بمفرده ٠

ان ما فعله رئيس الدولة بزيارته للقدس المحتلة وما يترتب عليها يستوجـب محاكمته بتهمة الخيانة العظمى ، وليس مجرد كتابة مقالات تنتقد ٠

٧ ـ وما ارتكبه رئيس الدولة بزيارته للقدس المحتلة ، وما يترتب عليه من اعتراف بكيان اغتصابي عنصري ، وما لحق ذلك من اتفاقات حول ما يسمى بحلول القضية الفلسطينية ، هي في جوهرها تصفية للقضية الفلسطينية ، كل هذه امور لا يملك ان يتصرف بها ، وتمثل اعتداء غادرا على الشعب الفلسطيني وعلى قيادته المعترف بها عربيا ودوليا ممثلا شرعيا وحيدا له ٠

ان محادثات تصفية القضية الفلسطينية على النحو الذي يقوم به رئيس الدولة في مصر ، هي عمل مضاد لمصالح شعبنا ووطننا ولمصالح الشعب العربي الفلسطيني ، وعدوانه على حقوقه المشروعة وخاصة حقه في تقرير مصيره على ارضه هو عمل معاد لكل اماني وتطلعات امتنا العربية في التحرر والاشتراكية والوحدة حيث ان الوجه الاخر

Digitized by Birzeit University Library

لهذه السياسية هو تعزيز ودعم الكيان العنصري الصهيوني الذي يشكل اداة اساسية للمخططات الامبريالية المعادية لتحرر وطننا العربي ولوحدته وتقدمه .

السيد المدعي العام الاشتراكي:

هذه هي التهم التي نوجهها للنظام الحاكم حاليا في بلادنا ولرئيسه على وجه التحديد ، والتي انتم مطالبون بحكم منصبكم بالتحقيق فيها . انها في نفس الوقت منطلقات موقفنا من هذا النظام ، والتي على اساسها نعتبر ان مهمتنا الوطنية والقومية هي الاستمرار في معارضته والنضال ضده حتى يتخلى عن هذه السياسات ، او يتخلى عن موقع التحكم في مقدرات شعبنا .

المجد والخلود لشهداء شعبنا وخيشنا

المجد والخلود لشهداء الثورة الفلسطينية والامة العربية

والنصر لنضال شعبنا وامتنا

سعد زغلول فؤاد - فتحي خليل - طاهر عبد الحكيم - ابراهيم عبد الجليل - سعد التائه - صافيناز كاظم - عبد المنعم الغزالي - احمد عز الدين .

وثيقة « ١٢ »

حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

اللجنة السياسية

تقرير مقدم من اللجنة السياسية الى الهيئة التاسيسية لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

في يوم الخميس الاول من يونيو ١٩٧٨ ، وافق مجلس الشعب على القانون المسمى باسم « قانون حماية الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي » وبصدوره تكون قد وضعت اخطر القيود على حرية الافراد والجماعات مما لم تعرف له البلاد في تاريخها القريب مثيلا له من قبل .

ولقد كان من اشد دواعي الاسف والالم ان يتم اقرار مشروع القانون في مجلس الشعب في جلسة واحدة ، وذلك على الرغم من ان المعارضين له من اعضاء المجلس قد حذروا من ان - تطبيقه سيكون بداية انتكاسة بعيدة المدى لقضية الديمقراطية في مصر ، هي انتكاسة تعصف بالقدر المحدود الذي تحقق منها في السنتين الاخيرتين . ذلك ان القانون بصياغاته الغامضة والمطاطة يخالف مخالفة صريحة دستور ١٩٧١ في المواد التالية :

١٣ ، ١٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٦٥ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٨٢ وجميعها باستثناء المادة الاخيرة

Digitized by Birzeit University Library

من المبادىء الاساسية للدستور التي تعد مخالفتها خروجا على المقومات الاساسية للمجتمع السياسية منها والاجتماعية . ذلك :

١ ـ ان القانون يتعرض لمعتقدات المواطن وحرية ضميره .

٢ ـ يعود بالبلاد الى الاجراءات الاستثنائية عندما يقرر العزل السياسي .

٣ ـ يخالف مبدأ رجعية القوانين عندما يعاقب ـ مرة اخرى مواطنين ، سبق ان وقعت عليهم عقوبات مختلفة من قبل ، دون ان يكون هناك ما يستوجب اعادة توقيع العقوبات عليهم .

٤ ـ وانه يسلب اختصاص السلطة القضائية عندما يعطي اختصاصات النيابة العامة الى المدعي العام الاشتراكي . وكذلك عندما يعطي اختصاصات القضاء الى مجلس الشعب ، اي عمليا الى الاغلبية التي يشكلها الحزب الحاكم داخل المجلس انه باختصار يسلب حق المواطن في ان يحاكم امام قاضيه الطبيعي .

٥ ـ وانه ، بصياغاته المبهمة يجرم النشاط السياسي للمواطنين ، ويوقعهم تحت طائلة العقاب وفقا لاهواء اجهزة الادارة والسلطة التنفيذية والحزب الحاكم .

٦ ـ وانه يصادر النشاط المهني والثقافي والعلمي والادبي . بل انه يصادر في النهاية ويصفي عمليا ـ كل نشاط مشروع للاحزاب السياسية والمنظمات النقابية والجماهيرية الاخرى .

وانه يخالف الدستور شكلا ومضمونا . ولا يجوز تبرير ذلك بالاستفتاء . لان الدستور نفسه قد وضع اجراءات محددة لتعديله اخر مرحلة فيها هي الاستفتاء . وفضلا عن ذلك فان مثل هذا التعديل يتعلق بحقوق الانسان والمواطن ويتعارض تعارضا شديدا مع ميثاق حقوق الانسان الصادر عن هيئة الامم المتحدة كما يتعارض مع كافة الاتفاقات الدولية التي وقعتها مصر .

ولكل ما تقدم ، لم يتوقف حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي عن ابداء معارضته للاتجاهات التي تضمنها القانون ، ولقد عارضه الحزب في جميع مراحل اعداده منذ ان طرح في صيغة الاستفتاء .

ولم يكن منطلق « التجمع » في المعارضة ان القانون موجه ضد حزب بعينه ، او ضد جماعة بعينها . بل لقد وضح ، منذ اللحظة الاولى ، انه وضع ليفرض اشد القيود والحدود ، على حركة الجماهير الشعبية في البلاد . وانه بهذا المعنى ـ لا يقيد حركة اليسار وحدها انما يصادر بالمثل ـ كل نشاط سياسي للوفديين والمستقلين والناصريين خارج حزب التجمع ، كما انه يمس في الصميم نشاط واستقلال النقابات العمالية ونقابتي المحامين والصحفيين وغيرهما من النقابات المهنية .

ان صدور هذا القانون يحتم ان نطرح هذا السؤال وهو :

ما الذي دفع الحكومة وحزبها الى القيام بهذه الهجمة المعاكسة على بدايات الممارسة المحدودة والوليدة للديمقراطية وللنشاط الحزبي في البلاد .

Digitized by Birzeit University Library

ان حزب التجمع الوطني التقدمـــي الوحدوي يرى ان وراء هذا كلـــه تكمن اسباب موضوعية وذاتية هي التي دفعت بالحكومة والحزب الحاكم في هذا المنزلق الخطر .

فيما يتعلق بالاسباب الموضوعية :

فان البلاد تعيش منذ فترة مجموعة من الازمات المستحكمة :

- ازمة في القضية الوطنية والقومية .
- ثم ازمة اقتصـــادية .
- وازمة اجتماعيـــة .

الازمة الوطنية والقومية :

هنا تدفع البلاد دفعا الى طريق لا يخدم في النهاية مصالحنا الوطنية في تحرير الارض ومصالح شعب فلسطين في اقامة دولته الوطنية المستقلة .

فعلى الرغم من ان انجاز اكتوبر المجيد قد وضع امكانات هائلة وطنية وقومية ودولية في ايدي بلادنا والامة العربية كلها لمواصلة معركة التحرير على كافة المستويات الا ان الاعتماد المفرط على الولايات المتحدة الامريكية واعتبارها مفتاح الحل الرئيسي لقضيتنا الوطنية ادى الى تبديد هذه الامكانيات .

ونظرا للحلف الوثيق بين الولايات المتحدة الامريكية وبين العدو الاسرائيلي وبسبب التزام امريكا بأمن اسرائيل ، فقد انتهى الامر الى ان الحكومة قد اصبحت ، منذ زيارة القدس ، تقدم التنازل بعد التنازل ولكن لكي يطلب العدو الصهيوني المزيد من التنازل، لقد قدم المسؤولون الاعتراف باسرائيل ، ثم اعلنوا ان حرب اكتوبر هي اخر الحروب ثم جاء بعد ذلك الاقتراح الخاص بتأجيل حل قضية فلسطين بأن تشرف مصر مؤقتا على قطاع غزة ، وان تشرف الاردن على الضفة الغربية . وبهذا الاقتراح تكون مصر قد قبلت بأقل مما جاء في مشروع آلون الوزير الصهيوني الذي اقترح - بعد عام ٦٧ - اقامة كيان فلسطيني هزيل تشرف عليه اسرائيل .

ويبدو ان كل هذه العروض المصرية لم تكن لتشبع نهم اسرائيل ومن ثم اضيفت اليها الست نقاط التالية التي طرحها الرئيس السادات في حديثه مع التلفزيون الياباني وهـــي :

- منطقة منزوعة السلاح
- منطقة محدودة السلاح
- تمركز قوات الامم المتحدة
- خليج العقبة ممر دولي
- محطات انذار مبكر
- فتح الحدود لعلاقات طبيعية

ومع كل هذه التنازلات فان اسرائيل تطلب المزيد . وكلما قدم المسؤولين تنازلا - ازدادت اسرائيل تشددا . وهذا رد فعل متوقع من عدو هو عنصري وتوسعي بطبيعته لا يريد السلام ، ولكن يريد الامن لنفسه ، ثم يسعى الى تحقيقه من خلال التوسع في الارض العربية .

Digitized by Birzeit University Library

ولم يكن غريبا ان يؤدي منهج التنازلات في حل قضية تحرير الارض والقضية الفلسطينية الى التعثر في حل هذه القضايا ، وهو الامر الذي دفع شعبنا ولا يزال يدفع ثمنه فادحا من التمزق النفسي ، والبلبلة الفكرية ، والتراجع الحضاري ، والانقسامات المتزايدة في الصف القومي .

الازمـــة الاقتصـــادية :

هذه الازمة الوطنية والقومية تواكبها ازمة اقتصادية مستحكمة :

١ - ويكفي ان نشير - في مظاهر الازمة الاقتصادية - الى ان البلاد استوردت هذا العام من القمح كميات اكبر مما استوردت في العام الماضي . ومع ذلك ، فقد شعر جميع المواطنين بأزمة في رغيف العيش ، لا من حيث نقص المعروض منه فحسب او من انخفاض وزنه فحسب ، بل وايضا من حيث اضطرارهم الى شراء رغيف بعشرة او خمسة عشر او بعشرين مليما بدلا من رغيف الخمسة مليمات .

٢ - لا تزال سياسية الحكومة تقوم على رفع الاسعار وليس على تخفيضها وفي خلال الفتـــرة من يناير ١٩٧٧ الـى مارس ١٩٧٨ زاد متوسـط اسعار الاقمشة المحلية بنسبة تتراوح بين ٤٠ - ٧٠٪ وايجارات المساكن بنسبة ١٠٠٪ .

اما الزيادات في الاجور فكان معناها - في الواقع العملي ان الحكومة تعطي المواطن جنيها ثم يدفع المواطن سبعة جنيهات في مقابل الارتفاع المستمر في الاسعار .

٣ - ومن مظاهر الازمة ايضا ان مصادر التمويل التي تتجه اليها الحكومة تتردد في تقديم التمويل اللازم . فصندوق دول الخليج اعلن ان التمويل الجاري قد انتهـى . وانه مستعد لتقديم تمويل جديد اذا عرضت مصر مشروعات جادة وفي هذا العام خفضت الولايات المتحدة المعونة التي كانت تقدمها من الف مليون دولار سنويا الى ٧٥٠ مليون دولار . وقد وعد صندوق النقد الدولي بتقديم عرض قدره ٨٠٠ مليون دولار على ثلاث سنوات ثم خفض المبلغ الى ٧٥٠ مليون واضعا شروطا جديدة تفرض على الشعب مزيدا من التضحيات .

ان جوهر الازمة الاقتصادية في بلادنا يتمثل في توقف عملية التنمية . ولا امثل على توقفها من النقص الشديد فيما هو معروض في الاسواق من السلع المصرية . وعلـى سبيل المثال : كانت مصر مصدرة لمجموعات من السلع التقليدية التي اشتهرت بها مثل المنسوجات والسجاير والمصنوعات الجلدية والاثاث على انها تستورد اليوم ما كانـت تصدره مما ادى - وسيؤدي الى خلل في الميزان التجاري .

وليس من قبيل الصدفة ان تتعثر التنمية في مصر ، ذلك ان حزب مصر يتبع سياسية اقتصادية لا بد وان تؤدي الى ذلك وهي سياسية تقول بأن التنمية ليست مسؤوليـة الدولة وانما هي مسؤولية رأس المال الخاص المحلي ورؤوس الاموال العربية والاجنبية . ومع ذلك فلم يقم في البلاد - بعد - مشروع انتاجي له وزن حقيقي . وحتى المستثمرون الجادون من الاجانب يترددون في المجيء . اما حديث الحكومة عن زيادة الانتاج الصناعي فلا يعتمد على انشاء صناعات انتاجية جديدة بقدر ما يشير في احسن الاحوال الـى

Digitized by Birzeit University Library

عمليات الاحلال والتجديد داخل قطاع الصناعة ، الى جانب استكمال بعض المشروعات الصناعية التي كانت قد بدأت منذ ٥ ، ٧ سنوات .

وفي النهاية ، فليس التجمع الوطني التقدمي الوحدوي هو الذي يخترع وجود الازمة الاقتصادية . فهذا امر يعترف به كل ذي عينين . والحكومة نفسها تتحدث عن « معاناة الشعب » ، وعن « عنق الزجاجة الاقتصادي الذي توجد فيه البلاد » .

لكن الحكومة لا تريد - مع ذلك - ان تواجه هذه الازمة التي تئن تحت وطأتها الغالبية الساحقة والكادحة من ابناء البلاد ، والتي تتفاقم اثارها لتمس وضع ومصالح الفئات والشرائح الوسطى من السكان ، هذه الفئات التي يتزايد عجزها باستمرار عن مواجهة اعباء الحياة اليومية .

ان معنى ذلك كله - في نهاية المطاف - ان حصيلة الدولة لا تزيد وان العجز في الميزانية مزمن ، وان العلاج الذي تلجأ اليه الحكومة هو دائما طبع المزيد من اوراق النقد ، اي المزيد من التضخم ، وهو الامر الذي يوقع الشعب فريسة للمعاناة وللمزيد من المعانـاة .

الازمة الاجتماعيـــة :

وهذه الازمة ملازمة بالضرورة للازمتين الوطنية والاقتصادية وتتفاعل معهما . وجوهرها هو اختلال القيم بسبب غياب العدل الاجتماعي وانعدام الكفاية فبينما يبلغ متوسط دخل الفرد ٢٠٠ جنيه في العام - وهو من احط المستويات في العالم - فان التفاوت في الدخول رهيب . ولما كانت مصر من البلاد التي عرفت بعد ثورة يوليو تجارب التنمية ووضع حدا اعلى للدخول ، واعادة توزيع الدخل ، ومصادرة رأس المال الكبير ، فان الواقع الاجتماعي الحالي يولد في نفوس الاجيال الشابة حالة من عدم الاطمئنان الى حاضرها تغريها بالتفكير المستمر في هجرة بلدها ، وتغري الكثيرين ، من الافراد بتحصيل الثروات عن طريق المغامرة والتهريب والاعمال المريبة لا عن طريق العمل المنتج . ولا بد من الاشارة الى ان الاجيال الشابة قد تعرضت لحملة استهدفت غسل مخها ، وتشكيكها في للاستعمار والصهيونية ومثل العدالة الاجتماعية والاعتماد على النفس .

وكل ما يقال اليوم عن وجود ازمة اجتماعية تتمثل في عدم الانتماء ، وعجز الشباب عن تكوين اسرة والتحلل الخلقي وانتشار الرشـــوة والفساد وغير ذلك من الامراض الاجتماعية ... نقول ان هذا كله لا بد وان يستفحل اكثر فاكثر بسبب العجز عن حل قضايانا الوطنية والاقتصادية وذلك بما يخدم مجموع الشعب .

واخيرا فاذا حللنا مجموع هذه الازمات قلنا اننا امام ازمة عامة عميقة وشاملة ، لا يمكن ان يستفيد منها غير مجموعات من المنتفعين الطفيليين ، ولا نقول الرأسماليين المنتجين لان الرأسمالي المنتج هو مواطن يعتبر الملكية مسؤولية اما الطفيليون فليست لهم في بلدنا ملكيات اساسية لان همهم استنزاف اكبر قدر من الارباح لتحويلها الى خارج البلاد . وهؤلاء هم في مقدمة الذين يستفيدون من التضييق على الحريات وكبت المعارضة والرأي الاخر ، ففي مثل هذه الاجواء المنافية للديمقراطية يضاعفون من نشاطهم ويضاعفون بالتالي من اسلابهم ومكاسبهم .

Digitized by Birzeit University Library

الاسباب الذاتية للازمة :

وبالاضافة الى الاسباب الموضوعية للازمة هناك اسباب ذاتيـــة تتعلق بمواقـف السلطة التنفيذية والحزب الحاكم وممارساتهم الخاصة في حكم البلاد .

ان المادة ١٣٨ من الدستور تنص على ما يلي :

« يضع رئيس الجمهوريـة بالاشتراك مـع مجلس الوزراء السياسة العامة للدولة ويشرفان على تنفيذها على الوجه المبين في الدستور » .

واذا تأملنا هذه المادة فسوف نكتشف ان حكومة حزب مصر لا تقوم بمسؤولياتها على الوجه الذي يحدده لها الدستور . والوقائع التي تبرهن على ذلك تتزايد في كل يوم ويكفينا ان نضرب الامثلة التالية :

١ ـ عندما قام الرئيس السادات بزيارة القدس اعلن انه اتخذ مبادرته بمفرده .

٢ ـ ان عددا من القضايا الاقتصادية الاساسية اخذت قراراتها اصلا خارج مجلس الوزراء . نذكر من ذلك بعض قضايا التعمير والقضايا المتعلقـة بمشروعات الامـن الغذائي .

٣ ـ وهناك ظاهرة الاجراءات المتعارضة والمتخبطة في ذلك نشير الى قصة القرار الشهير رقم ١١٩ والى قانون الضرائب والى مشروع هضبة الاهرام .

هذه الامثلة ، ان دلت على شيء ، فعلـى ضعف الحكومة عـن ممارسة حقوقها الدستورية وهذا الضعف يجعل رئيس الدولة كما لو كان طرفا في الصراعات السياسية الدائرة (وربما اعطى الانطباع بمظاهر السلطة الفردية) . هذا في حين ان الحكومة تعلم ايضا ان الدستور قد وضع رئيس الجمهورية في مكان الحكم بين السلطات ولـم يضعه طرفا في الصراعات القائمة ـ وهذا الوضع يمكن ان يستقر عندما تبرهن السلطة التنفيذية على مقدرة حقيقية على تنفيذ مهامها الدستورية ، والا فانه يخشى ان يؤدي العجز عن القيام بهذه المهمة الى سد المنافذ لتغيير السياسات بأسلوب دستوري وفي اطار النظام القائم . وهو الامر الذي يرجو حزب التجمع ان تتفاداه البلاد .

وفي معرض الكشف عن الاسباب الذاتية للازمة ، تجدر الاشارة الى ظاهرة التغيير المستمر في اشخاص الذين يتولون مناصب الوزارة يكفي ان نضرب مثلا انه في غضون ثلاث سنوات (٧٥ ـ ١٩٧٨) توالي على وزارة التخطيط ستة وزراء كما تعاقب اربعة منهم على وزارة الزراعة . فبالاضافة الى ان الرأي العام في بلادنا لا يستطيع ان يفهم او يتابع منطلق هذه التغييرات ، فهي لا يمكن ان تكون علامة قوة ، او مظهرا استقرار في السلطة التنفيذية . وذلك من حيث انها لا بد وان تهبط بمستوى الاداء في الجهاز الحكومي برمته . وهذه نتيجة مؤسفة ، لا تبتهج لها لانها انما تعني المزيد من المعاناة للشعب الكادح ، اي المزيد من تفاقم الازمات التي اشرنا اليها .

Digitized by Birzeit University Library

كيف نقيم الهجمة الحكومية على حريات المواطنين ؟

ان هجوم الحكومة على الممارسات الديمقراطية الوليدة بكل هذه الاجراءات لم يتم من موقع القوة ، بل من منطلق العجز عن حل الازمات التي تواجه البلاد .

ولقد بدأ حرج موقف الحكومة واضحا من الوقائع التالية :

١ ـ عندما ايدت الحكومة مبادىء الاستفتاء عجزت بجميع اجهزتها عن تقديمها اي سند سياسي او تشريعي يبرر هجومها على الديمقراطية .وعلى العكس كانت مواقفها ـ دفاعية بحتة . وهذا ما عكسته صحافتها المسماة بالقومية حين عجزت عن اقناع رجال الفكر والكتاب الذين يحترمون انفسهم وتاريخهم بالدفاع عن مشروع القانون .

٢ ـ على الرغم من ان عددا من الكتاب الناطقين باسم الحكومة حاول ان يبيع الوهم القائل بأن القانون موجه في الاساس ضد اليسار وضد الشيوعيين الخ .

الا ان هذه المناورة لم تجز على اوسع قطاعات المثقفين وفي مقدمتهم رجال الجامعات الذين عارضوا مبادىء الاستفتاء بحزم . وهكذا فشلت الحكومة في ان تعزل اليسار في معركة القانون . وعلى العكس وجدت الحكومة نفسها امام اوسع جبهة معارضة . لقد وجدت في مواجهتها جبهة تضم اليسار بكل فصائله في داخل التجمع وخارجه كما تضم الوفديين والمستقلين واعضاء النقابات المهنية .

وعلى الرغم من ان صحف الحكومة حاولت ان تستميل الرأسمالية المصرية الى صفها وتخوفهم من الشيوعية الا ان الرأسمالية الوطنية ، والطبقة المتوسطة عموما ، كانت من الذكاء بحيث رأت ان نصوص القانون لا يمكن الا ان تثير القلق العميق وتزعزع الثقة بالاستقرار في اعمالهم ومشروعاتهم .

٤ ـ وربما يحسن التذكير بهذه الواقعة وهي انه ليس ادل على اتساع جبهة المعارضين للقانون من ان التخوف منه قد امتد الى داخل حزب مصر نفسه ، والى صفوف هيئته البرلمانية بالذات ، وهو الامر الذي اضطر زعماء الحزب الى ممارسة الضغوط الشديدة على عدد من زملائهم النواب بحثهم على الالتزام بالتصويت الى جانب القانون .

٥ ـ واخيرا فان الموقف الصعب الذي تقفه الحكومة يبدو بوضوح عندما نتذكر ان زعماء حزب مصر طالما زعموا في احاديثهم انهم انصار الممارسة الديمقراطية ، وانهم يقفون في صف حماية المعارضة والحياة الحزبية ولعل حزب مصر كان يجد في ذلك اغراء له بعد فشله في حل قضايانا الوطنية والاقتصادية والاجتماعية . ولكن ها هي ذي الحكومة تأتي لتضع بيديها حدا لهذه المزاعم التي طالما روجت لها ومن كل ما تقدم يمكن ان نصل الى الاستنتاج التالي وهو :

انه لما كانت الحكومات القوية لا تواجه الشعب بالقوانين الاستثنائية ولا تكمم في العادة افواه الاحزاب المعارضة ، فان هجمة حزب مصر على الديمقراطية لم يبعدها فقط عن

Digitized by Birzeit University Library

الطريق السليم لحل الازمات التي تواجهها البلاد ، وانما ضاعف ايضا من عزلتها على الاصعدة المحلية والعربية والدولية .

اننا هنا ، ومن منطلق الحرص على مصالح الوطن العليا يتحتم علينا ان ننبه الحكومة الى ان تضع امامها الاعتبارات الاساسية التالية :

الاولى : هي ان المعارضة في المجتمع حقيقة موضوعية تعبر عن التواجد الطبيعي والحتمي للرأي والرأي الاخر . وهذه الحقيقة لا يلغيها قانون او اجراء تعسفي . ولا بد من ان تعبر المعارضة عن نفسها بهذا الشكل او ذاك والافضل لمصلحة الشعب والنظام والسلطة ان تعبر عن نفسها من خلال قنوات ديمقراطية حقيقية ومشروعة . فهذه تجارب جميع البلاد .

الثانية : ان الصراعات السياسية والاجتماعية هي ايضا حقيقة موضوعية من حقائق المجتمع ولا سبيل الى حل هذه الصراعات حلا سلميا لمصلحة الجماهير الا بالديمقراطية وبمزيد من الديمقراطية وكلما اشتدت الازمات كانت الحاجة اكثر الحاحا الى توسيع الممارسة الديمقراطية ، وفي هذا الصدد علينا ان نعتبر بما حدث في تاريخنا القريب ، خاصة في الاربعينات واوائل الخمسينات ويقول التاريخ انه كلما ضاقت قنوات التعبير كلما اتسع المجال امام الممارسات الارهابية والمغامرة واذا كنا نرفض مثل هذه الممارسات بحزم وشدة ، فان الواجب الوطني يقتضينا ان نحذر الحكومة من مغبة الاسترسال في ممارساتها المعادية للديمقراطية فمثل هذه الممارسات ، فضلا عن انها لا تشبع الاستقرار المطلوب للنهوض بالبلاد ، فانها قبل كل شيء - تضعف موقفها في الصراع المصيري ضد اعدائها الصهيونيين والامبرياليين كما تسيء ابلغ اساءة الى سمعتها الدولية .

موقف التجمع بعد صدور القانون :

ان السؤال الذي فرض نفسه بعد صدور القانون هو :

ما هو مصير حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في ظل هذا القانون الذي يلغي ويجرم بشكل عملي كل نشاط سياسي لاحزاب المعارضة في صفوف الجماهير ، ان السكرتارية العامة وهي تدرك جسامة المسؤولية في اتخاذ اي قرار يمس كيان الحزب ونشاطه بادرت وحددت تصورها ابتداء في البيان الصادر منها يوم : ٤-٦-١٩٧٨ . ليكون مطروحا امام الجمعية التأسيسية لتتخذ منه ما تراه من قرارات .

لقد انتهت السكرتارية باختصار الى عدد من القرارات في مقدمتها : الامتناع عن النشاط السياسي الجماهيري في ظل هذا القانون وايقاف جريدة الاهالي عن الصدور ، وايقاف قبول اي عضوية جديدة .

ومن المهم ان نوضح في شيء من التفصيل الحيثيات الاساسية التي دعت السكرتارية العامة الى هذا الاختيار . وهو اختيار صعب بلا ادنى شك .

Digitized by Birzeit University Library

ولكن السكرتارية العامة ، ومعها اللجنة السياسية ولجنة الطوارىء ، كانت امام اختيارين اخرين انتهت الى استبعادهما :

١) احد هذين الاختيارين هو ان يستبعد الحزب كل صيغة استسلامية لبقائه يمكن ان تضعه في وضع المبرر او المحلل اجراءات استثنائية موجهة ضد حركة الجماهير ... اوضاع لا يستطيع الحزب ان يقول فيها كلمته بما يتفق مع قناعاته وخطه السياسي وبرنامجه العام .

٢) الاختيار الثاني : هو ان تعلن السكرتارية العامة الحل النهائي للتنظيم الحزبي وينصرف كل عضو من اعضائه الى حال سبيله .

لقد استبعدت السكرتارية العامة خط الاستسلام وخط حل التجمع وانطلقت من نقطة مبدأية هي المحافظة بقدر ما تسمح به الظروف الراهنة على بقاء التجمع صيغة لكافة فصائل اليسار الداخلة فيه وكاطار يضمن الحد الادنى من استمرار وحدة العمل والمصير بين هذه الفصائل .

هنا نسأل : ولماذا الحفاظ على صيغة التجمع ؟

والجواب هو ان هذه الصيغة لم تنشأ عفوا ولا بقرار من اي نوع . وانما ولدت وتطورت كمحصلة للكفاح السياسي الذي خاضته في مصر جميع فصائل اليسار : الناصريون والوحدويون والماركسيون وقوى التيار الديني المستنير والوطنيون الديمقراطيون .

ان هذه الفصائل التي عرفت التكلفة الفادحة لانقسام صفوف اليسار ، اقتنعت بخبرتها بأن ما يوحد بين صفوفها اقوى بما لا يقاس مما يفرق بينها .

ومن هذا المنطلق ، اخذ كل فصيل منها يعيد النظر بكيفية ناقده لممارساته السياسية ومناهج واسلوب عمله . وفي خلال ١٥ عاما نما ببطء ولكن بثبات خط تجميع وتوحيد هذه الفصائل . وفي ظل الاخطار التي تعرضت لها مصر وتعرض لها الوطن العربي عقب الغزوة الصهيونية الامبريالية عام ٦٧ وفي ظل الاخطار التي تحيط به خط ثورة ٢٣ يوليو الوطني القومي والاجتماعي ، فرضت الظروف قيام التجمع كحقيقة موضوعية تعبر عن حالف حقيقي لكل فصائل اليسار التي اشرنا اليها. فالتجمع اذن حقيقة موضوعية . وقيامه هو بعيد عن وضع تاريخي معين والحفاظ على صيغته وحمايتها وفقا لما جاء في مواثيقه هو واجب وطني وقومي كما انه في الوقت نفسه عملية نضالية - ولكل هذا تستبعد السكرتارية العامة فكرة ان يقوم التجمع بحل تنظيمه ، ويرى ان الابقاء على الصيغة يمثل استجابة لمتطلبات استمرار خط الكفاح الوطني والاجتماعي ، واستجابة في الوقت نفسه لمطلب اعداد غفيرة من الاصدقاء والعاطفين عليه في كل موقع جماهيري ، ايضا فان هذا الخط يتضمن محاولة اخيرة يجب ان تبذل للابقاء على الصيغة في ظل ظروف عاصفة وشديدة التقلب .

وقد نسمع من يقول ان هذا القانون الذي يخنق كل نشاط سياسي حقيقي يمكن

Digitized by Birzeit University Library

الحكومة من ان تقوم هي بحل التجمع • وهذا بالطبع ـ امر محتمل جدا ، وبلا ادنى شك • لكننا ، مع ذلك نقول ، فلتتحمل الحكومة مسؤولية الغاء حزبنا ـ اما نحن فسنحاول الابقاء على صيغته قائمة في حدود ما هو ممكن •

ولاننا على يقين بأنه حتى اذا اقدمت الحكومة على الغاء التجمع فان عملها هذا لن يلغي تلك الصيغة التي استقرت في ضمير وعقل فصائل اليسار، والتي اثبتت التجربة نجاحها وامكانية تطورها • فعلى الرغم من ان عمر التجربة قصير للغاية فان التجمع كان يتحرك ويناضل خلال السنتين الماضيتين وفقا لخط سياسي يثبت صحته بشكل عام ، ولا ادل على ذلك من الاجتماعات الجماهيرية العديدة التي عقدها في صفوف الشعب • كما ان حسن استقبال عشرات الالوف من المواطنين لجريدة الاهالي كان من المؤشرات الحاسمة على اتساع نفوذ التجمع في صفوف الرأي العام الوطني والقومي •

وهكذا في اطار علاقات القوى القائمة وفي اطار العلاقات القائمة بين الفصائل المكونة لحزبنا ـ وفي اطار معرفتنا بأننا نتحرك ضد القوانين المعادية للديمقراطيـــة كجزء لا يتجزأ من جبهة واسعة وعريضة للغاية ، نقول اخذين في الاعتبار كل هذه العوامل مجتمعة نستبعد من ناحية خط الدخول في مغامرات غير محسوبة كما نستبعد خط الاستسلام او خط حل التجمع بأيدينا •

ومن هنا تطرح السكرتارية العامة على الزملاء اعضاء الجمعية التأسيسية لحزب التجمع الوطني التقدمي نص القرار الذي تضمنه لبيانها المشار اليه للمناقشة وتأمل ان يحظى بموافقتها • وهو :

اولا : دعوة الهيئة التأسيسية لاجتماع طارىء في الساعة العاشرة من صباح الاحد ١١ يونيو ١٩٧٨ • بالمقر المركزي للبت في مستقبل الحزب على ضوء هذه التطورات السياسية الخطيرة •

ثانيا : اتخاذ الاجراءات القانونية للطعن في دستورية هذا القانون تمهيدا لالغائه •

ثالثا : والى ان تصدر الهيئة التأسيسية قرارها حول مستقبل الحزب فان السكرتارية العامة ترى من واجبها ان تحدد الموقف من القانون الجديد والذي تبلور من خلال حوارها المتصل مع مختلف قواعد الحزب وهيئاته القيادية على النحو التالي :

١ ـ الامتناع عن النشاط السياسي الجماهيري في ظل هذا القانون •

٢ ـ يقتصر النشاط الحزبي حتى صدور قرار الهيئة التأسيسية على العمـــل الداخلي بالمقرات ويدخل في ذلك اتخاذ الاجراءات القانونية للدفاع عن الحزب واعضائه ، وتنظيم المناقشة العامة حول مستقبل الحزب •

٣ ـ توقف جريدة الاهالي عن الصدور اعتبارا من يوم الاربعاء ١٤ يونيو ١٩٧٨ •

٤ ـ الاصرار على استقلالية الحزب ووحدة كل فصائله وعدم التدخل في شؤونـــه

Digitized by Birzeit University Library

الداخلية وان يكون الفيصل في العضوية هو اللائحة الداخلية للحزب التي اقرت وفقا للقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ بشأن الاحزاب السياسية ٠

٥ ـ دعوة كافة الهيئات القيادية والاعضاء الى التحلي بالمزيد من الانضباط التنظيمي والتمسك بالشرعية والارتفاع الى مستوى المسؤولية للمرحلة الراهنة من نضالنا الديمقراطي القومي ٠

٦ ـ ايقاف قبول اي عضوية جديدة في ظل هذا القانون ٠

واننا لعلى ثقة ان الكلمة النهائية حول مستقبل الديمقراطية في مصر ستكون لجماهير شعبنا الصامدة والاصيلة ٠

والله هو المستعان

تحريرا في : ١١-٦-١٩٧٨

السكرتارية العامة

وثيقة « ١٣ »

« بيان الكتاب والصحافيين المصريين من باريس »

« اعلن النظام الحاكم في بلادنا حربا صليبية محمومة على كل اطراف المعارضة الوطنية والتقدمية ، بأحزابها وتنظيماتها ونقاباتها وشخصياتها المستقلة من الكتاب والصحافيين في الداخل والخارج ٠ وذلك في محاولة مستميتة لتحويل انظار الجماهير عن قضاياها الحقيقية ، التي فشل النظام فشلا مدويا في حل اي منها ٠ فما سمي بمبادرة السلام لم تزد العدو الصهيوني الا صلفا وعجرفة وتشبثا بالارض العربية المحتلة وما سمي بسياسة الانفتاح لم تزد الجماهير الفقيرة الا بؤسا وفاقة ، وها هي ديمقراطية ١٥ مايو (ايار) تكشف عن وجهها الحقيقي في مجموعة القوانين التي لم تستطع اعتى النظم الاستبدادية ان تصدر مثلها ، مما اضطر الاحزاب الوطنية الوليدة ان تحل نفسها او تجمد نشاطها لتنفرد الجماعة الحاكمة بالسلطة المطلقة ولتستطيع ضرب الجماهير المطالبة بحقوقها في غياب اي صوت وطني او ديمقراطي معارض ٠

ان مخالب النظام وانيابه التي استطاعت ابواقه ان تتستر عليها بعض الوقت تبدو الان اشد ما تكون تعطشا لدماء الاحرار ، وبذلك يثبت النظام نفسه انه بكامله ليس الا امتدادا لاحلك ما تعاقب على مصر من عهود اليد الحديدية ، والظلم السياسي، ودولة المباحث والمخابرات ٠ ان جماهيرنا التي نستمد منها شرعية موقفنا سوف تتصدى بحزم وثبات لهؤلاء الذين حاولوا تزوير ارادتها من خلال ما سمي بالاستفتاء الشعبي الذي لم تستطع اجهزة الامن ان تسوق اليه الا ٨٪ ممن لهم حق الادلاء بأصواتهم ، كما اكدت جميع المصادر غير الحكومية في الداخل وجميع مراسلي الصحف الاجنبية والاذاعات الذين تابعوا هذا الاستفتاء الشعبي المزعوم ٠

Digitized by Birzeit University Library

ونحن الكتاب والصحافيين والفنانين المصريين الذين يرفع النظام في وجههم ، دون خجل ، تهمة تشويه سمعة مصر ، لا نجد حاجة ونحن نوجه هذا البيان لمواطنينا الى مناقشة هذه التهمة الباطلة ، بل اننا نردها بحق في وجهه ، فليس الكتاب والصحافيون والفنانون المصريون هم الذين يشوهون سمعة مصر وطنهم ، وانما هم الذين يتصدرون مع شعب مصر كله للنظام المستبد الذي لم يترك شيئا يسود سمعة مصر الا وفعله ، لسنا نحن الذين فتحنا ابواب مصر لطلاب المنفعة واللهـــو من شيوخ البترول وتجار وسماسرة الاعراض ، وطردنا من ارض مصر المناضلين والطلاب العرب الفقراء ، ولسنا نحن الذين عرضنا للبيع ارض مصر وثروتها الاقتصادية وترابها للمقاولين الاجانب لقاء سمسرة توضع في جيوب الاصحاب والاقارب ، وانما هو النظام ، ولسنا نحن الذين انحنينا اما علم الاعداء واستعرضنا جنودهم ووضعنا باقات الورود على نصب قتلة ابناء شعبنا وانما هو رئيس النظام ، ولسنا نحن الذين رهنا مصر لدى البنوك الاجنبية وحكمنا على الاجيال الحاضرة والمقبلة ان يذهب عرقها كله لسداد فوائد الديون التي تزداد يوما بعد يوم ، والتي لا تذهب للتنمية بل تتجه مباشرة الى جيوب رجال السلطة من المحاسيب والسماسرة ، فاذا كانت مصر عندنا اجمل واعظم من ان نسكت على ما يرتكب في حقها من جرائم كل يوم أفليس من حقها علينا ان يكون صوتها عاليا ضد النظام الذي بلغ به جنون السلطة حدا يصور فيه نفسه على انه هو نفسه مصر ، وان يقدم زبانيته على انهم وحدهم شعب مصر .

ونحن اذ يشرفنا ان نكون من بين عشرات الملايين من المصريين الذين يضطهدهم النظام نعلن اننا نرفض كل دعاواه الباطلة ضد مواطنينا ، ونستغرب ان يكون هذا الحقد كله مسلطا على افرادنا نحن الذين لا نملك الا حب مصر والوفاء لشعبها وتراثها .

اننا نعلن من جديد على الرأي العام المصري والعربي موقفنا من القضايا الخطيرة التي تهم بلادنا ، هذا الموقف الذي طالما عبرنا عنه في كتاباتنا أنتي وجهناها الى قرائنا من الخارج بعد ان سدت امامنا ابواب التعبير في مصر المرة تلو المرة .

اولا - اننا نرفض رفضا كاملا السياسة الاقتصادية التي انتهجها النظام والتي عرفت بسياسة « الانفتاح » لانها لم تؤدي الا الى سيطرة الفئات الرأسمالية الطفيلية على المجتمع والخضوع للاحتكارات المتعددة الجنسية ، وشروط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، ممـا ادى الى وقـف التنميـة الاقتصاديـة والاجتماعية في بلادنا ، وقفا تاما ، وفتح ابوابها على مصراعيها لمزيد من اللهب الاستعماري ، وترتب على ذلك ان ازداد الثراء الفاحش في جانب حلقة ضيقة من رجال السلطة الحاكمة وقاعدتها المحدودة من الطفيليين والسماسرة والمضاربين وتجار السوق السوداء واصحاب المشروعات المشبوهة ، وازداد الفقر المدقع في جانب الجماهير الكادحة العريضة التي لم تعد تجد كفاف يومها ، واصبحت مصر مرتهنة لدى البنوك الاجنبية والرأسماليات العربية الرجعية .

ثانيا - اننا نرفض السياسة الاستسلامية التي انتهجها النظام الحاكم ازاء الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية ، ونرفض موقفه المخزي من قضية فلسطين ، ومساومته على حقوق شعبها لقاء سلام راكع ذليل لم يتح له حتى ان يحققه .

Digitized by Birzeit University Library

لقد رفضنا من قبل ما سمي بمبادرة السلام ا ـ ي طبلت لها وزهرت اجهزة اعلام النظام وضللت جماهيرنا عن النتائج الحقيقية التي سوف تترتب عليها . وصورت لها زورا وبهتانا ان السلام قادم ، والرخاء قادم ، بمجرد الانحناء الذليل للعلم الصهيوني ، والوقوف وقفة معينة على منبر الكنيست . وها قد مضت ستة اشهر ، والعدو الصهيوني يصرح كل يوم بأنه لم يطلب اعترافا من احد ، وانه لن يتنازل عن الارض ، ولن يعترف بحق الشعب العربي الفلسطيني في ارضه . بل ازداد عتوا ، واعتدى على جنوب لبنان بعد زيارة وزير دفاعه الى القاهرة مباشرة .

لقد فشلت المحاولة الاخيرة للاستسلام والتي وصفت خطأ بمبادرة السلام ، وصارت صفحة كئيبة في التاريخ الاسود للنظام ، وتأكد لجماهيرنا ان كل الوعود الكاذبة التي منيت بها ، وكل الاحلام الوردية التي صورها لها النظام ، لم تكن الا محاولة جديدة من محاولاته لتدعيم مواقعه المهتزة في الحكم ، ومد شرايينه بدم صناعي ، حتى يطيل من فرص استغلاله ونهبه وسرقاته . وصار واضحا لكل من يحرص على تراب وطنه وشرفه وكرامته ان ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة . وان تحرير الوطن ليس مسألة سيكولوجية ، كما زعم السادات ، وانما هو معركة ضارية تتطلب التضحية بالروح والدم ، وان كرامة شعبنا ليست سلعة تباع على ارض القدس المحتلة ، وانما هي نبض امة ، ونضال جماهير ، وتاريخ شهداء .

اننا نعلن اننا لسنا ضد سلام يحرر لنا الارض العربية ويحقق لنا عودة شعبنا الفلسطيني الى وطنه ، ولكننا نعرف في الوقت نفسه ان الطريق الى هذا السلام ليس هو تصفية الجيش المصري ، وحرمانه من السلاح ، وهو ليس الركوع تحت العلم الصهيوني ، او استعراض كتائب جيش الدفاع الاسرائيلي التي قتلت الاطفال والشباب والشيوخ والنساء في وطننا وما زالت تحتل ارض بلادنا ، ولكن الطريق اليه يعرفه شعبنا الذي طالما ناضل ضد المحتلين . وتعرفه كل الشعوب التي خاضت معارك التحرر ، وهو طريق النضال الثابت والعنيد والكفاح بكل الطرق والاساليب والتضحية بالعرق والدم والدموع من اجل ان يكون الانسان العربي في مصر ، وفي غير مصر ، جديرا بتاريخه وترابه بل بحياته نفسها .

ثالثا : اننا نرفض السياسة الاعلامية التي ينتهجها النظام الحاكم في مصر ، والتي تقوم على الاساليب الاستبدادية المفضوحة في تضليل الجماهير ، وتزييف وعيها وقلب الحقائق ونشر الاكاذيب ، والالحاح في ترديدها حتى تقنع الناس بافتراءاتها وتلفيقاتها.

ان النظام الذي ظل سنوات يدعي الديمقراطية لم يستطع ان يتحمل بضع مقالات تقول الحقيقة ، ويكتبها كتاب منفيون عن ارض الوطن ، ويبلغ به الجنون او الحماقة او الذعر حد اتهامهم بالخيانة . لانهم كانوا صادقين مع الحق اوفياء لشعبهم .

يا جماهير شعبنا ويا طلائعه المناضلة ..

اننا نعلن من منفانا اننا لم نزد بعد الحملة الضارية علينا وعلى شعبنا الا اصرارا على مواقفنا ، وتمسكا بمبادئنا ، واندفاعا في النضال من اجل تحقيق اهداف جماهيرنا في التحرر والديمقراطية والاشتراكية ووحدة الجماهير العربية . اننا نعلن من منفانا ان شعار السلام الاجتماعي الذي رفعه النظام ليس الا شعارا لحماية

Digitized by Birzeit University Library

الاستغلال وامتصاص دماء الشعب ونهب ثرواته والمتاجرة بعرقه وكفاحه مع تجريم من يرفع صوته ضد هذا الاستغلال الذي ترفضه كل شرائع الارض والسماء . اننا نعلن من منفانا ان الوحدة الوطنية لا يمكن ان تكون وحدة المستغلين البائعين لارض الوطن ، المستسلمين لاعدائه ، المفرطين في دماء شهدائه ، مع الجماهير التي لا تجد قوت يومها، ولا تتلقى جزاء كفاحها اليومي الا مزيدا من القهر والفقر والاذلال .

اننا نعلن من منفانا ان الاشتراكية ليست شعارا كاذبا خاليا من المعنى ولكنها حقوق للطبقات الكادحة ، وتوزيع عادل للثروة الوطنية ، وتخطيط وتنمية وتقدم للمجتمع، الاشتراكية ليست موائد فارغة من الطعام ، ومصانع خاوية من الانتاج ، وخدمات بائسة للجماهير ، وثراء فاحشا لقلة من المستغلين .

اننا نعلن من منفانا اننا نرفض استبداد النظام ، ونستنكر كل اعتداء على حريات الجماهير في التعبير بكل الطرق والاساليب ونشجب بشدة كل القوانين الزائفة التي وضعت وتوضع كي تعود بلادنا الى عصور محاكم التفتيش .

اننا نعلن مساندتنا للاحزاب الوطنية والتقدمية في مصر التي هي وسيلة الجماهير في التعبير عن مصالحها واهدافها ونهيب بهذه الاحزاب ان تقف جبهة صلبة في مواجهة طغيان النظام وتفريطه في حقوق البلاد ، انها ساعة الوطنية ، ساعة استخلاص حقوق البلاد وحقوق الجماهير من براثن اعدائها في الداخل والخارج ، ساعة اما ان نكون بعدها او لا نكون .

توقيعات : احمد عبد المعطي حجازي ـ امير اسكندر ـ سمير كرم ـ عبد السلام مبارك ـ غالي شكري ـ محمود امين العالم ـ محمود حسين (وهو الاسم المشترك الذي يوقع به بهجت النادي وعادل رفعت) ـ مصطفى مرجان ـ ميشيل كامل .

Digitized by Birzeit University Library

سميح القاسم

من العدمية القومية الى الايجابية الراديكالية

خليل السواحري

على العكس مما توقعه منظرو الصهيونية ومنفذو ايديولوجيتها ، فقد أشعلت فترة الاحتلال لبقية الوطن الفلسطيني والاراضي العربية الاخرى ، بعد عام ١٩٦٧ ، جذوة الحس القومي التي كانت خامدة في رماد الاحتلال الاول للوطن الفلسطيني .

وفي حين خيل للقادة الصهاينة ان فترة الاحتلال الاول التي امتدت ما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ قد استطاعت ان تدجن عرب فلسطين ، الذين اطلقت عليهم مصطلح « عرب اسرائيل » ، اثبتت كل الاحداث ، ابتداء من حرب تشرين ١٩٧٣ مرورا بانتفاضة **يوم الارض** ١٩٧٦ ، وما بعدها ، عكس ذلك . لقد اثبتت هذه الاحداث على كافة الاصعدة توحد مشاعر الشعب العربي الواحد ، المحتل منذ عام ١٩٤٨ ، والمحتل منذ عام ١٩٦٧ .

ولم يكن هذ التوحيد على صعيد الجماهير فقط ، ولكنه كان على صعيد قادتها من الكتاب والمفكرين والشعراء والفنانين فكلنا ما نزال نذكر قصيدة « **العبور الكبير** » ، التي قالها **توفيق زياد** بعد حرب تشرين . وقد دفعت الرؤيا القومية المتطرفة التي حملتها القصيدة الى المطالبة بطرده من الكنيست ، وبرفع الحصانة عنه ، وتقديمه للمحاكمة .

وقد كان ذلك نموذجا من ممارسات كثيرة مشابة ضد الكتاب والادباء العرب ، بسبب مواقفهم التي اثارت هلع الاحتلال ، وبددت احلامه في ان يتحول عرب الاحتلال الاول الى جسر للتفاهم مع عرب الاحتلال الثاني ، وان يتحول عرب الاحتلا الثاني الى جسر للتفاهم مع العالم العربي كله .

Digitized by Birzeit University Library

لقد فجرت سنوات الاحتلال تلاحم النضال العربي في كل الوطن الفلسطيني، كما ادت الى حدوث تطورات هامة على صعيد الفكر القـــومي ومراجعة عميقة لجذور المسالة الفلسطينية لدى العديد من الكتاب والادباء الفلسطينيين من رعيل الاحتلال الاول ، وانتهت هذه التطورات الى خروج **محمود درويش** الى بيروت ، والى حدوث تحولات جذرية في مفاهيم **سميح القاسم** للقضيـــة الفلسطينية ، ولجوهر الصراع العربي الاسرائيلي ·

وكنموذج لهذا التطور فأنني سأتعرض فيما يلي لنصين مسرحيين نشرهما **سميح القاسم** في فترتين متباعدتين ، الى حـد ما ، وهما « **كيف رد الرابي مندل على تلاميذه** » (١) و « **الابن** » (٢) · ويتبين من دراسة مقارنـــة لهذين النصين مدى تطور مفاهيم **سميح القاسم** وتحولـه من الموقف الكوزموبولتي الى الموقف القومـي الايجابـي المتفتـــح ·

كيف رد الرابي مندل على تلاميذه

في مسرحيته **كيف رد الرابي مندل على تلاميذه** يقدم **سميح القاسم** نوعا من التبسيط الكوزموبوليتي المفزع للقضية الفلسطينية بطريقـة تكاد تتنافى او تقف على النقيض من الاعمال الادبية شعرا ونثرا التي قدمها **سميح القاسم** خـــلال حياته الادبية منذ « **دخان البراكين** » وحتى حكايته « **الى الجحيم ايها الليلك** »

ويمكن تلخيص مسرحيته هذه التي تتألف من ستة مشاهد او ست حالات ، كما اسماها هو على النحو التالي : ـ

هناك منزلان متلاصقان لحديقة واحدة « **الارض الفلسطينية** » منزل عربي يملكه **رضوان** ومنزل يهودي يملكه **شلومو** ، يدور الصراع بين الرجلين حـــول انبوب الماء القائم في وسط الحديقة ، وقد شاء المؤلف ان يربط كلا الرجلين الى هذا الانبوب بسلسلة حديدية تحيط بمعصم العربي وبكاحل اليهودي ·

---

١ ـ نشرت هذه المسرحية في مجلة **الجديد** ، التي تصدر في حيفا ، عدد شباط ١٩٧٣ ·

٢ ـ نشرت هذه المسرحية (الابن) في مجلة **الجديد** ، العدد ٩ و ١٠ ، ايلول وتشريـن اول ١٩٧٤ .

Digitized by Birzeit University Library

يبدأ النزاع بينهما بادعاء كل منهما ملكيته للأرض ٠

رضوان : هذه الارض ليست مجرد حديقة لمنزلي ، انهـــا سجل الذكريات التي لا مفر منها ، وهي آفاق الاحلام التي لا تحد ٠

شلومو : يوم تسلمت هذا البيت قالوا لي ان هذه الحديقة تابعـة لمنزلي ، وانا سعيد جدا بهذه الحديقة ، لا اتصور منزلا بدون حديقة ٠٠٠ وتنتهي الحالة الاولى والمنطق الادعائي يكاد يتساوى لدى كل من **رضوان وشلومو** ٠

وفي المشهد الثاني يواصل **سميح القاسم** عرض منطق الادعاء ، مدعوما ، هذه المرة ،بحجج تاريخية ، تكاد تتساوى في قوتها لدى الطرفين ٠

واثناء هذا المشهد ، يورد المؤلف ، على لسان رضوان ، حكايـــة الرابي مندل مع تلاميذه ، حين سألهم : اين يسكن الله ؟ فقالوا له : انه يسكن العـــالم كله ٠ فقال لهم مندل : لا يا ابنائي ، ان الله لا يسكن الا في المكان الذي يسمحون له فيه بالدخول ٠ ويعقب رضوان العربي على ذلك بقوله : ــ

ــ يستطيع الله ان يهبك هذه الحديقة اذا سمحت له انا بذلك وفي الحقيقة فانا لا اسمح لاحد بان يهدي الآخرين اشيائي التي تعني وجودي وحياتي ٠

ولعله من الواضح ان الله ، المقصود في الحوار بين الرأي مندل وتلاميذه هو ــ يهوه ــ كما يفهمه اليهود ٠ وأن **سميح القاسم** يشير ، بذلك ، الى التعاليم الصهيونية المبكرة ، التي بشر بها مندل الاديب اليهودي الروسي / الذي سخر في اعماله الادبية منسلبيات اليهود وتقاعسهم، فيمحاولةمنه لتوجيه نوعمنالانتقاد الذاتي لهم (٣) ٠ وحين يبلغ الصدام الادعائي مداه يتشابك الرجلان في معركـة دموية على المسرح ، حتى يتقدم رجل أسماه **سميح القاسم ــ** السيد عالم ــ للفصل بينهما ٠

.....

٣ ــ للمزيد من التفصيل انظر كتاب « الفكرة الصهيونيـــة ــ النصوص الاساسيـــة » ص ١٩٤ سلسلة كتب فلسطينية ٠

Digitized by Birzeit University Library

وفي الحالة الثالثة يحاول السيد عالم « الامم المتحدة » أن يفض النـــزاع بينهما ولكنه يزودهما ، بدلا مـــن ذلك ، بالسلاح ، ليقوما بالمزيد مـــن الاقتتال الدموي ·

السيد عالم : سكاكين ··· سكاكين من كل الاصناف : حادة ومكفولة ضد السوس والصدأ ، سكاكين قابلة للتجديد ، التسديد بالتقسيط ، أقساط ، أقســاط مريحة في كافة البنوك حتى في بنك الدم ··· الخ ·

وفي الحالة الرابعة نستدل، من الحوار ، أن حرب ١٩٤٨ قد انتهت، وان ـ الرجلين قد بدءا في محاولة للتعايش معا · كل منهما يروي ذكرياته : ـ

شلومو : كنت طفلا يوم جاء الغزاة ، فجأة رأيت أسرتي كلها ترتدي ثيابا مقلمة ـ الخ ـ ·· (ذكريات اليهودي عن المعاناة النازيـة) ·

رضوان : في تلك الليلة نمت مرتديا ثيابي ، قالت أمي : قد نرحل في كـــل لحظة يا بني ، هل سيقتلوننا يا أمي ؟··· الخ ·

شلومو : وها أنت اليوم كابوس حقيقي ·

رضوان : لماذا لا تعيش معي ؟

شلومو : لماذا لا تعيش عندي ؟ ثم يبدأ الرجلان بممارسة لعبـة الكـلام ـ هكذا ـ وكان **سميح القاسم** يرمز ، بذلك ، الى لعبة الديمقراطية الكلاميـة التـي تمارسها السلطات الاسرائيلية مع العرب هناك ·

شلومو : انا صاحب البيت ، وانني اكرهك ، اكره العرب جميعـــا ليتكـم تموتون ، انكـم قـذرون وجبنـاء وغداورن ، انتـم تافهون تحتقـرون نساءكم وتعاملونهن مثل البهـائم ··· يجب ان تعودوا الى الصحراء ، فذلك هو المكـان المناسب لكم ··· عودوا بحق الجحيم ، وموتوا الى الابد ـ هـذه الفقرات هـي جزء من الفقرات الصهيونية التربوية في اسرائيل ·

رضوان : ايها اليهود···يا ابناء عمومتنا الاعزاء، اذهبوا الى الجحيم، لانكم لا تطاقون ··· انكم عنصريون ورجعيون ومغرورون وسخفاء ، لقد حطمتم حياتنا ، وسلبتم ارضنـا ، استوطنتـم مدننـا واقمتم مستعمراتكم على خرائب قرانا ··· الخ ·

Digitized by Birzeit University Library

وتنتهي اللعبة الخطابية ، حين يدخل الشرطي ، ويبدأ في التحقيق ، وهنا تبدأ الحالة الخامسة ، حيث يكرس المشهد للسخرية من مظاهر التمييز التي تمارسها السلطة الاسرائيلية ضد العرب ، باسم اللاسامية ، وغيرها من الحجج وكنموذج لذلك هذه الفقرة من الحوار : ـ

الشرطي : (الى رضوان) ولماذا كنتما تصرخان أيها الاحمقان ؟

رضوان : أنا يا سيدي أحمق واحد ، وحين تقول : احمقان يجب أن تنظر الي والى زميلي الاحمق الاخر ...

الشرطي : هذا تدخل في شؤون الدولة .

رضوان : كل شيء ولا الدولة ، صرخنا لاننا كنا نلعب .

وحين يطلب رضوان من الشرطي ان يشرح له معنى اللاسامية التي يتهمه بها، **يقول الشرطي :** ـ

اللاسامية أن تكره ما أحب وأن تعتدي على حقوقي القومية ... الخ.

رضوان : أنا لا اتمنى لك الهلاك .

الشرطي : ذلك لا سامية .

رضوان : ولماذا ؟

الشرطي : يجب ان تتمنى لي حياة مديدة حتى ١٢٠ عاما على الاقل .

وحين يطلب الشرطي من شلومو ان يسمعه نشيدا يقول :

شلومو : أوه مامي ، أوه مامي أومامي مامي ، مامي بلو .

الشرطي : ما هذا القرف أيها الغبي ؟ أنا لا أعني مثل هذا الانشاد . أقصد أشعار **حاييم نحمان بياليك** (٤) .

---

٤ ـ **نحمان بياليك :** شاعر صهيوني من يهود روسيا ، تنبض قصائده بالحنين الصهيوني لما يسمى ارض الميعاد، ويعتبر شعره من المعالم الهامة في حركة احياء اللغة العبرية . وقصيدته العصفورة التي ترد مقاطعها في المسرحية من اشهر قصائده ويجري تدريسها في المنهاج الاسرائيلي في المدارس العربية .

Digitized by Birzeit University Library

وهنا يتدخل رضوان ، وينشد الشرطي :

رضوان : تحية اليك يا عصفورة جميلة عدت الى نافذتي من البلاد الحارة أتحملين لي سلام أخوتي الذين في صهيون من أخواني الاباعد الاداني ؟ .

ويحاول سميح القاسم هنا أن ينتقد مناهج الدراسة التي تطبق على الطلاب العرب وتجبرهم على معرفة التاريخ والتراث اليهودي في مقابل تجهيلهم بالتراث والتاريخ العربي . وينتهي المشهد ورضوان يسأل الشرطي عن كيفية رد الرابي مندل على تلاميذه .

وفي الحالة السادسة يعود الرجلان الى الاقتتال الكلامي ، بطريقة الاتهامات المتبادلة .

رضوان : الرعب بالنسبة لي هو أن تحتل حديقتي ، أن تحرمني منها الى الابد .

شلومو : ولكنها حديقتي أنا ، ولن أتنازل عنها . ويقتتلان من جديد ، حيث يتدخل **السيد عالم** قائلا للجمهور :

– كما ترون ما زال صاحبانا يقتتلان ، وهذا هو السبب الاساسي الذي دفع الكاتب الى طرح القضية أمامكم ، والمؤلف لا يزعم الموضوعية المحايدة أو الحياد الموضوعي ، فهو ليس حياديا أبدا ، أنه طرف في هذا الصراع ، وهو يعتقد أن في الحديقة متسعا لقفص الدجاج ، ولكوخ الوولف العزيز ... الخ .

أما أنتم فيجب عليكم ان تفكروا اذا كنتم تعتقدون انكم تستحقون آدميتكم .

هذا هو موجز لهذه الحوارية التي حاول المؤلف أن يفرغ من خلالها مجموعة من الانتقادات حول المعاناة العربية في اطار الكيان الصهيوني . وقد كنت أرجو لو ان **سميح القاسم** اكتفى بتحديد قالبه المسرحي لمجرد مناقشة هذه الانتقادات بدلا من الوقوع في هوة الطرح الشامل للقضية الفلسطينية ومسالة النزاع العربي – الاسرائيلي .

ولعل التوازن في ايراد الحجج المنطقية حول الحق العربي والحق الصهيوني في فلسطين هو المأخذ الرئيسي والهام على هذه الحوارية ، وهو ما اسميته بالتبسيط شبه الكوزموبوليتي لقضية الفلسطينية .

Digitized by Birzeit University Library

وفي اعتقادي ان مثل هذه الحوارية يجب ان تكتب ، أصلا ، باللغة العبرية ، وتوجه الى جمهور الاسرائيليين ، المهتمين بكيفية رد **الرابي مندل** على تلاميذه في المنافي اليهودية ، في القرن التاسع عشر ·

لقد كان سميح القاسم منحازا الى الجانب العربي – كما ورد على لسان السيد عالم في المسرحية ··· ولكن انحيازه جاء في مسألة واحدة ، وهي الانتقاد المرير والساخر للاوضاع التي يعاني منها العرب تحت ظل الحكم الصهيوني · ومثل هذا النمط من الانتقاد سبق وان ابرزه بعض الكتاب الاسرائيليين التقدميين ، من امثال **حانوح لفين ، وذان عومر، وعاموس كينان،** وخاصة مسرحيته الاخيرة التي منعت – اصدقاء يسوع يتحدثون عنه – وفيها نجد مثل هذا المشهد حول نسف المنازل العربية في المناطق المحتلة ·

الجندي أ – : نحن على وشك ان ننسف بيتكم ، قل لابيك وامك ان يأخذا كل اغراضهما ·

الجندي ب – : ولكننا لا نريد ان يصيبكم اي شيء ·

الجندي أ – : لدينا اوامر مشددة بعدم المساس بالابرياء ·

الجندي ب – : أنت بريء ·

الجندي أ – : أبوك وأمك ، أيضا ، بريئان ·

الجندي ب – : لهذا فنحن نمس البيت وحده ·

الجندي أ – : لاننا اعتدنا المساس بالمذنبين فقط ···

الجندي ب – : والان خذ قطعة حلوى واذهب من هنا ·

لقد قدم **سميح القاسم** ، في حواريته ، نمطا من النقد الساخر الشبيه بهذا النمط **لعاموس كينان** ، ولكنه اختار لتقديم ذلك اطارا اكثر اتساعا وتشعبا ، فوجد نفسه مضطرا للخوض في متاهة الجدل التاريخي حول القضية الفلسطينية · وحتى بالنسبة لقضايا العرب مع السلطة الاسرائيلية لم يستطع **سميح القاسم** ان يركز على مشكلة بعينها لتكون موضوعا لحدث مسرحي، فراح يتحدث عن مشاكل التمييز والديمقراطية الشكلية ومناهج التدريس واخطاء الاعلام العربي ، وغير ذلك ·

Digitized by Birzeit University Library

من النقيـــض الـــى النقيـــض :

أما في مسرحية الابن ، التي كتبها **سميح القاسم** ، بعد حوالي عام مـــن حرب تشرين ١٩٧٣ ، فانه يكاد ينتقل فيها من النقيض الى النقيض ، اي مـــن الاحساس الكوزموبولتي المترهل وشبه الماسوشي الى ما يمكن ان يطلق عليـه بقليل من المبالغة الارتداد الشوفيني الصحي ، او بتعبير ادق الاحساس بالانتماء القومي ذي الطابع التقدمي ·

فالفكرة الاساسية ، التي تدور حولها الحالات الاربع لهـذه المسرحيـة ، هي اليقين المطلق بحتمية العودة المظفرة للانسان الفلسطيني الى ارضه ووطنه·

لقد تجاوز **سميح القاسم** هنـا تلـك الانتقـادات الهامشيـة للممارسات القمعية للمستوطنين الصهاينة ، وانتقل الى التفكير المؤمن بحتمية تحرير الارض واسترداد عروبتها · وهي حتمية وان بدت بالنسبة لنا بديهية لا تحتمل النقاش الا انها ، وبالنظر الى مسرحية «كيف رد الرابي مندل على تلاميذه» ، تبدو نقلة واسعة في تطور فكر **سميح القاسم** القومي ، ففي الوقت الذي اقتصرت فيـه المسرحيات الاخرى ــ قراقاش ، الرابي مندل ، على تقديم انماط من النقد المرير واللاذع للممارسات الصهيونية ضد الانسان الفلسطينـي في الارض المحتلـة ، تجاوزت هذه المسرحية ــ الابن ــ كل هذه الحدود لتعالج المشكلة الفلسطينية ، والسياسي الرهن ، وفي عتقادي أن تطور هذه المسألة مرهون ، بشكل أو بآخر ، برمتها ، وبشكل جـــذري ·

في مسرحيـة الرابـي مندل ، مثلا ، يكتفي **سميح القاسم** بالتحريـم حول المشكلة، وهو وان قدم تنظيرات تاريخية مبتسرةللقضية الفلسطينية، الا انه ظل، مع ذلك ، غارقا ــ على طريقة الكتاب العبريين التقدميين ــ في تحويمات هامشية لقضايا العسف والاستلاب التي يتعرض لها الانسان العربي في فلسطين المحتلة ·

كما يبدو ذلك واضحا في مسرحية قراقاش (٥) الذي يمثل التراث العربي رمزا تاريخيا للعدالـــة العرجاء والمفرطـــة في الغباء والظلم ، اضافة الى ان المؤسسة العسكرية الصهيونية تأخذ ، حتى من خلال الرمز ــ قراقاش ــ ، صورة السلطان الذي يملك حق اصدار الاوامر بالأعدام ، دون أن يطرح **سميح القـاسم** مسألة شرعية او لا شرعية هذا القراقاش ·

---

٥ ــ كتب سميح القاسم مسرحيته قراقاش ، في ٢١ / ١١ / ١٩٦٩ ، وصدرت عن دار العودة ، في بيروت ١٩٧٠ ·

Digitized by Birzeit University Library

وحين نقول أن مسرحية **سميح القاسم** هذه تعد نقلة واسعة في تطور فهمه للقضية الفلسطينية ، واقترابه نحو المزيد من التخلي عن الفهم الكوزموبوليتي لهذه القضية ، فاننا لا نعدو الحقيقة في شيء، وسنحاول هنا ان نثبت ذلك، من خلال نص المسرحية والحيثيات الاخرى اللازمة لهذا النص :

اولاً : كانت المؤسسة العسكرية الصهيونية في النصين المسرحيين السابقين، «قراقاش» و «الرابي مندل» ، تأخذ ، سواء في وعي او لا وعي سميح القاسم ، صفة السلطة صاحبة الامر والنهي ، واذا كانت هذه السلطة في قراقاش قد اخذت صورة الطاغية المستبد الابله والمغرور في مقابل الجماهير المسحوقة التي لا تملك حولا ولا طولا ، الا ان تقدم رؤوسها لحبال المشانق ، فقد تطورت هذه السلطة في مسرحية ـ الرابي مندل ـ لتأخذ صورة الخصم الذي يمكن مقارعته الحجة بالحجة، سواء في مسألة الحق التاريخي، او في مسألة حيثيات الارتباط المكاني ـ المنزلان المتلاصقان على الحديقة الواحدة أو مسألة الصراع العسكري والسياسي الراهن، وفي اعتقاديان تطور هذه المسألة مرهون، بشكل او بآخر، بتطورات الصراع العربي ـ الاسرائيلي منذ بداية ، فقد كان الجو العام عربيا واسرائيليا في اعقاب نكسة حزيران ، أشبه ما يكون بكابوس أخذت فيه السلطة العسكرية الاسرائيلية ، حقيقة أو وهما ، صورة قراقاش ، الا أن هذه الصورة ، ورغم استمرارية الاحتلال ، قد بدأت تتبدل ، تدريجيا ، في وعي **سميح القاسم** حتى وصلت ، في مرحلة ما قبل حرب تشرين ، الى عدو يكاد يكون ندا ، ويمكن مصارعته ، وهذا هو ما عبر عنه **سميح القاسم** في مسرحية ـ الرابي مندل ـ التي كتبت في مطلع عام ١٩٧٣ .

وبعد حرب تشرين تبدلت صورة السلطة العسكرية الاسرائيلية ، من قراقاش الذي يسأل رواد محكمته عن عدد المحظوظين بحكم الاعدام في اليوم الواحد ، الى نوع من الوحوش المسعوره التي تهاجم أهل القرية الآمنين ، أي بعبارة أخرى **الى نوع من الغزاة العابرين .**

ثانيا ، **وحدة الارض الفلسطينية** ، خلافا لاية منظورات سياسية اخرى ، فاننا نرى **سميح القاسم يقدم** مسرحيته الجديدة على النحو التالي ـ الى بيرزيت التي هي الرامة عزاء واملا والى كل قرانا التي بيرزيت ، هكذا يحسم **سميح القاسم** هذه المسالة ، بحيث تتساوى لديه الاوضاع الاحتلالية فبيرزيت المحتلة منذ عام ١٩٦٧ هي نفسها الرامة ـ قرية **سميح القاسم** ـ المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . وبهذا يتساوى في منظار **سميح القاسم** الاحتلالان : احتلال الارض الفلسطينية عام ١٩٤٨ ،واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان عام ١٩٦٧ ، ويتساوى ـ بنفس

Digitized by Birzeit University Library

المقدار ـ فهم **سميح القاسم** لمنطق الغزو الصهيوني لكل الارض الفلسطينية ، فاذا كان هناك اجماع على عدم شرعية الاحتلال لما بعد عام ١٩٦٧ ، فان سميح القاسم يرى ان عدم الشرعية نفسها تنطبق على الاحتلال لما بعد ١٩٤٨ ، وذلك هو بالضبط ، ما عنيته بقولي ان هذه المسرحية تمثل نقلة واسعة المدى في مفاهيم **سميح القاسم** لجذور المسألة الفلسطينية .

ثالثا : **وحدة قضية الفلسطينية** ، عبر سلسلة حلقاتها المتشابهة ، ففي هذه المسرحية تصبح مسألة الغزو الصهيوني للقرية عام ١٩٤٨ مجرد حلقة أولى تعقبها الحلقة الثانية وهي غزو عام ١٩٦٧ ثم تعقبها المرحلة الثالثة ، وهي حرب تشرين من جانب ، والعمليات الفدائية الانتحارية من جانب اخر . وعبر هذه الحلقات الثلاث يظل المكان المسرحي واحدا وهو ساحة القرية ، ويظل الجبل الفلسطيني الذي عانى الغزو الاول واحترق بنيرانه هو الجبل الذي انجب ـ الابن ـ العائد بسلاحه ليغتال الوحوش ، ويصبح الابن ليس مجرد فرد أنجبه عجوزان في القرية ، ولكنه رمز تحوطه القرية ، وابن لكل زوجين فيها .

على الجانب الاخر ، تظل الوحوش التي قتلت واحرقت في المرة الاولى هي الوحوش نفسها التي قتلت وأحرقت في المرة الثانية ، والتي ظلت ، خلال الفترة من حزيران وحتى تشرين ، تثير الرعب والفزع واليأس الى ان كانت عودة « الابن » .

واذا كان الصراع الرمزي في مسرحية ـ الرابي مندل ـ قد أخذ طابع النزاع فوق الارض الواحدة ، التي يدعي الطرفان الحق التاريخي فيها ـ رضوان العربي يقول ان الارض له ولاجداده ، وشلومو اليهودي يزعم مثل ذلك ـ فان الصراع هنا يأخذ طابعا مختلفا، فالقرية ـ الارض الفلسطينية ـ في مسرحية الابن هي ملك لاهلها ، والوحوش الغازية تأتي لتنهشها بين الحين والحين ، ومع ذلك يظل اهلها « الفلسطينيون » فيها ، رغم صيحات الذعر ودعوات النزوح ، هنا يختلف المنطق اذن ، ولم تعد القضية مجرد مماحكات قضائية ودعاوية ، وانما هي حق يقابله غزو .

رابعا : يعتمد **سميح القاسم** في مسرحية ـ الأبن ـ على الفولكلور الفلسطيني ، كأشارات لتبيان معالم القرية ، وطبيعة اهلها ، وتاريخهم ، ويأخذ من هذا الفلكلور انشودة الاطفال التي يرددونها اثناء انهمار المطر ـ حالة الطبيعة في اسمى مراحل العطاء ـ ويطور هذه الانشودة من مرحلتها العينية ـ الاحباط رغم ادعاء القوة ـ الى مرحلتها المتفائلة المعطاءة ، وذلك على النحو التالي : ـ

Digitized by Birzeit University Library

شتي شتي وزيدي
بيتنا حديدي
عمي عبد الله
كسر الجره
ضربو سيدو
بيتو بره

ثم تصبح الأهزوجه على النحو التالي : ـ

شتي وزيدي
بيتنا حديدي
عمي عبد الله
كسر الجره
اجت بنتو زهور
لملمت لكسور
واجا ابنو وليد
جبرها من جديد
الله يسلم يدو
ورضى عليه سيدو

وهكذا تصبح هذه الاهزوجه رمزا للقرية الفلسطينية التي استعادت رونقها بعد ازالة الحرائق والسناج وترميم منازلها ـ الحالة الرابعة في المسرحية ·

وليس ذلك فحسب ، بل أن **سميح القاسم** يعتمد على أغان وتراتيل شعبية أخرى ، ومن ذلك هذه الاغنية النادبة ، التي فتح الستار عن العجوز وهي ترتلها ، وقد اوردها سميح بقصد تبيان هوية العجوز ، بالاضافة الى تصويرها لسياق المرحلة الفاجعة التي صاحبت احداث عام ١٩٤٨ ، وقد صاغ الشاعر كلمات هذه الاغنية على النحو التالي :

يا عين سيلي دما احبابنا راحوا
ما ودعونا وفي ليل الردى راحوا
متى تعود بهم ريح الرياح متى
وتفرح الدار يا عيني ونرتاح

Digitized by Birzeit University Library

يا قامة الحور يا ابن العم يا سندي
ما حق تتركني وحدي بلا سند
لو انصف الموت أردى قاتليك ولـم
يخطف جناحك عن بيتي وعن ولدي

هذا الذي تندبه المجوز ، في بداية المسرحية، هو نفسه الابن الذي يعود، في النهاية ، وحوله ثلاثون فارسا في يد كل واحد منهم تفاحة حمراء ، وعلى كتفه طائر احمر ، ورؤوسهم مكللة بالحبق والنعناع ، وبذلك يتحول الانسان الفلسطيني في هذه المسرحية الى شيء اشبه ـ بالفينيق ـ الذي يتجدد كما تقول الاسطورة .

Digitized by Birzeit University Library

عادل زعيتر

الأديب، المناضل، والانسان

يوسف حداد

اذا كانت قيمة الانسان لا تقاس بالزمن الذي يعيشه ، بل بالعطاء السمح الذي يقدمه ، وبالبذل المجرد عن المطامع الشخصية ، والمنافع المادية ، فان الاديب الراحل عادل زعيتر هو النموذج الامثل في عطائه الفكري ، ونضاله الوطني والانساني ، بعيدا عن الاضواء ، بعيدا عن طلب المجد والشهرة والاثراء . اما حقل نتاجه الوافر الذي به تفرد ، فلقد قام على تعريب صفوة الفكر الاوروبي الحديث في الفلسفة ، والحضارة ، والاجتماع ، والتاريخ ، منجزا بذلك ما لم تستطعه مؤسسات او حكومات ، اضافة الى قيامه بتدريس القانون ، وتعاطي المحاماة .

لماذا التعريب وليس التاليف ؟

لم يكن اتجاهه للترجمة عفويا ، ولم يتخذها عملا تجاريا — وهو القادر على التاليف — انما كان ناتجا عن قناعة « بأن العربية تحتاج الى الترجمة اكثر من حاجتها الى التاليف ، وبأن الغرب سبقنا بأشواط مترامية متباعدة ، ولن نلحق به ما لم نستوح منه اصول المعارف ، ومناهج العلم ، واصالة الفكر ! » . لقد كان يؤلمه أن يرى نتاجنا الفكري والادبي متدنيا عن نتاج الغرب ، وكان يرى أن استمرارية الترجمة ضرورية ، الى أن يصل علماؤنا الى درجة علماء الغرب في الابتكار والمستوى التاليفي . ولا خير علينا في ذلك فالغرب تتلمذ على يد العرب سحابة خمسة قرون او ستة كما ذكر **غوستاف لوبون** ، في كتابه حضارة العرب . هذه القناعات تولدت عنده بعد التجربة السياسية النضالية المرة ، التي واجهها في مشاركته بثورة الشريف **حسين بن علي** ، وما تمخضت عنه ، وآلت اليه ، وبعد

Digitized by Birzeit University Library

عمله في **المؤتمر السوري** ، بدمشق ، عام ١٩١٩ . وهو المؤتمر الذي أعلن استقلال سورية ، بحدودها الطبيعية، واسهامه في وضع دستور المملكة السورية الفيصلية ، ثم خيبة أمله بدخول الفرنسيين الى دمشق ، عام ١٩٢٠ ، وانهيار آماله الواسعة مع انهيار استقلال بلاد الشام . من هنا قرر التوجه الى باريس لارتشاف العلم السلاح الذي به سيناضل بغية تحقيق التقدم ، ونيل السيادة والاستقلال لوطنه فلسطين ، الذي أصبح رازحا تحت الكابوس الامبريالي البريطاني ، يعاني من وطأته. ومن الخطر الصهيوني ، الذي بدأ يستفحل ، يوما بعد يوم .

عاين أوضاع أمته السياسية والفكرية والاجتماعية قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، وأدرك ذهاب الآمال بالحرية والاستقلال ، ونكث الغرب لوعوده وعهوده، وتربعه على صدر أمته ، وتلمس وهو في باريس أوضاع أوروبا ، وما هي عليه من تقدم وحضارة ، وهاله ان يكون مشرقه العربي في حالة من التخلف ، والتمزق ، والرزوح تحت نير الامبريالية ، فأيقن ان الخروج من هذه الحالة المزرية والمؤلمة لا يتم الا بالوعي ، الذي لا يتأتى الا بالمعرفة التي متى انتشرت ، واختمرت في شرقنا بدأ التحول من التخلف الى التقدم ، ومن التمزق الى التوحد ، ومن الاتباع الى الخلق والابداع ، ومجاراة الامم الحية ومنافستها حضاريا . أما السبيل الى المعرفة ، فهو في الاطلاع على كنوز الغرب الفكرية ، للافادة منها في عملية النهوض ، والقضاء على التفسخ والتخلف ، وفي اعتقاده انه بذلك تتم عملية الاتباعث ، وتبدأ المسيرة نحو التقدم ، والسيادة ، والاستقلال .

من هذا المنطلق كرس حياته لتأدية دور رسولي في عملية الاتباعث ، ناقلا من فكر الغرب ، بجهد منقطع النظير ، كل ما يجد مشرقه العربي بحاجة اليه في معركة التقدم والنهوض ، مؤمنا ان العمل السياسي غير كاف ، ولا بوصل بلاده الى الغاية المتوخاة حضاريا واستقلاليا ، بدون الارتكاز على الثقافة الشاملة ، والمعرفة الكاملة. وهكذا انصرف عن العمل السياسي التقليدي الى الترجمة التي وجد فيها دوره الطليعي في تأدية رسالته القومية . فماذا أختار من كنوز الغرب الفكرية ، وما هي العوامل الكامنة وراء هذا الاختيار ؟. ان مجرد تصفح الستة والثلاثين كتابا التي ترجمها ، والتطلع الى موضوعاتها يوضح لنا اغراضه ، واهدافه من الاختيار ، والتي اهمها :

١ — **الافادة الثقافية والحضارية لبني قومه** ، وليس العمل التجاري ، اذ ان الكتب التي ترجمها كلها كتب فكريه لا تلقى رواجا واسعا لانها محصورة بفئة المثقفين النخبة ، وهي تستلزم جهدا كبيرا ، وتدقيقا عظيما ، وهي — بذلك — تسبب الخسارة المادية المستمرة .

٢ — التركيز على الكتب التي تتناول **ابحاثا ومواضيع لا يوجد ما يماثلها في المكتبة العربية .**

Digitized by Birzeit University Library

٣ ـ **مراعاة كتب المفكرين الذين انصفوا العرب** في دراسة تراثهم ، وحضارتهم ، أمثال **غوستاف لوبون** في كتابه « حضارة العرب » ، **واميل دورمنغم** في كتابه « حياة محمد » ، **وسيديو** في كتابه « تاريخ العرب العام »، **وكرادوفو** في كتبه : الغزالي ، ابن سينا ، ومفكري الاسلام . كما اهتم بالجانب السياسي الفكري في ترجمته لكتاب **غوستاف لوبون** « اليهود في تاريخ الحضارات » ، ليظهر حقيقة شعب « الله المختار » على لسان كاتب غربي لم يؤخذ باحابيل الدعاية الصهيونية الكاذبة ، وهو يرى « ان قدماء اليهود لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلى ، التي لا تكاد تميز من طور الوحشية ، وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا اثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا انفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل فكان امرهم « الى الهزيمة » فلم يقتبسوا من تلك الامم سوى اخس ما في حضارتهم ، اي لم يقتبسوا غير عيوبها ، وعاداتها الضارية ، ودعارتها ، وخرافتها » (٢) . وكأني به يريد ، من خلال هذا الكتاب ، ان يرد على الغرب ، والآخذين بمقولته ، بأن اسرائيل هي امتداد حضاري له في وجه البربرية العربية ، بلسان غربي مفكر اوضح حقيقة اليهود في التاريخ حضاريا ، وابطل الادعاءات الكاذبة حول حقهم في أرض الميعاد . **فغوستاف لوبون** في كتابه ، سالف الذكر ، يذكر « ان تأثير اليهود في تاريخ الحضارة صفر ، وان اليهود لم يستحقوا بأي وجه ان يعدوا من الامم المتمدنة ، ان فلسطين او ارض الميعاد لم تكن غير بيئة مخلفة لليهود ، فالبادية كانت وطنهم الحقيقي » (٣) . ولقد كان اهتمامه بترجمة كتاب « النيل » لاميل لوديغ لتبيان نضال الشعب المصري بقيادة **سعد زغلول** ، ابن الريف المصري ، والذي رأى فيه بوادر اليقظة القومية الساعية للتحرر الاجتماعي والسياسي، وتوخى منه ان يكون بداية الخلاص من ربقة التخلف والاستعمار للقضاء عليهما في مصر ، ومن ثم في كل دنيا العرب ، وفي ذلك القضاء على السرطان الصهيوني الذي بدأ ينهش الجسد الفلسطيني .

لقد رأى ان تخلف الشرق العربي يعود الى جهل المرأة ، وعدم اعطائها دورا بارزا في الحياة الاجتماعية ، والسياسية ، والعلمية ، وادرك ، بالتالي ، ضرورة تغيير المفهوم السائد لموقف المجتمع العربي من المرأة ، فعمد الى ترجمة كتاب **روسو** « **اصل التفاوت بين الناس** » ، الذي يقول فيه « **المرأة هي التي تصنع العالم** ، **وهي** المسيطرة عليه ، ولا شيء يصنع فيه الا من اجلها ، وفي سبيلها ، والواقع انها اكبر مربية للرجل ، فهي تعلمه الفضائل الفاتنة ، وهي تعلمه الادب والاتزان ، وذلك الزهو الذي يحثه الظهور به نثيلا » (٤) . انه يريد اظهار اهمية المرأة في معترك الحياة ليصار الى تغيير جذري في موقف المجتمع منها والنظرة اليها كي يحدث من خلال هذا التغيير اكتمال مسيرة النهوض والتقدم والفلاح . ووجد ان الجانب الاخلاقي عامل اساسي في بناء الامم ودعامة ضرورية لشد بنيانها ،وهذا ما حفزه لترجمة كتاب « روح التربية » **لغوستاف لوبون** الذي يشدد فيه مؤلفه على الجانب الاخلاقي واثره في حياة الامم وعن كيفية تعهدها ورعايتها ودور الاسرة ، والمدرسة، والمجتمع في تكوينها .

Digitized by Birzeit University Library

من هذا كله تتراءى لنا الترجمة الهادفة عند **عادل زعيتر**، والدور الرسولي البناء، الذي اختاره هدفا اسمى له، وسعى الى تحقيقه بعزيمة نادرة، وايمان ثابت. وغايته الوحيدة العمل على الخروج من دياجير التخلف والظلمات، الى مرابع التقدم، والتحرر، والاستقلال، بطريقة مختلفة عما هو مألوف ومتبع، انها طريقة الاخذ بالمعرفة، والتسلح بالعلم، سبيلا الى تحقيق الاهداف الكبرى.

منهجية الاديب في التعريب

كان الاتقان رائده في عمله، ولقد ساعده على ذلك شمول ثقافته العربية والغربية، وتمكنه من اللغتين، المنقول اليها والمنقول منها، وهو المجيد للفرنسية، والانكليزية، والتركية، اضافة للعربية، ثم اهتمامه بالدقة المتناهية، ومحاكاة الاصل الاجنبي، في متانة الاسلوب، وروعة التعبير، واعتماد حرفية الترجمة، والابتعاد عن التصرف، الا عند الضرورة، مع مراعاة الامانة. ولغته في الترجمة تجعل القارىء يؤمن بأنه انما يقرأ عبارة عربية غير مترجمة، وغالبا ما كان يثبت في الحاشية اللفظة الاجنبية، التي اتى بتعريب مختار لها. كان يحرص على ايراد النصوص الاصلية للمقتبسات ويبذل جهودا عظيمة لتدقيقها، يكاتب الثقات والمختصين في مواضيعهم. فعلى سبيل المثال اتصل بالعلامة الهندي **عبد الرحمن صديقي**، للاتفاق على الصورة الصحيحة لكتابة الاسماء الهندية، وكاتب **الاب فنداني الدومنيكاني**، للتحقيق من صحة بعض الاسماء. لم يأخذ في عمله السير على ما جرى عليه العرف منذ مئات السنين، بل كان يدقق، ويخالف العرف المألوف، ان وجده خطأ. من ذلك، مثلا، كتابة، بوذا، بومباي، دلهي، همالايا، بهذا الشكل مع انها تكتب بالحروف العربية في الهند بدهه، بمبي، دهلي، هملية.. وهو يرى ان الخطأ في ان ننقل عن اللغات الاوربية اسماء اعلام هندية، او سواها، دون الرجوع الى اللغة الاصلية التي كتبت فيها تلك الاسماء، والتحقق من شكل كتابتها، فيقول، مثلا، ان ابن بطوطه كتب دهلي ولم يكتب دلهي، ونحن اليوم نسير وفق ما تكتب به هذه المفردة في المغرب، لا كما كتبها ابن بطوطه، وكما وردت في الكتب الهندية باللغة الاردية (٥).

لقد اثبت ان التوفيق بين الترجمة الحرفية وصيانة المعنى امر ممكن، وكذلك نقل مختلف العلوم والاداب الى اللغة العربية، بحيث يستطيع التعبير بها عن كل معنى، ادبيا كان او فلسفيا او علميا. وهذا يعود لمقدرته، وجلده، وثقافته وتمكنه من اللغات، وسهره المضني ليصل بعمله الى حدود الكمال.

عادل والنضال الوطني

لئن كان اديبنا الكبير قد اذاب عمره في نقل ذخائر الغرب الى العربية، رغبة منه في عملية التنوير والبعث والتعبئة، بغية التقدم ودحر التخلف، الا ان ذلك كان جانبا من حياته الغنية بالنضال، في ميادينه المختلفة، هرب من الجيش العثماني،

Digitized by Birzeit University Library

الذي كان ضابطا فيه عام ١٩١٦ ، عندما اضطهد الاتراك العرب ، وانضم الى الثورة العربية ، غير عابىء بما يجر ذلك على والده **الشيخ عمر زعيتر** ، رئيس بلدية نابلس انذاك ، من عواقب وخيمة . وبعيد انتهاء الحرب العالمية الاولى ساهم في عضوية **المؤتمر السوري** بدمشق ، نائبا عن نابلس . وفي عمله بالمحاماة ، ابان الانتداب البريطاني على فلسطين ، تطوع للدفاع عن المناضلين الثوار سنة ١٩٢٩ ، و ١٩٣٠ ، و ١٩٣٣ ، وغيرها . ومثل نابلس في جميع المؤتمرات الفلسطينية، وناب عنها في لجنتها التنفيذية ، وكانت له في الصحف جولات سياسية ، عالج فيها القضايا الوطنية ، بقلم المفكر الناضج ، كما عرف بقوة الحجة في ردوده على ما كتبه **السير ارنور واكهوب** ، المندوب السامي البريطاني في فلسطين ، في كتاب « حاضر الاسلام » ، وعلى **المستر ويلكي** ، في كتابه عالم واحد (٦) . وحين ترجم عادل كتاب « اليهود في تاريخ الحضارات » **لفوستاف لوبون** ، عقب النكبة الفلسطينية ، عد عمله واجبا وطنيا لنسف مزاعم اليهود في ادعاءاتهم بحقهم في ارض الميعاد وتألم جدا حين لم تسمح الرقابة المصرية بنشره في عهد النقراشي ، وحكومته في حالة حرب مع اسرائيل ، بينما الكتاب منشور في فرنسا . فرأى في ذلك سر الهزيمة ، واستمر يناضل الى ان تغير الوضع في مصر ، وتمكن من نشره .

كان تواقا الى الوحدة العربية ، وداعيا من دعاتها ، ولقد كتب في جريدة « **فلسطين** » ، عام ١٩٤٣ ، معلقا على تصريح وزير خارجية بريطانيا ، في مجلس العموم ، في ٢٤ شباط ١٩٤٣ ، بشان تحبيذها لوحدة عربية اقتصادية ، او ثقافية، او سياسية ، بقوله « ان ميثاق جامعة الدول العربية هو مقدمة لميثاق الوحدة في المستقبل ، وان شئت فقل الخطوة المباركة في سبيل جهاد العرب لتحقيق وحدتهم . وبالشعوب لا بالحكومات تتم الوحدات .. ولا يخفى على العربي من ان الاجنبي هو الذي حفزه الى تلك الخطوة المباركة ، ما دام العربي مستعدا لتحقيق هدفه الاسمى » (٧) . وقد داب على المطالبة بتحقيق الوحدة لانها ، باعتقاده ، تحقق للعرب القوة ، والسيادة ، والاستقلال . وحين نزلت بفلسطين الكارثة عام ١٩٤٨، شرع باعداد مذكرات لقادة الانظمة يستحثهم فيها على العمل الجدي ، وتنسيق الجهود ، خشية وقوع كارثة ثانية ، وقد قدم اول مذكرة في ١٩٤٨/١١/٥ ، عرض فيها عروبة فلسطين ، ودور بريطانيا في تهويدها ، وانحياز بريطانيا الكلي ، ابان الانتداب ، الى جانب الصهاينة ، ومناصرتهم على الفلسطينيين ، ويشير فيها ، بألم ومرارة ، الى وعود العرب الكلامية ، ودخول جيوشهم عام ١٩٤٨ ، لاحتلال ما تبقى من فلسطين ، ويدعو فيها الى ازالة التناقضات بين الدول العربية ، امام التناقض الرئيسي بين العرب من جانب والامبريالية والصهاينة من جانب آخر ، كما يطالب بضرب مصالح الامبريالية الاقتصادية ، لانها خالقة اسرائيل وحاميتها ، ويحذر من مغبة العاقبة بشر مستطير اذا بقيت الانظمة العربية على ما هي عليه من تخاذل وتفسخ ، بحيث يتحول الشعب الفلسطيني كله الى لاجئين وتغتصب كل ارضه ، وكأني به قد تنبأ ، قياسا بما شاهد ، بهزيمة لاحقة ، فكانت تلك التي تمخضت عنها حرب ١٩٦٧ (٨) .

Digitized by Birzeit University Library

ولا يكتفي في مذكرته بتشخيص الداء والتحذير من الخطر الداهم ، بل يعمد الى وضع الحلول المناسبة ، فيرى ان يسود الانسجام بين الدول ، فتوحد الجيوش ، وتعبأ الطاقات ، ويوجه العرب ضربة خاطفة قوية ، تهد الكيان الصهيوني، وتزلزله، قبل تحرك الامبريالية لمساندته . وينهي مذكرته بالتركيز على ان العرب امام امرين ، اما الانحلال والزوال ، واما الصمود ، والتحدي ، والانتصار . كما وجه مذكرة ثانية لقادة الانظمة ، في ٢٥ ايار ١٩٤٩ ، عبر الصحافة الفلسطينية ، اوضح فيها ان كل ما كان يملكه اليهود في فلسطين ، حتى دخول الجيوش العربية ، لا يزيد عن الثلاثة ملايين دونم من اصل ٢٧ مليون ، وان معظم ما حصلوا عليه في العهدين العثماني والبريطاني انما كان من اناس من اهل سورية ولبنان على الاخص ، ويندد ، في المذكرة ، **بمؤتمر رودوس** ، وبالاتفاقات التي تمخضت عنه ٥٠ ويظهر الخطورة المترتبة عليها ، ويبدي تشاؤمه من حاضر العالم العربي ، ومن المخاطر التي تتهدده ، والقادة غير العابئين بهذه المخاطر (٩) . لكن التحذيرات التي اطلقها كانت في واد واهل الانظمة في واد آخر ، وهكذا توالت المحن وتتالت النواجع والخطوب ولا تزال . ترى لو بقي حيا وشاهد اكبر زعيم عربي يذهب الى القدس جاثيا حينا ومستجديا حينا آخر من الولايات المتحدة ــ قائدة الامبريالية المجلية في قهر الشعوب وامتصاص دمها ــ حقنا القومي في ارضنا المغتصبة وعارضا نفسه عصا غليظة لحماية مصالحها ، وخدمة اطماعها ، وتوسعها ، وتسلطها على شعوب العالم الثالث ... ترى لو بقي حيا ماذا عساه يقول ؟.

عـــادل الانســـان

عرف **عادل** بالنزوع الى الكمال متخذا المثالية هدفا اعلى يسعى لتحقيقه . وقد جهد طول حياته لا يخرج قيد انملة عما اختطه لنفسه ، من السير على دروب الصدق والعفة ، والنزاهة ، والاستقامة . كان عازفا عن بهارج الدنيا ، بعيدا عن محبة الظهور ، يمج عبارات المديح الجوفاء ، متواضعا . نأى عن كل المناصب ، في حين كان المتزلفون يسعون اليها زحفا . عرف بتدينه العميق ، بعيدا عن التعصب ، وهذا ما جعله يعزف عن ترجمة كتاب **نيتشه** « هوذا الانسان » ، لانه وجد فيه تهجما على الانبياء ، وحملة شديدة على المبادىء الانسانية ، كذلك توقف عن ترجمة كتاب « من الاعترافات » **لجان جاك روسو** ، لانه لم يستسغ نقل بعض هذه الاعترافات المكشوفة (١٠) . ولقد اتصفت سيرته ، في عمله بالمحاماة ، بالصدق والنزاهة والامانة ، اذ كان يخبر اصحاب الدعاوى عن نتيجة الحكم المرتقب ، ولا يترافع في اية قضية غير محقة وخاسرة .

اليس غريبا ان يضطر الى بيع ارضه لتسديد نفقات طبع نفائسه ، وهي التي اخذت منه من الجهد ما يفوق الوصف ؟ في حين ان سواه قد اغتنى بجهد اقل ونتاج هزيل . ولكن سيان بين من يحترف العمل الادبي للكسب والمنفعة والارتزاق ، وبين من يذيب العمر ويتكبد الخسارة ويبيع الارض في سبيل تادية رسالة قومية ندب نفسه لها ، بطيبة خاطر وقناعة تامة .

Digitized by Birzeit University Library

ما أحوجنا اليوم وكل يوم الى امثال **عادل زعيتر** ، في التزامه القومي ، ونضاله السياسي ، وخلقه الانساني الرفيع ، فبامثاله تفخر الامم ، وتنهض ، وتفاخر .

حياته وعمله في سطور

ولد **عادل** ابن **الشيخ عمر زعيتر** في نابلس ـ فلسطين ، سنة ١٨٩٧ ، وفيها اتم دراسته الابتدائية ، ثم انتقل الى المدرسة الاعدادية في بيروت ، وحصل على الاداب **في الكلية السلطانية** ، بالاستانة · وكان الاول في صفوفه · اصبح ضابطا في الاحتياط بالجيش التركي عام ١٩١٦ · انضم الى الجيش العربي بقيادة **فيصل بن الحسين** عام ١٩١٧ ، وحكم عليه بالاعدام غيابيا · اصبح عضوا في **المؤتمر السوري** ، **بدمشق** ، عام ١٩١٩ · وغادرها بعد احتلال الفرنسيين لها عام ١٩٢٠ ، متوجها الى **جامعة باريس** لدراسة الحقوق حيث تخرج منها عام ١٩٢٥ · عمل محاميا ومدرسا للقانون في **معهد الحقوق** بالقدس · دافع متطوعا مرارا عن المتهمين السياسيين في عدة مناسبات · مثل **نابلس** في جميع المؤتمرات الفلسطينية وناب عنها في لجنتها التنفيذية · عالج مختلف القضايا الوطنية في الصحف · ترك التدريس عام ١٩٣٦ منقطعا الى العلم والادب · انتخب عضوا في **المجمع العلمي العراقي** ، عام ١٩٥٣ ، وعضوا مراسلا **للمجمع العلمي العربي** ، عام ١٩٥٥ · اصيب بنوبة قلبية توفي على اثرها في ٢١ تشرين الثاني ١٩٥٧ (١١) ·

آثاره

١ ـ **روح الشرائع** ، جزءان ، لمونتسكيو .
٢ ـ **العقد الاجتماعي** ، لجان جاك روسو .
٣ ـ **اميل والتربية** ، لجان جاك روسو .
٤ ـ **اصل التفاوت بين الناس** ، لجان جاك روسو .
٥ ـ **كنديد أو التفاؤل** ، لفولتير .
٦ ـ **الرسائل الفلسفية** ، لفولتير .
٧ ـ **حديقة ابيقور** ، لاناتول فرانس .
٨ ـ **الالهة عطاش** ، لاناتول فرانس .
٩ ـ **تلماك** ، لفنلون .
١٠ ـ **ابن رشد والرشدية** ، لارنست رينان .
١١ ـ **حضارة العرب** ، لغوستاف لوبون .
١٢ ـ **حضارة الهند** ، لغوستاف لوبون .
١٣ ـ **روح الجماعات** ، لغوستاف لوبون .
١٤ ـ **السنن النفسية لتطور الامم** ، لغوستاف لوبون .
١٥ ـ **فلسفة التاريخ** ، لغوستاف لوبون .
١٦ ـ **روح التربية** ، لغوستاف لوبون .

Digitized by Birzeit University Library

١٧ ـ حياة الحقائق ، لغوستاف لوبون ٠
١٨ ـ الاراء والمعتقدات ، لغوستاف لوبون ٠
١٩ ـ روح الثورات والثورة الفرنسية ، لغوستاف لوبون
٢٠ ـ روح الاشتراكية ، لغوستاف لوبون ٠
٢١ ـ روح السياسة ، لغوستاف لوبون ٠
٢٢ ـ اليهود في تاريخ الحضارات ، لغوستاف لوبون ٠
٢٣ ـ مجالي الاسلام ، لحيدر بامات ٠
٢٤ ـ حياة محمد ، لاميل درمنغم ٠
٢٥ ـ تاريخ العرب العام ، لسيديو ٠
٢٦ ـ النيل ، لاميل لوديغ ٠
٢٧ ـ البحر ، لاميل لوديغ ٠
٢٨ ـ كليوباترة ، لاميل لوديغ ٠
٢٩ ـ بسمارك ، لاميل لوديغ ٠
٣٠ ـ نابليون ، لاميل لوديغ ٠
٣١ ـ ابن الانسان ، لاميل لوديغ ٠
٣٢ ـ الحياة والحب ، لاميل لوديغ ٠
٣٣ ـ ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية ، لبوتول ٠
٣٤ ـ اصول الفقه الدستوري ، لايسمن ٠
٣٥ ـ الغزالي ، لكرادوفو ٠
٣٦ ـ ابن سينا ، لكرادوفو ٠
٣٧ ـ مفكرو الاسلام / جزءان مخطوطان ، لكرادوفو ٠

وهناك مؤلفات حقوقية لم تنشر ٠

١ ـ ذكرى عادل زعيتر ـ لجنة التأبين ، ١٩٥٩ ، ص ٨١
٢ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦١ ٠
٣ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦٢ ٠
٤ ـ المصدر السابق ، ص ٢٦٤ ٠
٥ ـ المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ٠
٦ ـ المصدر السابق ، ص ١٠ ٠
٧ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥٤ ٠
٨ ـ المصدر السابق ، ص ٢٣٦ وما بعدها ٠
٩ ـ المصدر السابق ، ص ٢٤٣ وما بعدها ٠
١٠ ـ المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ٠
١١ ـ المصدر السابق ، ص ٧ـ١٣ ٠

Digitized by Birzeit University Library

المستقبل العربي

هل يتسع المجال بعد لمجلة فكرية عربية جديدة ؟

نحن نقول نعم .. شرط ان تكون

- **وحدوية ● مستقبلية**
- **موضوعية ● جـــادة**
- **اهتمامتها من المحيط الى الخليج**
- **قراءتها من المحيط الى الخليج**

المستقبل العربي

تصدر في مايو (آيار) ١٩٧٨

هدفهـــا

*** وعي الوحدة العربية**
*** وحدة الوعي العربي**

رئيس التحرير د. انيس صايغ
تصدر عن « مركز الدراسات العربية »
(ص.ب ٦٠٠١ ـ ١١٣ ، بيـــروت)

Digitized by Birzeit University Library

ملف الشعر

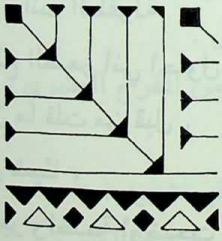

Digitized by Birzeit University Library

قصائد سفرية

احمد دحبور

١ ـ خمسون

بخمسين مفردة غير واضحة كنت ادخل ،
أنت اللغات الثلاث وانت الطفولة
أهي السهولة أم دلع الشعر أني أحاول ؟
ها أنا لا أقصد الآن ما قلت من قبل ،
ها انا لا أقصد الان شيئا ،
وخمسون مفردة غير واضحة أوضحت لي لماذا القنابل
تخلى من الجمر ،
تغدو أواني للزهر ،
خمسون مفردة أخرجتني من الصفر ،
ها انني أتقدم ،

Digitized by Birzeit University Library

ها انني أتكلم ،
خمسون مفردة غير واضحة ،
والاصابع ،
والصبر ،
والتوق ،
اني أتابع معجزة الشهداء :
المدينة صامدة ،
والغزاة اللغات لديهم ولا يدخلون ،
القنابل ، والشره ، الموت ، والطائرات ، ولا يدخلون
بخمسين مفردة غير واضحة يدخل الولد المتلبك ،
يدرك أن النهار جميل ،
وأن العصافير نوع من الفرح البشري ،
وان الجماهير ..
شاهدت قبر شهيد ؛
وكانت صنوبرة ضخمة تملأ القبر ،
لا بد ان الصنوبر في قلبه منذ كان يحب العصافير ،
ان الصبي الصغير استعاد ، اذن ، قلبه ،
وأنا أضع الآن قلبي بخمسين مفردة ،
وأواصل هذا الدخول

Digitized by Birzeit University Library

٢ ـ متريشكا (★)

كلمة وحيدة
كلمة وحيدة لا غير
ثقيلة كغضب الاله او خفيفة كريشة من طير
جارحة ، وتمسح الجراح
مظلمة ، وتحمل الصباح
كلمة وحيدة
كافية ، تغني عن الكلام
اتبعها من اول النهر الى نهاية المنام
وكلما أمسكتها وجدتها بعيدة
يا متريشكا الكلمات الواعدة
ها أنذا أسحب منك الكلمات كلها :

واحدة فواحدة
لكن جسم الكلمات يكبر

(★) متريشكا ، لعبة روسية ربما كانت ذات أصل صيني ، وهي عبارة عن امرأة مصنوعة من قطعتين من الخشب ، فاذا فصلت القطعة عن الاخرى وجدت في الداخل امرأة على الشاكلة نفسها ، فاذا فككتها عثرت على امرأة أصغر .. وهكذا في متوالية نسائية لا تنتهي .. متريشكا هي النساء جميعا في امرأة واحدة .

Digitized by Birzeit University Library

ومتريشكات الدمى صغيرة ، وتصغر
فما جرى ؟
وهل ارى
شيئا سوى الحقيقة
عدوه صديقه ؟
يا متريشكا الكلمات ، الخوف ، والمجازفة
أخذت مفتاحك من سيدة لقيتها مصادفة
قد لا اراها مرة ثانية ، وأسأل :
هل متريشكا هي هذي والنساء كلهن فيها ؟
هل متريشكا هي ؟ اني أجهل
لكنني أعرف شيئا واحدا ،
أعرف أني لم أجد لوجهها شبيها

ريفا ٨ ـ ٦ ـ ١٩٧٨

٣ ـ موضوع للقصيدة

« أن يعودوا وألا تعود الى البيت »
هذي مقدمة لا تلائم طبع الدراما الجديدة ،
لا بأس ، تبحث ، بين الامور العديدة ، عما يلائم :
نفط الكويت ،
حرائق لبنان ،

Digitized by Birzeit University Library

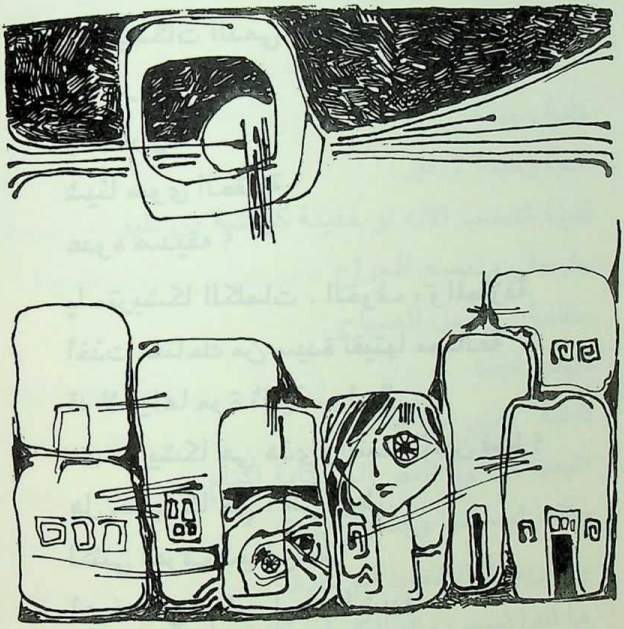

تطوير عمان بعد الحرائق ،
هذا كلام قديم كذلك ،
لا بأس ،
لا يأس

تبحث حتى ختام القصيدة ،
ذلك أن القضية ممنوحة لك

Digitized by Birzeit University Library

والقابلية مفتوحة للكلام
فاعصر الآن قافية الميم حتى تنام
أو خذ الليل ،
وامرأة تسعف الليل منذ المزاح المجرب حتى الغرام
أدواتك جاهزة ،
ستؤكد : اني حزين ،
وامي كنز ثمين ولكن ٠٠ ،
ثم تفاجئها : أنت أمي الجديدة ،
أين القصيدة من كل هذا ؟
وهل تتصلب شيئا فتخرج من صرعة الولد العاطفي ؟
تجرب شيئا جديدا ؟
كأن تستريح من الكلمات الكبيرة والمشكلات الخطيرة،
أن تتكلم بالجانب الثانوي من الامر ،
أو تستعيض ، لمدة يومين ، عـــن لعبة الشعر بالفـرح الشاعري ،
ألم تكتشف بعد ان المدينة بيضاء في الليل ؟
أن الطمأنينة اكتشفت وجهها بين هذي الشوارع ؟
هل زرت ؟ لا شك انك قد زرت بعض المصانع ،
هل حدثوك عن الحرب والويل ؟

Digitized by Birzeit University Library

ماذا ترى الآن ؟
شمسا مؤبدة ، وقلاعا حصينة
فلماذا السمات الحزينة ؟

٤ ـ شعر حر

ـ ها أنت ممتلىء بالنحل ،
بين يديك الورد ،
فالشهد رهن الفعل ،
ها دمك المشدود يأمر بالاشعار ،
أين هي القصيدة الآن ؟
ـ كان الجمر يدخل في الافكار ،
خفت على رأسي ،
وخفت على قصيدتي من عذاب النار ،
قلت : أذن أمضي صراطا فيأتي الشعر من جبل منزه ،
ذات شعر ، قلت : أدخل في الرمز الخفيف ،
وفي الليل العنيف معي جيب من الفجر يؤويني ،
ـ الى أمل مموه ،
كيف تعطى راية ويداك الخوف والهرب
وهل يصدق ما تأتي به العرب ؟

Digitized by Birzeit University Library

ـ لم لا أحاول ؟

ـ حاول

تسقط الكلمات الامهات على عجينة اللغو ،

بعد الصحو تكتشف المسموح :

مأثرة الفجر الجميل ،

هوى الليل الطويل ،

صفات الذيل ،

يسمح بالحـــزن الوقور عـــلى أهل

الجليـل ،

وثحت الباب قائمة الممنوع زاحفة على المفاتيح ،

لا تكتب عن الغضب المقموع ،

والجوع ،

والاحلام زائدة عن حدها ،

والغـلا ،

واللـــه ،

أين هي القصيدة الآن ؟

قل لي : أين أين هي ..

حمص ١٧ـ٨ـ١٩٧٨

Digitized by Birzeit University Library

الفرسان يشعلون الصمت

مسرحية شعرية في ثماني لوحات

محسن الخياط

« شخصيات المسرحية »

- **خالد** : ٤٠ عاما ·مناضل قديم · ظل لفترة طويلة اسيرا جراح نفسية خلفها طول السجن والمطاردة الوحشية ·
- **حازم** : ٣٥ عاما · مناضل قديم · زميل لخالد · قادر ان يتحمل جراحه وان يستمر في حمل راية النضال ·
- **جاسم** : ٢٥ عاما · شاب وسيم · الهبت مشاعره الحركة الوطنية · وعذبه معاناة الشعب ·
- **فيحاء** : ٢٠ عاما · فتاة في مقتبل العمر · على قدر كبير من الجمال وقوة الشخصية · تحب جاسم ، وتشاركه النضال ·
- **جابر** : احد الامراء (٤٥ عاما) ·· لديه بقية من قيم ·· وبقية من دين ·· يهوله ما آل اليه امر الامراء ··
- **الوحش** : حيوان خرافي يشبه التنين ·· نصف ادمي ·· ونصف وحش · يتهدد الوطن ·· ولا يجد من يردعه ·
- **كبير الامراء** : ٥٨ عاما ·· حاكم البلاد ·· تمكن من تحويل البلاد الى اقطاعيات صغيرة وضع على كل منها امير يدين له بالطاعة والولاء ··
- **شخصيات اخرى** : عدد من امراء المقاطعات ومن اتباع الوحش ·· خدم ··

Digitized by Birzeit University Library

ـ « اللوحة الاولى » ـ

المنظر حجرة استقبال متوسطة الحال ولكنها تبدو انيقة تطل على الطريق من خلال نافذة فيها لها باب على اليمين .

(الحجرة خالية وقت بدأ اللوحة)

بعد لحظات يدخل خالد وبصحبته حازم .. خالد يبدو في حالة اضطراب وقلق .. بينما يبدو حازم بثبات وان كان غير مستقر ..

خالد : (وهو يقطع الغرفة ذهابا وايابا وهو يشعل لفافة تبغ ،

قل لي يا حازم

ما الحل اذن ؟

فالكارثة تفوق الوصف ..

حازم : بل قل ان الكارثة تعدت كل حدود الوصف

والشعب تمزق ،

حتى اصبح في خوف .. من شبح الخوف

عدة اعوام ،

نخشى من غدنا ،

يفزعنا ، حتى في الاحلام

خالد : والادهى ان الشعب يلوذ بنا

ويرى فينا فرسانا نملك حسم الامر

(وهو يتجه نحو النافذة)

قل لي ما الحل ؟

والتنين الرابض عند اعالي النهر

لا يفتأ يطلب انثى حين يشاء

يلهو .. ويعربد ..

حتى يسلمها لظلام القبر

حازم : اسمع يا خالد ..

قد كنا رجالا ..

فرسانا

Digitized by Birzeit University Library

تشغلنا نـــار الحرب
قد كان الواحد منا يتقن فن الكر
وفن الفر ٠٠ وفن الضرب
كنا في الازمة لا نعرف ما معنى اليأس
كنا نتحرق شوقا للاقاة الموت

(لحظة صمت)

كلنـــا اليـوم تراخينـــا
اعمتنا احلام فروسيتنا الجوفاء
القينا بالدرع ٠٠ وبالسيف
ونسينا انا كنا نفترش الارض ،
ونلتحف سماء الظلمة كـل مساء
وتغنينـــا بالاسـلاف ،
وبالامجـــاد ،
وعشنـا نجتر سنينا
كنا لا نحلم فيها الا بالخيمة والاوتاد
كنا نزدرد اللقمة حينا ،
وكثيرا ما كنا نفتقد اللقمة
اليوم تبدل حـال الفرسان
اصبح كل منا يرفل في النعمة ،
وتبدل في يدنا معيار السيف
هل كان الامر بـأن نصعد نحن ،
من سفح التـل الى القمة

خالد : (وكأنما آلمته الذكرى) بالله كفى

حازم : مأساتك انك تهرب من نفسك ٠٠ من داخل نفسك
مأساتك ،
انك تنسج من امسك ،
لغنـا ،
لتعيش عليه غدا
فتذكر يا خالد ،
انـا منذ تفرقنا
منذ تعلق كل منا من عرقوبه
والخوف يطارد كل منـا ابدا

Digitized by Birzeit University Library

كانت قوتنا في اللمة ،
في الحزمـة
وهي اذا انفرطت
اعطت للتنين الفرصة ان ياكلها ،
دون عناء
عودوا ·· عودوا
اللقمة ·· تـلو اللقمة

خالد : (برما بعض الشيء)
اتحدث كي تفتينا في امر التنين الجاثم عند اعالي النهر
وتحدثني انت بأمر قد فات اوانه

حازم : سيـان !
فللتنين القابع عند اعالي النهر ··· اثنان
بل اني المح فيما نحن عليه ···
تنينـا اكبـر
بـل اكثـر هولا وفظاعـة
تنينا ياكل داخلنا
ياكل اجمل مـا فينا
الانسان العقل ··· والعقل الانسان

خالد : تتباكى انت على امر ضاع
كانـا قـد بؤنـا بالخسران

حازم : بل نحن قتلنا ظلم الحلم بكل مكان
المشعب يخـاف التنيـن ،
ونحـن لسـان الشعب ،
هجرنـا الدرب
كنـا نقتحـم الصعب ،
ولا نخشى من هول الصعب
كانت ترتجف الدنيا حين نغني لحن الشعب
والريح تمر ،
نحاول ان نقتلع جذورا كنا نغرسها
في بطـن الارض

Digitized by Birzeit University Library

وتعود الريـــح بحسرتهـا
ويطل النبت يغنينا اغنية الحب

خالد : ما بالك تشعل نارا قد خمدت
أولم نتحمل عبء نضال من سنوات
أولم نتحمل عبء المشي على الاشواك
أولم تكوينـا النـار ،
ألـــم نتشرد في الطرقات

حازم : كلنا حين الفنا الراحة يوما ،
والفنا دفء الحجـرات
وعرفنـا النوم بملء العيـن
وخشينا ان يتسرب الحلم من الجفنين
استعذبنـا النـوم ،
واغفينـــا ،
حتى ضاع مع الراحة ... دفء الكلمات .

خالد : امدا يا حازم حتى يمكننا ان نوقف هذا النزف
قد عاد التنين يهدد ،
ان يحرمنا مـاء النهر
اذا لم يمنح اجمل انثى كـل مساء

حازم : (بدهشة) اجمل انثى كل مساء !!

خالد : هـو هـذا !
أعرفت الى اين تسير الاشياء

حازم : وخضعت !!

خالد : اخبرني .. هل نملك شيئا اخر !!؟
فمواجهة التنين ...
مجازفة لـم توضع في الحسبان

حازم : طبعـا ..
مام دام هناك عذارى

Digitized by Birzeit University Library

اكثر من ثقل الهم على الانسان
فلينعم هـــذا التنيـــن ،
بمـا نتحفه مـن اقمـار
وليأخذ كـل حسان القرية ،
حتى لا تمسسنا النـار
(بعد لحظة صمت)
اسمع يـــا خالد ،
لا شك بأن الغول طغى وتجبر ،
اكثر مما كان

خالد : اعرف ذلك

حازم : وتجبر هذا الغول امر مرجعه لك

خالد : تتكلم دوما بالالغاز

حازم : ابدا ... الامر بعيد كل البعد عن الالغاز
لحظة ان دب الغول الارض بقدم الرعب
ارتعت ،
وتصدع من رعونك جدار القلب
فتراجعت ،
وعـدت بخطوك نحـــو الخلف ،
ومنحت الفرصة للتنين لكي يتقدم ،
دون نزال
ولانك عشت وليف النعمة منـذ سنين
تركت الســاحة كالاطـلال
تبكي ايام الرفقة حين انفرط العقد
وتناثرت الحبات وغاصت في اعماق الارض
كان مـن السهل عـلى التنين
ان يقتحم عريـن اسود الغـاب
ان ينتزع المخلب والانيـاب
افهمت ،
بأن الامر بعيد كل البعد عن الالغاز

خالد : كلنا لم نتخل عن افكار الامس ؟

Digitized by Birzeit University Library

حازم : هو هذا

لكن الثائر ان القى ٠٠ او هجر السيف
تتعثر في الظلمات خطى الافكار
فالفكر يشيخ اذا ما عاش بلا ثوار
والواقع ينطق بين يديك الان ،
بلا شفتين
قل لي باله ،
أتركن للامراء
هل يملك اي-امير في بلدتنا ،
رد الداء
هل يملك اي‌امير ،
ان ينحاز الى الفقراء
ويلتنا ،
حين حملنا الراية باسم الناس
اقسمنا الا نترك هذا الشعب بلا حراس
اقسمنا ان نرفع عن كاهله ألم الجوع ،
شبح الفقر ،
ظل الجهل
لكنا
قبل تمام الرحلة ،
عدنا نسلم تلك الراية للامراء
ونردد ما يدعون اليه ،
كانا نقرأ من صفحات من الانجيل
او التوراة
او القرآن

خالد : أو تنكر ما يدعون اليه ؟

حازم : لا انكر ...

لكن العبرة ليست في الكلمات
العبرة فيما يجنى الناس من الثمرات
فاذا ما قصم الفقر ظهور الناس ،
وبات يعشعش في الطرقات

Digitized by Birzeit University Library

وتلهى كـل امير بالسلطان ،
وبالثروات
انسمي ما يدعون اليه العدل
أتقول لمن وهبوا الـدم ،
أتقول لمن سكبوا عرق العمر ،
بانا فوق الارض سواء ؟ !!
وبانا اذا اسلمنا الرايـة للامراء
نستهدف رفـع الظلم
ورفع القهر عن الفقراء ؟ !!

خالد : الهول شديد !!

حازم : لكنا اعتدنا انتبتلع الهول ونلقى العبء على الضعفاء
فعذارى البلدة يتهاوين
ونحن نصم الاذن ،
ونغمض جفن العين ٠
« يدخل خادم يعلن مقدم جاسم »

الخادم : جاسم بالباب ٠

خالد : فليدخل

حازم : من جاسم هذا ؟ يا خالد

خالد : احـد الشبان
يملأه حب البلدة ،
وتؤرقه رؤيـا الفقر بكل مكان

حازم : ولماذا يقصد بابك انت ؟

خالد : ما زال يعيش على امل فينا

حازم :
(بشيء مـن السخرية)
ما زال يظن بأن القبة ،
في داخلها نفحـة شيخ

Digitized by Birzeit University Library

خالد : مهزار ...
حتى في ساعات الجد
(يدخل جاسم)

خالد : اهـلا جاسم

جاسم : اهـلا خالد ..
(يسلم على حازم)
(خالد معرفا جاسم بحازم)

خالد : (مُشيرا الى حازم)
هذا حازم
كان مع الايام رفيق طريق

حازم : (وهو يصافح جاسم ويشد على يده وفي نفس الوقت
موجها كلامه الى خالد)
فعـلا كـان ..
والان
نتسلى في لعبة مزج الالوان

خالد : مهزار ..
تستهويه النكتة ليـل نهـار
حتى ان كانت تشتعل بجنبيه النار

حازم : في اقسى ايام العمر عرف الناس طريق النكتة
حيث العجز امـام الجـاه ..
امـام الخوف
امـام القهر
يعطي للنكتة عند الناس بريق السيف

جاسم : (موجها كلامه الى خالد)
خالد ...
قد جئت لكي انبئك بأمر هام ،

Digitized by Birzeit University Library

خالد : لا تخرج

قـــل ما عندك ؟

حازم منـــا ·· ليس علينا

جاسم : امراء البلدة خضعوا

خالد : للتنيـــن

جاسم : بعثوا برسول كي يثنيه

حازم : (مكملا) لكن التنين ابى ،

ان يرجع عمـــا فيه !

جاسم : هذا ما حدث ··

فخاف القوم من التنين !!

جاسم : قالوا ··

ان تفقد انثى كـل مساء

أهون من ان يدهمنا الموت

بغير حساب

قـــالوا ··

تحنى الهامـــات ،

الى ان يهدأ عصف الريح

حازم : (الى خالد)

خالد ؟ ما رأيك ؟

ومصير البلدة اصبح لعبة كل امير ؟ !!

خالد : اصبر يا حازم

فالامر خطير ·

حازم : والاخطر منه ،

وقوفك موقف من يدهشه الامر

كأنك صرت مـع الايام اميـر

Digitized by Birzeit University Library

خالد : تظلمني
افلا يمكن ان وراء الموقف حكمة ..

جاسم : في ان نركع للتنين ؟!!

جاسم : طبعا ... لا ..

حازم : لو سمع الامراء حديثك ،
لامتدحوك
بل صفوك مع الحكماء
فانت تفلسف كل سلوك ،
يسلكه فينا الامراء

خالد : اوتنكر بعض مواقف تحسب للامراء
انت تحاول ان تتخابث
ان صلاح الرأي يكون بما يرضاه الناس
حتى لو كان الماء
يفيض من القمة
حتى يصل السفح
فالعكس اصح !

خالد : قد عاد حديثك للالغاز

جاسم : اية الغاز !! ؟
فانا لا اسمع غير حديث الحق
قد يمنحك اميرا بعض الحب

قد يعطيك حديثا ..
يعصره من قلب القلب
لكن القوة ..
في ان نعطي نحن الكلمة
القدرة ان نتمكن من رفع الماء ..
من السفح الى القمة ..

Digitized by Birzeit University Library

خالد : قل لي كيف !؟

جاسم : تسألني انت بما تحمل من حكمة عمر !؟
ابناؤك نحن ...
تلاميـــذك
جئناك لتجلو فينـا الامر
جئنـاك ...
لنأخذ منك سداد الرأي

حازم : اية رأي يعطيه ،
من احكم حول القلب سياج الخوف

خالد : (محتدا) حازم ارجوك !

حازم : بل اني ارجو ألا تجزع ممـا كان
فالخوف ، يميت النفس ،
يميت بداخلك الانسـان
أولم تدرك حين خطونا
انا نعرف هول الدرب
انـا قـد تأكلنـا النـار
نفنى نحـن ،
ويبقى الشعب
ناسى يومـــا
او نتعرى
لا نستسلم
لا ننهـار

خالد : حازم .. امسك ؟!!

بل .. متماسك

خالد : هل الاسى يمزق نفسي
يطفىء فيهـا جذوة نـار
بل يحرمني ان اختار
بل يحرمني ان اختار
(يضع يديه على وجهه وينفجر في البكاء)

Digitized by Birzeit University Library

« اللوحـة الثانية »

المنظر : (حجرة استقبال متواضعة جدا في منـزل جاسم ·· اريكة عربية وعدة مقاعد ومنضدة صغيرة)
(جاسم يجلس مستغرقا في تفكير عميق على الاريكة ·· بينما تجلس فيحاء على احد المقاعد) ·
(عند بدء اللوحة تتحرك فيحاء نحو جاسم)

فيحاء : جاسم ·· يا حبي
ما بالك لا تنصت لي
ما بالك لا تسمعني همس الحب
جاسم ···· ؟
حالك يقلقني
ينزع من جسمي نبض القلب
(وهي تداعبه) ما بال البلبل قد اخرسه الصمت ،
فكف عن التغريد
افلا نشعل هذا الصمت
افلا نرجع للتحليق بكل سماء
(وهي في حالة اندماج تلهو ···
كانها تمثل) نفترش الخضرة ··
نرقب صورتنا في الماء
ننشد للحب غناء لم يعرفه عنتر ·· عبله
نبني عشا للحب ،
نظلله بالبسمة والقبلـة
ان كنت تعاني يا جاسم
اشركني في الامر
فانـا حبك يـا جاسم
والحب طبيب القلب

جاسم : (بعد ان يأخذ فيحاء الى جانبه)
فيحاء ،
يا بسمة نور البدر اذا حاصرني الليل
يا رشفة ماء ·· للتائه في بيد الحب
يكفيني انـك لي ··

Digitized by Birzeit University Library

يكفيني ان لقاءك ،
يروي نبت القلب
فيورق
يضحك للشمس ..
يزهر
يثمـــر
يعطي أجمل ما فيه لكل الناس

فيحاء : (بدهشة) وانا !!؟
أفلا تمنحني بعضا مـن ثمرات القلب

جاسم : (مداعبـا)
أويبحث هذا الزهر السابح في انسام العطر
عند قطرة عطر
أويبحث هذا القمر الغارق في امواج النور
عن ومضة نور
هل يظمأ نهر الحب ،
هل يطلب نبع رشفة ماء
بل انت القمر ،
وانت الزهر
وانت النبع
وانت شفائي
حين يعز علي دواء

فيحاء : يغلبني حـلو حديثك
يغلبني ...
حتى انسى نفسي بين يديك
(لحظة صمت)
لكنك حتى تلك اللحظة
لم تخبرني عمـا فيك ..
فانا لا يخطىء قلبي ابدا
حتى ان اسدلت ستـار الصمت

انت تعاني ..
انت تعاني من امر هام ..
اقرأ منه سطورا في عينيك

Digitized by Birzeit University Library

اخطير هذا الامر لهذا الحد !!؟
تكتمه حتى عني !!؟
عن اقرب كل الناس اليك ! ؟

جاسم : ليس الامر كذلك يا فيحاء !..

فيحاء : ما الامر اذن (وهي تهب واقفة)
ان لم يخطىء حدسي
انت تفكر في امر التنين
(مستطردة قبل ان تتلقى ردا)
وكل الناس الشرفاء
وبكل نقاء البسطاء
تأبى نفسك ما قد وصل اليه الحال
وتفكر فيما يمكن ان يفعله الناس
تأبى ان تجبن ،
او ان تتخاذل كالامراء

جاسم : (وقد قام لتوه واخذها بين يديه)
لم يخطىء حدسك يا فيحاء

فيحاء : لكنك قد اخطأت كثيرا ،
حين كتمت الامر علي

جاسم : لا ... لم اقصد
بل اشفقت ...
قلت اقاوم هذا الداء بعيدا عنك
حتى لا تدهمك النار

فيحاء : (محتجة) اية نار !؟
حين قبلت يديك حبيبا
كنت احس لنار الحب مذاقا اخر
لم تجذبني مثل فراشة
بل جذبتني ،
وهي تؤجج في اعماقي نارا اعظم

Digitized by Birzeit University Library

نارا تعرف ان ربيع الحب يموت ،
بلا اهداف ،
بـــلا افكـار
في روحين بقلب واحد (فترة صمت)
(يتذكر) كنا نجلس
نحكي ... نسمر
يتجاذبنا همس الحب ..
كم احسست بانك لست ككل الناس
حبك ليس ككل الحب
منـك عرفت ،
بان هوانا مثل الزهر
ينضر ،حين يلاقي الشمس
يكبر في عين الاحباب ،
اذا ما فاح بأجمل عطر
منك عرفت بـان هوانا ،
اذ يكتمل ، ليصبح بدرا

يعلو ،
لا ليعيش اسيرالقلب
بل لينير لكل الناس
طريق الحب
طريق الحق
طريق الخير

جاسم : (وهو يضمها اليه) فيحاء

فيحاء : جاسم ..
لا تحمل هما ،
لا تتردد
ان كنت تروم الورد ،
فلا تخشى وخز الاشواك

فانا احلم بالايام الحلوة
حين اراك
بغد ارغد
تغمره قبلات الشمس

Digitized by Birzeit University Library

بربيع تطوى خطوته ظل الامس
اعرف ان الدرب ملىء بالاوحال
لكنك تعرف ،
كيف تعيد هذا الدرب
والصعب يهون بأول خطوة
فاقتحم الصعب ..
فالخطوة تصلب

تقوى
في قلب الاهوال

جاسم : فيحـــاء ..
كلماتك .. تورق في جنبات القلب
تعطي للحب ،
بريقا لا يعلوه بريق
لم ادرك قبل اليوم ،
بانك لي حب ... ورفيق
(بعد برهة صمت)
بالامس ..
كنت بصحبة خالد ..

فيحاء : حقا .. !!
مـــا اخباره

جاسم : احزنني ما وصل اليه ..

فيحاء : كيف ؟ !

جاسم : احسست بأن الشعلة فيه انطفأت
احسست بان رفاقا ..
قد اغراهم لين المعيش

فيحاء : بل ارهقهم طول السجن
والتعذيب ،
ومطاردة كلاب الامراء ..

جاسم : لو كان الامر كذلك يا فيحاء

Digitized by Birzeit University Library

ما عاش بهذا العالم ثائر
ما انهار بهذا العالم ركن مظلم
فالثائر ،
حين يخاف ظلام السجن
حين يخاف لهيب السوط
ونهش كـلاب الامراء
يستسلم
يتهـاوى
يسلم رايته للاعداء

فيحاء : لكن ..
هل وصل الامر بخالد هذا الحد

جاسم : لم يحدث بعد ..
لكن بداية من يستسلم ،
تبدأ حتمـا بالتوفيق
بين الحق وبين الباطل

فيحاء : ماذا تعني ؟!

جاسم : اعني ان الثائر ليس اثنين
للثائر وجه .. لا وجهين
اما ان يحيا للفقراء
او يسقط في مستنقع اوحال الامراء
لا يحتمل الامر سوى ان نكشف ،
كل الزيف
ونعري كل كلام يتخفى في ثوب الحق
فنواقيس الخطر تدق ..
تدق
ويشق علينـا ان نحتمـل جنونا ،
يسري مثل النار
تلتهب الاسعار
وندفع من دمنا ثمن جنون الاسعار
تدهمنـا الاخطار ،
وندفع من دمنا رد الاخطار،

Digitized by Birzeit University Library

ندفـــع
ندفـــع
عرق اللقمة لا نتردد
ندفـــع
ندفـــع
يلهب دمنـا نـار المدفع
والتنين القابع عنـد اعالي النهر
تطعمـه أيـدي الامراء
تطعمه مـن دمنـا كـل مساء ،
حتى يشبع

فيحاء : جاسم ... لا تجزع
فكلامـك حـق
اسلكه طريقا تملأه رايـات الصدق
اجمع من حولك كل رفاق الامس ،
اجمع من حولك كل الناس
وتقـدم يـا جاسم ،
لا تخضع
انصت لكلام الصدق على شفة البسطاء
فالحكمة ،
فيما تنقله لغة الفقراء
اشرح للنـاس قضيتهم
لا تعلو فـوق الناس ،
لا تترفـع
بـل كـن احـد البسطاء
اصـدق في القـول
اصـدق فيالفعـل .. ولا تخدع
فالصدق سـلاح يخشاه كل الامراء

Digitized by Birzeit University Library

» اللوحـة الثـالثة «

« قاعة فسيحة في قصر كبير الامراء ، يبدو عليهـا الترف الشديد والنعمة البـالغة الحـد ·· تمتلىء القاعة بالهدايا والتحف الثمينة »

« كبير الامراء يجلس على مقعد اشبه بالعرش ، وفي زي اقرب الى زي امراء المماليك · ·وامامه نرجيلة يدخنها ·· »

« يجلس حوله لفيف من الامراء من اتباعه »

كبير الامراء : الامر كما يعرف كل منكم
لستم في حاجة للافصاح
ها نحن اليوم ،
نقلب كل الامر
مـا جـاء ،
وما راح ،
وما يقلق مضجعنا كل مساء ··
لا ابغي نصحا ···
لكني
اتلمس حلا ينقذنا من هول الداء

(بعد برهة)

هذا التنين الرابض عند اعالي النهر
يرهقنا ،
نتنازل ،
نعطيه حين يشاء
حين اصبحنا لا نملك من امر الدنيا
الا ان نعطي
وان نعطي بلا ابطاء ··

امير (١) : يا سيد هذا القوم ،
ان تملك حلا اخر ،
قله ،
فنحن رجالك

Digitized by Birzeit University Library

نحن جنودك ،
تامرنا ·· ونطيع الامر ·

امير (٢) : جربنا الحرب ،
وكم عشنا ،
واللقمة تاكلها ويلات الحرب
قلنا مـا ضاع بحد السيف يعود بحد السيف
قلنا ·· نهلك بالالاف ،
وبالمليـون
لنرفع عن كاهلنا هذا الضيم ،
وهذا الحيف
والواقع انا رددنا كلمات
صيغت احرفها من قبض الزيف

امير (٣) : هل كنا نملك الا ان نتنازل
فالتنين ··
يهدد ان يحرمنا ماء النهر
يمتلك القوة
انـلام اذاً جنبنـا الوطـن كـوارث تتهـدده
لنعيش بفكر العصر
وروح العصر
فالدنيا اخذ ·· وعطاء
نهب التنين فتاة كل مساء
يمنحنا من كفيه الماء
تنفتح على العالم رحبا ··
يمنحنا كـل الخيرات
نبني ما شئنا ونعمر ،
ونعوض عمرا اكلته سود الايام
وكفانا حربـا وطعانا
وكفانا ما ضيعنا من ثروات
فالعيش المر ،
يهدد مـا عشنا مـن الايـام ،
وما هو آت ··

امير (٤) : افهم من هذا ان نتجنب اي صدام ؟

Digitized by Birzeit University Library

كبير الامراء : بل نفتح للايام طريقا غير طريق الامس
لا نصغي للداعين لحسم الامر بحد السيف
فالتنين يريد سلاما ،
يجني منه زهور الخير

امير (١) : التنين بيده الحسم ،
ويملك ان يعطينا حين يشاء

امير (٥) : لكن ما تدعون اليه ،
لا يرضاه الله ،
ولا يرضي قومـا شرفاء

كبير الامراء : قـد عشنا العمر نضحي
نهب الروح بغير حساب
لـم نملك لحظة عمر الا وسخرناها للاحباب
لم نأخذ منهم ،
بل اعطينا حتى ارواح الشهداء
واليوم نـلام ،
اذا ما عدنا نبحث عن انفسنا ،
نجمع ما بقيت فينا من اشلاء ،

امير (٥) : ارجو الا تتقاذفنا ٠٠ ريح الفرقة

امير (٢) : حتى ان قذفتنا ريح الفرقة
هـل نملـك الا ان نعترف بأمر واقع
فالتنين القابع عنـد اعالي النهر
يسنده تنينـا اكبر

كبير الامراء : والتنين الاكبر في يده مفتاح الحل ٠٠

امير (٣) : اجل

كبير الامراء : والافضل ان نتصافح قبل فوات الوقت

امير (٣) : هذا هو الرأى الامثل

Digitized by Birzeit University Library

امير (٥) : والشعـب ؟ !

امير (٤) : نتركه يلهث خلف لقيمة عيشه
فاذا عذبه الجوع ٠٠ الفقر ،
اذا ما انهزمت في داخله كل معاني الحق ،
العـدل ،
انسحق وعاد ،
يطلب منا ان نعطيه
ان نمنحه قطرة زاد
وبأيدينا يجري الحـل ٠٠

(وحينئذ يقف كبير الامراء وكأنه يتهيـأ لالقـاء خطـاب في الجماهير ٠٠ في حين يصفق له باقي الامراء)

كبير الامراء : يا اخواني ٠٠
ان الحرب ،
الحرب ،
الحرب ،
كانت مصدر كـل بـلاء
اكلت عرق جبين الشعب ،
واستشهد عـز الابناء
يـــا اخواني ،
ان الحرب ،
الحرب ،
الحرب ،
لا تسقينا غير العلقم
وأرى الحـل
فـي ان نمـدد يدنـــا ٠٠ حتـى للاعـداء
نرجو سلما ،
يهب الخبز
يهب الخير
يهب المـاء
يا اخواني ،
قد ازهق دنيانا الجيش
قـد اكلتنـا نـار الحرب

Digitized by Birzeit University Library

فلنلعنهـا ..باسم الشعب
ولنلعنهـا نـــارا ..
حربا .. ضد الحرب
ولنعلنها دون ريـــاء
انـا نرغب ان نستبدل سيف الجيش
بلقمة عيش
(تصفيق حاد من الامراء .. ما عدا الامير (٥) الذي يهب
واقفا في غضب)

امير (٥) : هذا والله ضـــلال ..
افـــلا تخشون الشعـب
افـــلا تخشون اللـــه
افـلا يخشون دمـــاء شهيد ضيعنـــاه
تحضن كفيه رمـــال الارض ،
وتهتف .. تهتف .. واوطناه
(لحظة صمت)
ما اسمعه .. شر .. عار .. لا ارضاه
فالمارد قد يغفو .. لكن
الويل ، اذا المارد قـــام ..

كبير الامراء : (في حدة)
هـــل انت امير يا هذا ؟..
ام ماذا ؟

امير (٥) : قد كنت اميرا حتى تلك اللحظة
لكني اليوم ،
ساخلع عني ثوب الامراء
وساطعمه للنار ،
تاكله كيف تشاء

وسالبس منـذ اليوم ،
ثوب العفة
ثوب الطهر ،
ثوب الحق ،
سالبس ثـوب الفقراء ..

Digitized by Birzeit University Library

(وهو يستل سيفه من غمده)

وساشهر سيفي في وجه التنين

وسيجري ماء النهر ٠ ٠ليروي الناس

بـــلا استثناء

لا سلم ،

ولا تفريط بذرة ماء ٠٠

Digitized by Birzeit University Library

« اللوحـة الرابعـة »

المنظر : نفس حجرة الاستقبال في منزل جاسم ..
منذ بدء اللوحة .. يدخل جاسم من الخارج مناديا :

جاسم : فيحاء !..
فيحاء ..

فيحاء : (من الداخل) صبرا يا جاسم
سو تراني في لحظات ..
(بعد برهة تدخل فيحاء وقد ارتدت زيـا اشبه بزي المقاومة الشعبية للفتيات) ..

جاسم : (في بعض الدهشة) ايه ...! ما هذا ؟!
(ثم مازحا) هل اعلنت الحرب علي ؟!

فيحاء : (وهي تعانقه)
لا يا حبيبي ،
لا يا اروع ما في الحب (تخرج خنجرا من غمده)
بل اشهرت بنار الحب .
سلاح الحرب على الاعداء

جاسم : (وهو يدور بها) حسنا ... حسنا ...
نحن الان اذن شركاء

الاثنان معا : في الحب .. وفي الحرب سواء
(يتضاحكان)

جاسم : (وقد عاد الى جده بعض الشيء)
فيحاء ..
هل تصغين لما احمله من انباء

فيحاء : (ملاطفة) قل يا حبي ..
قل وتكلم ..

Digitized by Birzeit University Library

جاسم : ... الامراء !

فيحاء : (ساخرة) ماذا جد من الامراء ؟
(مازحة) شربوا النخب مع التنين

جاسم : مذاما يحدث يا فيحاء

فيحاء : (مستنكرة) يا للعار

جاسم : وحسان البلدة قد اصبحن وقود النار
وانـا ...
(يدير ظهره في محاولة لاخفاء مشاعره)

فيحاء : تخشى ان يلحقني الدور
(مستطردة)
لا .. يا حازم
منذ عرفتك مات بقلبي ظل الخوف
عشت اراك ،
منارة صدق تلهم خطوى نحو الحق
لن يلحقني هذا العار
سوف تراني نورا يهتك ستر الليل
سوف تراني شعلة نـار فوق التل
لن استسلم ،
حتى اخر طعنة سيف

جاسم : (وهو يحاصرها بذراعيه)
ما اروعك ..
(بعد برهة)
كنت افكر .. (يتوقف عن الاسترسال)

فيحاء : قل يا جاسم .. ماذا كنت تفكر في ؟

جاسم : (وكأنه يبعد خاطرا) لا ... لا ... لا ...

فيحاء : (مقتربة منه)
استحلفك بنور عيونك حين يذيب شفاف القلب

Digitized by Birzeit University Library

جاسم : كنت افكر .. (بعد تردد)
ان ...
ان اخفيك بأي مكان ..

فيحاء : (وهي تبتعد عنه) ان تخفيني !!!!

جاسم : من امراء كالغيلان
باعوا الارض . .
وباعوا العرض
وزرعوا الرعب بكل مكان
(لحظة صمت)
من لا يقبل بالخذلان
من لا يرضخ للتنين
يلقى خلف الشمس
يموت ،
بلا تاريخ .. بلا عنوان

فيحاء : لا .. يا جاسم ..
انتم احلام الناس ،
وفجـر التـائه في الفلوات
انتم كالليل الثاقب يومض في ليل الظلمات
انتم رايات النصر
ترفرف ،
تعـلو ،
تشرق في قلب الاحزان
ويقيني ان النصر لكـم
فالثورة لا تنضج الا في قلب النيران .
(تسمع طرقات حادة على الباب)

صوت : جاسم ! جاسم !

فيحاء : (متسائلة) من يا جاسم هذا الطارق ؟!

جاسم : (وهو يتجه نحو الباب) ليس غريبا هذا الصوت !..

Digitized by Birzeit University Library

يفتح الباب ليندفع خالد الى الداخل يرتمي في احضان جاسم وهو في حالة اضطراب وهول شديدين !..

خالد : (وهو يكاد يبكي) جاسم :

جاسم : ماذا في الامر ؟!
اهدأ وتكلم يـا خالد

خالد : سلمى يـا جاسم ..

فيحاء ! (بانزعاج وقد ادركت ما يعنيه) سلمى
(تخفي وجهها في يديها وتنسحب الى الداخل)

جاسم : أخذوهـــا ؟!

خالد : قربانا للوحش العاتي !!

جاسم : اهدأ يـا خالد ..
فالماضي
قد كان نذيرا بالآتي
(محاولا ان يعيد ثقته في نفسه)
لكنك لم تدرك ذلك الا بعد فوات الاوان
طارت السنة النار ،
ارتفعت
وتطاير منها الشرر .. الحمم
الموت .. يطارد كل نهار
لكنك لم تتقدم كي تطفئها ..
حتى مست يدك النار

خالد : (وقد هدأ بعض الشيء)
جاسم ..!! لا تقسو باللوم علي
فانا لم آت كي انعي سلمى .. وانوح
لم آت اطلب منك العون
لكني جئت اليك ،
ابـارك خطوك ، اضـع حيـاتي
بين يديك

Digitized by Birzeit University Library

جئت اليك رفيقا من رفقاء الامس ،
سيفا لا يغمد ،
سيفا يلمع في الظلماء ..
لا يعرف حلا وسطا بين الخير وبين الشر
يتصدى للتنين القابع عند اعالي النهر
بل اقسم الا يغمد هذا السيف
الى ان يحسم كل الامر .

جاسم : هذا ما نعهده فيك ..
(بعد برهة صمت)
قد كنت افكر .. في رفقاء الامس
كنت احاد ثنفسي حينا
كيف يعيش الثائر يوما دون نهار
كيف يعيش اسير الليل
اي قضايا قد تشغلهم
ان لم يصبح هذا الوطن
وهذا الشعب ،
حلم الثورة والثوار

خالد : قد ارقني منذ فراقك .. هذا الحلم
بل لم تهدأ نفسي يوما
عشت اطارد شبح السجن
شبح محاكم للتفتيش .. وللتنكيل
وانا اذكر صفحة نور سطرناها
حين شددنا وتر الثورة فوق السيف
حين عزفنا اجمل لحن للشهداء
واتى صوت رفيقي حازم يهتف بي

جاسم : (مقاطعا) ناسى يوما ،
او نتعرى ،
لا نستسلم .. لا ننهار .
(معلقا) كان يغني لحن الثورة .. لحن الحق ..

خالد : ادرك ذلك ..

Digitized by Birzeit University Library

بل اعلنها ان لا حل بغير السيف ..

(بعد برهة)

لكن قل لي . ما اخباره

جاسم : بومض مثل بريق السيف

خالد : (معلقا) ان لحازم قدرة الف

جاسم : (بعد برهة) قل يا خالد .. ماذا عندك من انباء !؟

خالد : مـــا تعرفه

قد رفع الامراء الرايات البيضاء
واحلوا للتنين ان يتصرف كيف يشاء
يطأ الارض الطيبة ،
يدوس الاحلام الخضراء
ويدنس ماء مدينتنا
يشربها كأسا ممزوجة بدماء الشهداء .
(بعد برهة صمت)
لكن الشيء الهـام
ان يتمرد احدا منهم
ان ينعتهم بالبهتان وبالتضليل
ان يخلع عنه ثوب الامراء .
ويقسم ان ينحاز الى البسطاء

جاسم : (متسائلا) اوتعرفه يا خالد بالاسم ؟

خالد : اعرفـــه .

« جابر » وتلاقينا عدة مرات
وتحادثنا في التنين وفي الامراء

جاسم : تلك لعمري بشرة خير ..

نحن بحاجة ان ينقسموا
ان تضعف شوكتهم يومـا

Digitized by Birzeit University Library

ان ينخر في الحكم السوس
فاذا ما انشق امير منهم
فزنا نحن ،
بمـا يملك مـن قوة جيش
نتعهده
نعلي شانه
ننفض عنه غبار الخوف من الامر
نجلو عنه صدأ السيف
نبعث فيه نبض الحب
كي يتعانق سيف الجيش
بسيف الشعب
(بعد برهة)
لكن ... يبقى الشعب القائد ابدا
يملك كل زمام الامر
حتى لا تنسرب السلطة بعد النصر ،
الى الامراء

خالد : افهم قصدك ..

جاسم : اسع اليه .. ثبت من اقدام اميرك ..

خالد : (ضاحكا في احتجاج) ليس اميري !!
جاسم : اقصد جابر .. اسع اليه ..
حتى يثق بهذا الشعب .

(بعد برهة)
(بعد برهة)
وتذكر يا خالد دوما ،
ان نضال الشعب المتعاظم ،
سوف يعيـد توازن كـل الاشيـاء
اما ان يقفوا في جانبنا
او يقفوا بغباء .. وعناد في صف الاعداء
حينئـذ ،
سوف تكون الحرب اثنين

Digitized by Birzeit University Library

ضد الوحش ، وضد الخونة والامراء
فهم وقت السلم سيوف فوق رقاب الشعب
وهم وقت الحرب ،
غصون تورق في كف الاعداء
(يقف الاثنان ·· يتصافحان)

خالد : الى لقـــاء ··

جاسم : الى لقاء ·· (يخرج خالد تاركا جاسم لتأملاته)
(جاسم يرنو ببصره الى البعيد ، مناجيا نفسه)
قد عشت امني النفس بان ينحاز الينا الشعب
ان ينصرنا ،
ان نسمع منه صيحات الحرب ب
(تدخل فيحاء ترقبه دون كلام ··)

جاسم : (مستمرا في المناجاه)
اني المحه اليوم كمن يتدفق من شلال
يخترق جدار الصعب ··
الشعب ،
النور ،
الفجر ،
الشمس
ينير الدرب ،
يفتح ابوابا مغلقة · ·لا يفتحها غير الشعب
الشعب جبال تصمد في وجه العاصفة الهوجاء
(لحظة صمت)

فيحاء : (منادية في مناجاه)
جاسم !··

جاسم : (ينتبه لوجودها) فيحاء !

فيحاء :
طوبى للواقف في ظل سيوف الشعب
طوبى للواقف في ظل سيو ف الشعب

Digitized by Birzeit University Library

ـ « اللوحـة الخامسة » ـ

المنظر : يبدو المسرح اشبه بمعسكر اقيم على شاطىء النهر ٠٠ حيث يرقد الوحش الرهيب داخل خيمته في انتظار زيـارة الامراء له ٠٠ الوحش يبدو في قناع رهيب متنافر الملامح ٠٠ يحمل صوتا جهوريا مخيفا ٠٠ عند بدء اللوحة يخرج التنين مـن خيمته وهو يصدر اصواتا مزعجة ٠٠ يزرع المكان ذهابا وجيئة في انتظار موكب الامراء وعلى رأسه كبيرهم)

الوحش : (يحادثنفسه بصوت مرتفع وهو يدق بيده على صدره) ٠٠

ها انت تحقق حلما كان خيال
حلما ٠٠ راود نفسك من اجيال ٠
ها انت تدب بقدمك فـوق الارض ،
الحلم ،
الامل ،
بدون قتال

تشرب من ماء النهر ٠٠ وتسخر من تكبير بلال
فمآذن هذي الارض تهاوت ٠٠ صارت طللا ،
تنعي سلطان الامراء

قد كنت تمني النفس بنجم ،
تحلم يوما ان تقطفه ،
لكن كانت تقف بوجهك الف سماء
امـــا اليـوم ٠٠٠
فانت تمـد يـدك لتقطف بـدل النجـم ،
مئات ،
الفـا ،
دون عناء

فليحيا امراء العصر ،
وليحيا كـل الامراء
(يضحك من اعماقه ضحكات وحشية هستيرية)
(بعد برهة يدخل حارس في هيئة وحش صغير ليعلن مقدم موكب الامراء)

Digitized by Birzeit University Library

الوحش الصغير : سيدي ،
قد وصل فلول الامراء
(يهرول الوحش الى جانب الخيمة ـ يبدو
موكب الامراء يتقدمه كبيرهم ـ يدخل الركب
الى اللوحة على ايقاع نشيد جنائزي ٠)

الوحش : (وقد عانقه كبير الامراء)

اهـلا بالقوم الشرفاء
(يصافح الاخرين)

كبير الامراء : اهلا بـك انت ٠٠
كم كنت اتوق الى لقياك بأي مكان

الوحش : (ضاحكا) والان ؟؟

كبير الامراء : يتحقق حلمي

الوحش : (سـاخرا) دون نزل ٠٠ دون طعـان
(يقهقه ضاحكا)
(يدعوهم الى الجلوس ارضا خارج الخيمة ، امعانا في اذلالهم
٠٠ بينما يتولى كبير الامراء الرد)

كبير الامراء : برهاني اني جئت اليك بغصن سلام
وكفانا مـا اخذته يد الايام ،
قد عفنا السيف ٠٠ وحمل السيف ،
وآن لشعبي ان يرتـاح ٠٠
عـن نفسي
عـن شعبي
قد اغمدنا السيف ، ولن نشهره بعد الآن

الوحش : هذا امر لا يأتيه سوى الشجعان

كبير الامراء : بورك فيك ،

Digitized by Birzeit University Library

وبورك خطوك فوق الارض
قد جئنا نبغي منك سلاما ،
يفرد فوق النهر جناحا ،
ليظللنا ·· نحن وانت
انت تعيش الى جانبنا
(يحاول اعادة صياغة الكلام بشكل اخر)
نحن نعيش الى جانبك
تحت سماء لا تقلقها النيران
(بعد لحظة)

الوحش : (في ثقة) هذا غاية ما نرجوه ··
لكن ····

كبير الامراء : (مقاطعا) لكن ماذا ؟؟ !!

الوحش : مـاء النهر

كبير الامراء : (مقاطعا مرة اخرى) لا ···· لا شيء
ان تعطينا ماء النهر ،

وتمنح انثى كـل مساء

الوحش : (باعتداد) هذا امر صار الينا منذ زمان

كبير الامراء : امر واقع ·· اعلنـاه

الوحش : طبعـا ·· طبعا
لا يحتاج الى بينة او برهان
(بعـد لحظة)
لكن لم نتحدث بعد عن الشطآن
ما شيدنا بالشطين ؟؟
رمـز حضارة هـذا الجيـل
هـل نتركـه ؟

الامراء : (في نفس واحد)
لا ·· نقبل نحن بما ترضاه

Digitized by Birzeit University Library

الوحش : نحن نقدم ماء النهر ،
ونبقى حرســـا للشطآن
نحمي الارض بحـد السيف ،
ان فكرتم او هددتم بالعدوان

الامراء : (في نفس واحد ايضا ٠٠ باستنكار)
نحن نفكر في العدوان ؟؟

كبير الامراء : ما فكرنا ان نستنطق حد السيف
الجمنـــاه
اخرسناه
(متفاخرا) بل حرمنا حمل السيف على الفرسان

الوحش : نحن نقدر هذا فيكم ،
نحـن لدينـا مـا يحميكم
مـا يحمينا ٠٠ نحـن جميعا
نحـن لدينا مـا يبهركم ،
عـلم
فـــن
ادب ،
كـل حضارة هـذا العـالم
صنـع يدينـــا
هـل يرضيكم منـا ورثته شعوب الشرق :
فقر
مرض
جهل
نحن نمد اليكم يدنا ،
كي نرفعها عن كاهلكم
(بحزم) كنا نحن دعاة السلم ،
وكنتم انتم صيحة حرب

كبير الامراء : بـــل ٠٠٠ معذرة
كنا نبني من رهبتنا الف جدار

Digitized by Birzeit University Library

كنـا نخشى اي لقـــاء ،
كانت جذوة نار فينا
اطفاناها ،
كانت نزوة حقد طاشت ،
وقتلناها
حتى نبنى عش سلام
لا يتهدم

الوحش : نحن نبارك ما يبعدك عن الاحقاد
عن البغضاء
فلتجمعنا روح الحب ،
روح الود ،
روح الثقة
لا اعـــداء ،
لا تدميـــر
ولا شهـداء
(يهم الجميع وقوفا للانصراف) .. يتقدم كبير الامراء وهو يصافح الوحش)

كبير الامراء : فلنتصافـح ،
ولنتعـاهد ،
ان تجمعنا روح الحب ،
روح تعلو كل اخاء
(يتضاحكون جميعا ويخرج الموكب على نفس ايقاع الموسيقى الجنائزية) ..

Digitized by Birzeit University Library

اللوحـــة السادسة .

(المنظر) : في منزل خالد .. نفس الغرفة التي سبق ان اجتمع فيها كل من : خالد وحازم وجاسم)

جاسم : (الى خالد)
ها نحن اخترنا بيتك حيث الاعين ما زالت تبعد عنه

حازم : بل لا زال الامراء يظنون بانك تقف الى جانبهم

جاسم : وسكوتك عن اختك سلمى ،
يكبر فيهم هذا الظن

خالد : هذا خير

جاسم : وفداء لنضال اكبر ،
يتعاظم حين يدق العسس على الابواب ،
من اجل فتاة للتنين
(بعد لحظة)
فالعبرة ليست فيما تفقد من فتيات.
العبرة ان يتآلف كل الشعب
ان يتساند كي يتحرر .
فالمعركة مع التنين ،
تفتح بابا للمعركة مع الامراء

حازم : نحن نقدر هذا الامر ،
بل ونعد لكي يتوحد كل الصف

خالد : ان الشعب مراجل تغلي

حازم : ظن كلاب السلطة ان الشعب تمزق ،
ظنوا ان الامن تحقق ،
ان سيـاط السلطـة اقوى مـن سلطان الشعب

جاسم : والامراء ،
لا يدرون بأن عروش السلطة ،
نصبت في فوهة بركان

Digitized by Birzeit University Library

لا يدرون بأن الشعب يقدس فينا ،
صدق القول ٠
يدرك انـا اول من يقتحم الصعب
يدرك انـا حيـن نقول ٠٠ لا نتردد
يدرك انـا اول من يقتحم النار ،
حين تدق طبول الحرب

جاسم : خالد ٠٠ اين اميرك ؟؟

خالد : (مبتسما)
ليس اميري

جاسم : اقصد جابر

خالد : حين انشق على الامراء ،
ادرك ان الارض تباع الى التنين ،
بغيـر حساب
ادرك ان خراب الوطن على الابواب ٠٠
وهو لهـذا ،
يعرض جيشه ،
يعرض مـــاله ٠٠
يكشف ما خباه كل امير من اسرار

جاسم : (الى حازم)
ماذا عن اخبار الناس ؟؟

حازم : قلها الجنة اذ نبنيها فوق الارض
كل يدفع عرق اللقمة ،
ثمنا منه لدفن العـار

(بحمـاس)
لقد اجتمع الحدادون (مستدركا)
طبعـــا خلسة
حتى لا ترصدهم عين
وقـــد اتفقـوا
الا يصنع احدا منهم غير السيف

Digitized by Birzeit University Library

ويقدمه دون مقابل
شرط واحد
يقف كحد السيف القاتل
الا يحمل هذا السيف ٠٠ غير مقاتل

جاسم : (الى حازم)
اسمع ٠٠ حازم
انت عليك وصول السيف لكل مقاتل
اما خالد فليتول امر اميره

خالد : ليس اميري

جاسم : (باسما)
اقصد جابر
فهو قريب منك الينا
قد اولاك الثقة ٠٠ الحب ،
وآمن فيك بصدق الفعل ،
وصدق الكلمة
ولتعلمه بانا قد اعددنا العدة
وغدا ياتي اليوم الخالد ٠٠
يوم يكون خلاص الشعب ٠٠ من التنين ،
من الامراء

جاسم : (وكأنه يفكر في خطة)
حين تدق طبول الحرب
(الى خالد)
سيحاصرهم جيش اميرك
تحت قيادة فرقة حازم
سنحاكمهم باسم الشعب
(لحظة)
(الى حازم)
اما من يتمرد منهم
يقتل فورا ٠٠ دون جدال
(مشيرا الى خالد)

Digitized by Birzeit University Library

ـ « اللوحـة السابعـة » ـ

(المنظر) : نفس غرفـة الاستقبال المتواضعة في منزل جاسم ·· المكان خال ·· عند بدء اللوحة تدخل فيحاء مبتهجة ··)

فيحاء : جاسم
يـا جاسم
(يظهر جاسم آتيا من الداخل)

جاسم : قد جئت اذن ؟

فيحاء : وهي تعانقه
قد جئت وقلبي يملؤه موكب افراح

جاسم : لا بد وراءك انباء ترتاح اليها النفس

فيحاء : (وهي تلقي بنفسها على احد المقاعد)
صبرا يـا جاسم
واتركني حتى ارتاح

جاسم : (بعد برهة صمت)
هاتي مـا عندك من انباء

فيحاء : اليـوم ،
طفت بكل بنات البلدة ،
ممن اخطأن الدور
فتجمعـــن ،
وعقدنا العزم بأن نتصدى للتنين ،
وان ننضم لجيش الشعب ··
نعـــد الزاد
نضمد جـرح
نمد الجند بكل سلام عبر النهر

جاسم : (مبديا دهشته)
عبر النهر !! ··· لكن كيف ؟!

Digitized by Birzeit University Library

امـــا خـــالد والزمـــلاء
يتولون امور الشعب
لا تفريط
لا استســـلام ،
بل اعوام نضال تمضي
نحرم فيها طعم الراحة ،
طعم النوم
نحرم فيها احلا الزاد ،
يرخص فيها اغلا العمر
امـــا نصر ٠٠ يزهو ،
يخفق بالاعلام
اما موت ٠٠ واستشهاد

Digitized by Birzeit University Library

فيحاء : هذا امر ليس هناك ايسر منه
كـل الصيادين الآن مـع الثوار

جاسم : اعرف ذلك

فيحاء : (متسائلة)
وقواربهـــم ؟

جاسم : سوف تشد الى الشطآن
حين تحين ليالي الجد
(متســـائلا)
وماذا بعـــد ؟!

فيحاء : هذا مـا الهمنا اليوم ،
ان نتدرب ،
حتى نتقـن فـن عبور النهر بقارب صيد
نخفي فيه كل الزاد
كل سلاح
قد ينفعنا
لحظة ان تندلع النـار
فاذا انقطع المدد اليكم ،
عبر البر
كنا العون ،
الى ان نغسل هذا العار .

جاسم : هذا رائع يا فيحاء
كم اكبرت شجاعة نفسك ،
حين وقفت الى جانبنا ،
حيـن رفضت ركوع الشعب بكل ابـاء ،
فالمعركة لكل الشعب .. بكل الشعب
بالفتيـــات
بالفتيـــان
سوف تزلزل هذه الارض
سوف تحيل سماء الوطن الى نيران
سوف تطهر وجه الوطن من الادران

Digitized by Birzeit University Library

فيحاء : لكن قلي ،
ماذا جـد من الانباء

جاسم : صبرا ... صبرا
حازم آت .. وبجعبته كل جديد
(بعد برهة قصيرة يدخل حازم)

جاسم : اهـلا حازم

حازم : اهلا جاسم .. اهلا فيحاء
(يتخذ مجلسه بينهما)

جاسم : قل يا حازم ماذا جد ؟

حازم : امر مضحك .. مضحك جدا
امر يسخر منه الشعب .. في الطرقات

فيحاء : (مؤكدة) امر خاص بالامراء

جاسم : (معلقا) طبعا ،
فهم نكبة هذا العصر

وهموا اضحوكته ايضا

(يتضاحكون)

حازم : (مستطردا)
فكبير الامرا اليوم ،
اطلق في الطرقات مناد ،
يدعو الناس بان يبهجوا .
فالتنيـــن ،
قبل الصلح ،
قبل ان يتشاور دواما
ان يتصافح ،
ان يتزاور ،
حتى قـال :

Digitized by Birzeit University Library

حازم : (مقلدا صوت المنادي)
قد جنبنا ارض الوطن لهيب الحرب
بل الغينا كلمة حرب ،
من قاموس الجيل الآتي
ماء النهر .. سيصل اليكم
فالتنين ،
وعد بألا يحرم أحدا مـاء النهر

فيحاء : لكن !! هل ينخدع الشعب ؟

حازم : كـل الناس تعرف مـا يخفيه الوغد مـن الاسرار
تعرف ان العرض يباع الى التنين جهارا ،

جاسم : (معلقا)
بالمجـان

حازم : تعرف ان الارض تبـاع .. ولكـن في الكتمـان

جاسم : لن ينسى الشعب مآتم قد خلفها الوحش بكل مكان
لـن ينسى ما قد زرع من الاحزان
لن ينسى الامل ،
الحلم ،
النـور
وقد صلبوه على الجدران

حازم : لا ينسى الشعب كيف الحرب تدور رحاها ،
ضد الظلم .. القهر ،
الـذل ،
العيش المـر

كيف يحطم ما صنعوه مـن الاوثان
(لحظة يدخل بعدها خالد وهو يقلد في سخرية صوت
المنادي الذي انطلق في شوارع المدينة)

خالد : امر كبير الامراء ،
بـأن يبتهج الشعب ،

Digitized by Birzeit University Library

فالتنين قبـــل الصلح
قبـل بـأن نتصافح
أن نتزاور ،
أن نعطيه وان يعطينا دون قتال

(يتضاحكون)

خالد : هذي والله امور لا يقبلها الا نذل

فيحاء : لا يقبلها غير جبان

جاسم : (محاولا تخفيف وقع الكلمات)
هـذي كوميديـا ،
لا يكتبها غير ارستوفان
(يعودون للضحك)
(مرة اخرى ياتي صوت المنادي يسمع من الخارج)
أمـر كبيـر الامراء

فيحاء : (انه صوت المنادي)
(يسود الجميـع الصمت)

المنادي :
أمر كبير الامراء
ألا يحمل أحدا سيفا ،
او سكينـا ،
او هـراوة ،
ومن لا يخضع للاعلان ،
يشنق ،
في أعـلا سارية في الميدان

Digitized by Birzeit University Library

ـ » اللوحـة الثامنـة « ـ

(المنظر) (حجرة الاستقبال في منزل جاسم ·· فيحاء جالسة ·· بينما يزرع جاسم الغرفة ذهابا وجيئة)

فيحاء : ما بالك لا تجلس حتى يأتي الرفقاء ؟

جاسم : بي قلق يا فيحاء ،
لم اعرفه قبل اليوم
اسمعت مناديهم بالامس ؟

فيحاء : (تنطلق مقلدة المنادي)
أمر كبير الامراء
الا ينطق احد حرفا ضد الوحش
ألا يرفع احد يده ضد رجاله
أن يتعامل كل الناس مـع التنين
دون هواجس
دون مخـاوف
دون نزاع ··
ومن لا يخضع للاعلان ،
يشنق ،
في اعلا سارية في الميدان

فيحاء : تقصد هذا ؟··

جاسم : هذا ما اقصده ·· لكن ؟

فيحاء : لكن ·· ماذا ؟
هذا لحن لا يعزفه الا شخص اجوف خائف
قـد اعجزه ان يلتئـم الجرح النـازف

جاسم : هذا حق ·· لكن ما يقلقني ايضا ··
أمر اميرهم المنشق

فيحاء : تخشى ان يرتد علينا وقت الجد

Digitized by Birzeit University Library

(قبل ان تجيب)
لا ·· لا تقلق
خالد يحمل خبرة عمر
ثقتي فيه ··
تعدل ·· حتى ثقتي فيك
خالد يملك بين يديه حسم الامر
(برهة صمت يدخل بعدها خالد وحازم وبصحبتهما جابر الامير المنشق)
(يتصافح الجميع بحرارة ·· وتهدأ نفس جاسم)

حازم : (بعد ان يستقر الجميع)
اسمع يا جاسم ··
قد دق الخطر الاجراس

جاسم : (متسائلا) والناس ··

حازم : قد حبس الناس الانفاس
فالحراس ،
وجواسيس الامراء
كجراثيم انتشرت في الاجواء
تحمل ميكروب الذل والاستسلام ·

خالد : لكن ·· والحق يقال ··
الشعب يقدر ما يحمله من اهوال
بالامس ··
(مشيرا الى جابر)
قـــل يـــا جابر
ماذا حدث برغم الكبت
برغم ليال حرّم فيها حتى الهمس

جابر : بالامس ،
انطلق البوق ينـــادي
الا ينطق احد حرفا ضد الوحش
أن يتعامل كـل الناس مـــع التنين

Digitized by Birzeit University Library

دون هواجس
دون مخاوف
واذا الناس كطير جارح
ينقضون عليه بغل ٠ ٠لم اشهده قبل اليوم ،
بأياديهم
بالاقدام
حتى خرس البوق الكاذب

جاسم : تلك شرارة ٠٠
قد اشعلها الشعب الغاضب
منها قد تندلع النار ٠٠

حازم : فلنمسكها ٠٠ فورا ٠٠ قبل فوات الوقت

خالد : ان الشعب اليوم مهـان

فيحاء : وكرامته قد بعثرها بغي الحاكم في الطرقات

جاسم : فاذا لـم نمسكها الآن ٠٠
ضاعت منـا فرصة عمر

خالد : ماذا تقصد ؟

جاسم : ان الساعة في صالحنا
كل الشعب الان مهيأ للعصيان

خالد : والحكـام ،
قد يرعبهم ما قد حدث لبوق الامس

جاسم : وستنقض سيوف الرعب
املا منها في ان تخرس صوت الشعب
وارى الحل ،
بان نتحرك ٠٠
كل منكم يحزم امره
يدرك دوره ٠٠

Digitized by Birzeit University Library

ومع الفجر ،
سوف تكون « الكلمة نصر »
امر يزحف بالعصيان

حازم : نصر

خالد : نصر

جابر : نصر

فيحاء : نصر

يأتي صوت المنادي فجأة مرة اخرى ·· يقف الجميع في ذهول ··)

المنادي :

ان كبير الامراء
يعلن فيكم
ان الوحش
عاد يماطل
عاد يهدد ان يحرمنا ماء النهر
ان لم نقبل
ان نمنحه بعض الارض
يحكم فيها كيف يشاء
.....
ان كبير الامراء
يعلن فيكم
ان السلم
يتهدده طمع الوحش
وهو لذلك ،
قد يضطر لحمل السيف

جاسم :

(في غضب) هذا الوغد ،
يصب الماء على النيران ··
يعرف كيف يجيد اللعبة
يدرك ان الارض امتزت في قدميه ، فعاد يناود

Digitized by Birzeit University Library

عاد يحاصر نارا قد يشعلها الشعب ،
ضد العرش
ضد الوحش

(للجميع)

فلنشعلها نارا تحرق ،
نار تسحق عار الامس
يومض فيها حد السيف
حتى يشرق نور الشمس ..

الجميع : العصيان ..
العصيان ..

جاسم : حانت كلمة نصر الان ..
(تسمع اصوات من الخارج تردد)
ما قد اخذ بحد السيف
سوف يعود بحد السيف

جاسم : (مبتهجا) حانت كلمة نصر الآن
صبوا الزيت على النيران !..
صبوا الزيت على النيران !..
صبوا الزيت على النيران !..

« ستار الختام »

Digitized by Birzeit University Library

مجلة الكاتب الفلسطيني

وجميع الكتب الصادرة عن الاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تطلب من موزعها في لبنان :

دار الكاتب ـ بيروت

بيروت ـ خندق الغميق ـ شارع الشدياق
ملك عسيران ـ تلفون ٢٩٢٨٧١

Digitized by Birzeit University Library

ملف القصة

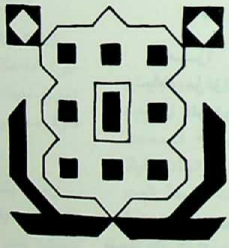

Digitized by Birzeit University Library

المدن الساحلية

قصّة : محمد كامل الخطيب

١ ـ نحو الداخل ـ

عندما اشترى دفترا هذا المساء ، لم يكن في ذهنه الواعي وجه معين لاستعماله ، لكنه ، وبعد ان اغلق الكتاب الذي كان يقرأ فيه ـ وكان ذلك حوالي الثانية عشر ليلا ـ فتح الدفتر ، وبدأ تلك الليلة يكتب ·

. . . . . .

٥ كانون الاول

تهاجر المدن والاحلام
لكنها في ليالي الشتاء
تستوطن الذاكرة

١٦ كانون الاول

تركض الوعول والاطفال
كذلك السنون والارانب
تهرب الحياة

. . . . . .

في الصباح خرج من البيت ، ذهب الى مقهى المنشية ، تناول فنجان قهوة ، ذهب الى طلابه ·

٢٢ كانون الاول

ما معنى الخواطر التي دونتها في هذا الدفتر منذ أيام ؟ هل بدأت في كتابة مذكراتي ؟ لدي رغبة في ذلك ، وسأفعل لكن لماذا يكتب الان مذكراته ؟ هل احسب نفسي عشت ورأيت كثيرا ؟ اذكر انني في شبابي ، كتبت دفتري مذكرات ، كان ذلك لان جهان طلبت ذلك ··· لو استطيع الان ان أحصل على الدفترين اسأل نفسي مرة أخرى : لماذا اريد كتابة مذكرات ؟ ··· لا أعرف ·

٢٥ كانون الاول ١٩٧٢

سامرا
بابك ما زال منتظرا
خيل المهدى القادم من
بحر الاحزان

. . . . . .

خرج من المدرسة ، مر على المنشية ، شرب فنجان قهوة تغدى في المطعم الذي اعتاد ان يتغدى فيه أحيانا ، ذهب الى البيت ·

. . . . . .

٢٨ كانون الاول ١٩٧٢

اليوم قيل لي أن المدير ضرب طالبا في الصف الثالث ثانوي انني ضد هذا ··· لماذا لم أفتح الباب وأدخل على المدير واقول له : مهما كانت الاسباب ، من الخطأ أن تضرب شابا ·

Digitized by Birzeit University Library

٣٠ كانون الاول ١٩٧٢

اليوم فكرت بالماضي كثيرا ، بين فقرات الكتاب الذي كنت اقرأ فيه ، كنت ارى شريطا مصورا للماضي ، فكـرت كثيـرا بجهان والسجن وماضي السياسي .. كانت صورة جهان متسلطة علي مخيلتي ترى اين صارت الان ؟

. . . . . .

((بـلا تاريـخ))

للمرة المائة ـ ربما ـ سمعت هذه الليلة السمفونية الخامسة ، لكننـي هـذه الليلة شعرت أن شيئا ما ، غيمة سوداء أو بيضاء لم أستطع تمييز اللون ـ تقترب مني وأنـا احاول الهرب منها انتهت السمفونية وشربت كاسا من الشاي .

. . . . . .

خرج من المطعم ، دخل غرفته ، اشتغل حوالي ساعة في تصحيح دفاتر طلابه ، ذهب الى الرصيف البحري المقام حديثا في البلدة كان نهارا ممطرا ومع هذا ، سار في طريقه اليومي المعتاد .

. . . . . .

٤ كانون الثاني ١٩٧٣

ليلة رأس السنة شربت مع علي وسليمان وعزيز وجورج ، شربنا وكالعادة بدأ الحديث عـن السياسة ، وانتهى بالنسـاء احسست نفسي بينهم وحيدا : في الساعة الثانية ليلا سرت في شوارع البلدة ، كانت جميلة تحت اضواء الكهرباء . مطـر وضوء وبحـر وشوارع هذه البلدة تجعلني احس انني فـي حلم طويل ... وعندما أويت الى فراشي أحسست بالحاجة الـى المـرأة .. وقبل ان اغلو برز في مخيلتي وجه جهان .

. . . . . .

٧ كانون الثاني ١٩٧٣

في غرفة المدرسين كانوا اليـوم يتحدثون ـ على عادتهم ـ عن ارتفاع الاسعـار وان الوضع لا يحتمل والراتب لم يعد يكفي وكنت اتذكر في يوم مثل هذا اليوم ، وكنا فـي الغرفة نفسها نتحدث الحديث نفسه تقريبـا اعتقلوني ، وابقونـي عشـرة أشـهر في ضيافتهم .

. . . . . .

من الرصيف البحري ، اتجه نحو شارع المشبكة ثم انعطف باتجاه مكتبة السوريتي ، دخل ، اخذ بعض الصحف والمجلات ـ على عادته ـ بحث عن كتاب جديد ، فلم يجد .

٩ كانون الثانـي

عمري ثمانية وثلاثون عاما تقريبا ، ماذا حققت حتى الان ؟

١٠ كانون الثاني

مـاذا فعلت بحياتك ايها الرجل ؟

. . . . . .

خرج من مكتبة السوريتـي ، سار نحـو المنشية ، دخل المقهى كان هناك الاشخاص أنفسهم .

ـ أهلا حسين .

ـ مرحبا يا شباب .

كانون الثاني

للمرة الثانية أحس بغيمة بيضاء ـ هـذه المرة أنا متأكد انها بيضاء ـ تلاحقني ، وانا اهرب منها وهي تلاحقني ، تلاحقني طـوال فترة سماعي السمفونية الخامسة .

١٥ كانون الثاني

راتبي يكفيني ، أنا واخي وأمي ، عنـدي كتب وموسيقى ، وكان لـي اصدقـاء ، في مدينتي بحر وشوارع جميلة ومقهى هـادىء ثمة اماكن جميلة باستطاعتي ان اذهب اليها وأصور فيها أيام الجمع المشمسة والعطل ، لكني مع هذا أسأل نفسي : لماذا ترتفع الاسعار هكذا ؟ الذين لديهم بدل كتبـي وموسيقاي اطفالا ماذا سيطعمون اولادهم . ؟ ماذا يفيد كل هذا ؟

١٨ كانون الثاني

لقد اصبحت بعيدا عن الناس .. هل انا ابتعد أم ـ هم ـ الذين ابعدوني ؟

Digitized by Birzeit University Library

٢١ كانون الثاني

اليوم ذهبت الى مكتبة السوريتي ، بعد ان جلست قليلا ، خرج هو لعمل قصير ، وتركني وحيدا ، دخلت امرأة الى المكتبة احسست انني ارتجف وانني خائف بقيت ارتجف حتى دخل السوريتي باعها دفتر رسائل ، بعد ان خرجت احسست نفسي هادئا .

. . . . . .

دخل المقهى ، كان هناك رفاق اللعب جميعا

ـ أهلا حسين .

ـ مرحبـــا

ـ سنلعب اليوم كون كان

ـ أبو وحيد ... أعطنا ورق لعب

ـ أربعة قهـــوة

جلس قبالة سليمان وبدأوا اللعب

. . . . . .

٢٥ كانون الثاني

الى أين أســـير

٢٧ كانون الثاني

اليوم كنت أحاول ان أبين لطلابي اهمية طه حسين وكتابه في الادب الجاهلي ، بشكل خاص ، قام أحد الطلاب وقال لي : لكنه ملحد يا استاذ ... قبل ان أنام سأسمع النـزوة الايطالية هذه الليلة .

٣٠ كانون الثاني

اليوم سمعت ان رئيـــس البلدية ارتشى بمبلغ كبير من أحد الاقطاعيين السابقين ... اذا تحدثت بهذا سيقولون عني موتور .. انت ضد الحكومة .. انت من بقايـــا العقلية السابقة .

٤ شباط

اليوم لاحظ علي سليمان بانني اهمل ثيابي وحلاقة ذقني ، وانه يخشى ان يكون هذا بداية الشيخوخة ... ضحك الحاضرون يبدو انني كبـرت .

٩ شباط

امس شربت نبيذا في الشاطىء الازرق ..

كان رأسي يتوقد .. كنت فرحا .. لكنني اطفأت فرحي في الفراش .. لو كان هناك امرأة لفرحي .

١٣ شباط

أريد أن أفعل شيئا .. لكن هل عجزت

١٥ شباط

هذا الشعر الحديث .. انني احبه ... وكيف استطيع جعل طلابي يحبونه ؟

١٨ شباط

أليس هناك عمل أكثر جدوى من التدريس ؟

. . . . . .

خرج من المقهى ، دخل احدى الخمارات ، شرب كأسا من النبيذ . اشترى زجاجة نبيذ ، ذهب الى غرفته وحيـــدا حـاول ان يكتب شـعرا .

. . . . . .

مشاعري متضاربة بين الحب والكره لهذه المدينة ، ولهذا العالم .

٢٣ شباط

يسير على اي شخص ان يقول عني مثقف برجوازي عاجز .. وربما اكون هكذا ... لكنني في مـأزق ، واحس نفسي سـائرا في طريق النهاية .

٢٦ شباط

منذ مدة وأنا اعيد قراءة الجبرتي ... لانني أجد فيه ما يرضيني ويشعرني بالاقناع والراحة .

٢٨ شباط

اليوم أحسست ان ضميري زائدة دودية ... تراودني افكار تذكرني بافكاري وقـت الشباب .

٣ اذار

اليوم حدقت في وجوه طلابي ، حاولت ان

Digitized by Birzeit University Library

استطلع مستقبلهم في وجوههـم ، وجوههم كانت صامتة سوى واحد ، فكرت ان أصيح بهم : اهربوا من هذه المدرسة ، لا تضيعـوا حياتكم على هذه المقاعد ... بيني وبين نفسي سخرت من فكرتي الجنونية هذه ... لكنني كلما فكرت بها وجدتها اقرب للصحـة .

٦ اذار

يلح علي في هذه الايام ،تفكير بالمستقبل مستقبل بلدي ومستقبلي الشخصي ... اظن انني انتهيت شخصيا ... لكنني كلما فكرت بمستقبلي قفز الماضي الى ذهني .. وتمثـل لي بجهان واخي والرفاق المنتهزين والسـجن والبحـر .

. . . . . .

هذا اليوم ، لم يذهب حسين عبد اللطيف الى المقهى ، بل ظل جالسا في غرفته ، لا يفعل شيئا .

٩ اذار

ذهبت الى بيت اختي ، سررت باولادها .. قالت لي بانه قـد آن الاوان لزواجـي ... وانني كبرت ... صحيح يبدو انني كبـرت سررت لانني لم أجد صهري في البيت .

١٢ اذار

مدار تفكيري هذا اليوم كان : لماذا لـم اتزوج .

١٣ اذار

اليوم كنت اشرح لطـلابي قول العرجي :

اضاعوني واي فتى اضاعـوا

شعرت انني اتحدث عن نفسي ، وربمـا عن جيلي كذلك

١٦ اذار

طوال هذا الاسبوع وانا اسال نفسي ... فعلا لماذا لم اتزوج .. يجب ان أجيب نفسي على هذا السؤال .. لا اعرف بالضبط ... ربما لانني انكفأت على نفسي بعد تجربتي الغرامية الفاشلة مع جيهان ، ربما لاني بقيت مع أمي ... ربما لم أجد فتـاة تعجبني واعجبها .. ربما .. ربما .. ربما لكل هذه الاسباب .. لا أعرف .

١٨ اذار

اليوم أرسل لي اخي علي رسالة ... انه يشكرني فيها على النقود التي ارسلها لـه ليكمل دراسته الجامعية ، ويقول عني انني مناضل . مناضل في سبيل الوطن واهلـي وانه يتخذ مني نموذجا ... اخشى ان يكون هذا صحيحا وان يكون مثلي . وبالتالـي يكون مصيره مثل مصيري ... هل سيكـون جيله مثل جيلي ؟ .. اتذكر الان نفسي عندما كنت في مثل سنه .

١٩ اذار

اليوم التقيت برجل في الشارع ... نظر الي ونظرت اليه بدا ان كلانا يعرف الاخر .. بعد ان وصلت الى البيت تذكرت انه الرجل الذي حقق معي عند دخولي السجن والقـى علي محاضرة عند خروجي من السجن .

((بلا تاريـخ))

على الرغم من أن صهري مدرس فلسفـة فما من قوة في الارض قادرة على اقناعـي انه ليس خطرا ... جاء الـي ليقنعني ان الغزالي فيلسوف تقدمي ، وان الحكم الحاضر ممتاز ... كان في نيتي ان اقرأ اليوم كتاب دوينشر عن المسالة اليهودية .. جاء الصهر العزيز وبقي ساعتين .. مـن قـال لـه ان ياتي ؟ اشك احيانا انه يتجسس علي .

٢٥ اذار

الاسم : حسين عبد اللطيف .

مكـان وتاريخ الولادة : دوير الليـل محافظة طرطوس ١٩٣٤

العمل : مدرس فـي ثانويـات طرطـوس الرسـمية .

في عيد ميلادي الثامن والثلاثين لا يمكنني ان افعل اكثر من أن اشرب نبيذا واقـرأ

Digitized by Birzeit University Library

شعرا للسياب - رمز جيلنا - واكتب هذه البطاقة لنفسي ... ايه . لقد كتبت شعرا اليوم .

٢٧ اذار

احس رغبة في كتابة الشعر الان ... هل هذه عودة الى نزوات الشباب ؟ .. سأحاول الاستجابة لرغباتي ..

كتبت شعرا كذلك اليوم .

٣٠ اذار

اليوم في المقهى وربما للمرة العاشرة قال لي عزيز انني سقطت على الدرب ، لم افعل اكثر من الابتسام ومتابعة اللعب .. لكنني في طريقي الى البيت لمت نفسي لانني لم ابصق في وجهه وأقل : أين كنت أنت يوم كنت في المزة عام ١٩٥٣ وعام ١٩٦٢ بل وعام ١٩٧٢ ... اشعر انني اصفع كلما رأيت واحدا من هؤلاء الانتهازيين الذين وصلوا على اكتاف امثالي

٦ نيسان

اشعر بالحاجة الى المرأة ... وجه جهان في مخيلتي .

٨ نيسان

ماذا يحدث في هذه البلاد يا ترى ؟ اليوم خربشت شعرا .

١٠ نيسان

للمرة الالف اشرح لهم انني لست مع القيادة السابقة انني ربما اكون ضدها ... لكنني لا ارضى ولا يمكن ان ارضى عن الاسلوب ، عن الشكل الذي ازيلت به .. كان يجب ان يتركوا الفرصة للقواعد وللديمقراطية لتغيير ... للمرة الالف كذلك يقولون انني مثالي اتمسك بالشكليات او انني اناور .. لانني من اتباع العقلية المناورة .

١١ نيسان

.. وانت في غابة الاسماء

يا حبيبتي : وطن

١٢ نيسان

كذلك اليوم عرضوا علي العودة الى الحزب ، وان اكون مديرا للتربية رغبوني كثيرا ، وفي النهاية هددوني .. اعدت عليهم معزوفتي واعادوا علي صداها عندهم ... قلت لهم انني تركت السياسة .. نادوني يا رفيق ... عندما سجنوني العام الماضي لم أكن رفيقا .

١٣ نيسان

اليوم خربشت قصيدة ... لا أعرف لماذا شعرت بالخجل بعدها وكدت امزقها .

١٥ نيسان

اليوم أنا متأكد تماما انني احببت جهان وان تجربتي الفاشلة معها هي التي منعتني من حب غيرها .

١٧ نيسان

يجب أن اقولها بصراحة لنفسي : اذا كنت انتهيت حقا فالسبب هو انني سرت منذ البداية في طريق يوصل الى هذه النهاية ،لكن هل انا مستعد للاقتناع بهذا في غير هذه اللحظة .. وحتى هذه القناعة ماذا تفيد .. لقد انتهيت حقا .

١٩ نيسان

ما تزال في العالم افراح تملأ القلب .. لكنها تبدو لي مثل مهدئات الاعصاب .

٢٠ نيسان

ترتدي الاحلام ثوب الذاكرة

٢١ نيسان

ترتدي الاوهام ثوب الذاكرة

Digitized by Birzeit University Library

٢٢ نيسـان

اليوم لم ارتح في المقهى ... يبدو لي انني مللت هذا التكرار المسئم حتما لن اذهب غدا .

٢٣ نيسـان

عادل عبد الله ... هذا الطالب في الصف الثالث ثانوي ، سيكون له مستقبل جيد .. انني اسجل هذا في مذكراتي واحفظ وجهه جيدا الوحيد الذي اقرأ في وجهه مستقبلا مشرقا من بين كل طلابي .

٢٩ نيسـان

اليوم سألني عادل عبد الله بكم سيصبح كيلو الخبز بعد عام .. هل كان سؤاله خبيثا ام نتيجة اهتمام بالواقع ؟ .. مرة ثانية اكتب في هذا الدفتر ... لهذا الشاب مستقبل

٣٠ نيسـان

اليوم سألني سليمان : لماذا ما عدنا نراك في المقهى .. قلت له انني مشغول .. لم يقتنع بجوابي .. معه حق .. لكنني لم اجد رغبة في توضيح الامر له .. خاصة انه قال : لكنك تذهب الى مقهى البحر .

٢ ايـار

مقهى ابي عادل على الرصيف البحري الجديد ... اصبحت ارتاح عندما اجلس اليه كل مساء أراقب البحر وارواد والسائرين .. اليوم رأيت عادل عبد الله يسير مع فتاة على الرصيف ... الزوارق جميلة .

٣ ايـار

انتي ازداد مع اقتراب الصيف والعطلة انعزالا عن الناس والتصاقا بالبحر والكتب ونفسي ... اتذكر الان قول اليوت :

علمنا ان نبالي
والا نبالي

٤ ايـار

البحر رائع ..... من اعماق الذاكرة تذكرت

ما احسن العيش لو أن الفتى حجر
تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

اليوم كذلك ... كتبت شعرا

١٦ ايـار

وكان البحر مرأة ليأسي بودلير

١٦ ايـار

انني احبك .. احبك يا جهان

٢ ـ البداية

لم اوراقه وصحفه ، ووضع على الطاولة ثمن فنجان القهوة ثم سار باتجاه الرصيف البحري الذي يفصله عن المقهى عرض الشارع فقط ، بدأ مسارا يوميا مكررا من المرفأ الصغير الذي يحمي زوارق الصيادين والمسافرين الى ارواد حتى مقابل ثانوية الصناعة ... كان الرصيف مزدحما بالناس مجموعات ومثان لكنه كان ـ ككل مساء ـ يسير وحيدا وسط الجمع ، محييا هذا وسارقا نظرة من تلك . يبتسم حينا ، وأحيانا يعبس ، وفي كل الاحوال يبقى وحيدا مراقبا البحر والناس مفكرا بأفكار مثل : لماذا لم اتزوج ؟ ماذا حدث لجهان ؟ هل سيستمر طريق حياتي هكذا ؟ النهاية من كل هذا ؟ لماذا يأتي الناس ـ وانا ضمنهم ـ كل مساء ليسيروا هنا ؟ ماذا يحدث في هذه البلاد ؟ لماذا لا يحتج هؤلاء الناس على غلاء الاسعار وقلة الاجور ؟ ... كان احيانا يفكر بالماضي ومرات بالمستقبل ، وعندما يضبط نفسه مفكرا بالحاضر يهرب نحو الماضي وجهان ... قل ذهابه الى المقهى النشيئة وازداد انعزاله بنفسه وبالكتب والموسيقى وبأوراق يسمي ما يكتب عليها قصائد واحيانا مذكرات وخواطر ، وفي الايام الاخيرة ـ والفصل

Digitized by Birzeit University Library

صيف ولا عمل لديه ـ بدأ لعبة كتابة جديدة ، بالطبع هو لا يعرف اسمها الحقيقي ، او ابعادها ، وبداية اي شيء يمكن ان تكون .. هذه اللعبة ... حتما هو لا يدرك الاسم الحقيقي بل وخطر هذه اللعبة ، لكننا ـ نحن الذين يعنينا امره ـ نعرف ونأسى لكن التيار اقوى من هذا الزورق ، فمنذ عشرين عاما بدأت ـ وما تزال مستمرة وبقوة ـ عملية نحر وانتحار واجهاض اجيال ... يا حسين عبد اللطيف .

. . . . . .

اواخر الليل ، وبعد ان تيقن انه انفرد بنفسه تماما بدأ يلعب لعبته الجديدة ... بدأ يكتب .

حبيبتي جهان

ثمة موضوع اتمنى لو استطيع مناقشته معك ، كنت ارغب لو نستطيع ، ان نجلس معا ونتحدث فيه ، فكرت بالكتابة اليك وانا اود ان اسألك رأيك حول تبادل الرسائل ، لدى رغبة متابعة حوار ـ هل اقول علاقة ؟ بدأ بيننا منذ زمن ، ان كان وضعك الشخصي ما يزال كما كان وقتها ، وارجو اخباري على العنوان المذكور ان كانت لديك رغبة مماثلة ، أو انك تعتبرين الموضوع منتهيا

أمل ان توافقيني الرأي ، انه من المفيد لكلينا ـ وليس هناك مخاطرة ـ ان يكون بيننا علاقة ـ هل أقول جديدة ـ وانا لا اتوهم نتائج مسبقة انما انطلق من مسلمة ـ هل هي صحيحة يا ترى ـ وهي اننا ـ كلانا ـ نملك وعيا كافيا لمتابعة السير في طريق بدأناها معا ... ما عدنا نملك وقتا للتصرف كالسابق . ما رأيك ؟

حسين

عنواني : طرطوس ـ مقهى البحر ـ يصل ليد حسين عبد اللطيف

حبيبي حسين

منذ زمن ـ يخيل لي ـ انني انتظر رسالة منك ، وها قد اتت ، كذلك انا اتمنى لو كنا نستطيع ان نجلس معا ونتحدث لدى رغبة مثل رغبتك بعودة ـ أم أقول بدء ـ العلاقة بيننا

هل من الضروري ان أقول لك انني كنت طوال السنوات السابقة افكر فيك ، واشعر بالحاجة اليك فأهرب من ذكراك الى اعمال تنسيني اياك ... لكن لا جدوى فانت في مخيلتي حيثما ذهبت ، ومهما فعلت ... في الليل عندما اسمع الموسيقى اراك وفي الليل عندما اكتب مذكراتي .. اراك .. واشعر بنفسي اكتب لك .. اكتب لي .. كيف تعيش ؟ ... كيف تقضي وقتك .

حبيبتك جهان

. . . . . .

حبيبتي جهان

كنت اعرف انك ستوافقين ... ما زرعناه في الماضي لن يضيع وبذارنا لن تأكله الطيور .. سررت برسالتك .. ووجدتك فيها ... هل أقول وجدت نفسي كذلك ؟ طوال السنوات السابقة ـ انا كذلك ـ كنت افكر فيك ... حالتك نفسها كنت اعيش هل اقول كنا نعيش حالة واحدة .. كنا معا .. بل ربما كنا واحدا .. انا انت وانت انا .. واحد ما زلنا واحدا وسنبقى ... ساكتب لك كل ما يحدث لي ... كيف اعيش وماذا أقرأ ... ومن أرى ... وانت اكتبي لي ... كيف تعيشين كيف قضيت السنوات السابقة ... لقد تذكرتك كثيرا وخاصة في الاوقات التي كنت احس نفسي فيها وحيدا ، كنت لي الملجأ ... لا داعي لان نتقيد رسالة برسالة ... كلما شعرت برغبة في الكتابة الي .. اكتبي لي ... انا كذلك كلما شعرت بالحاجة للكتابة اليك ساكتب .

حسين

Digitized by Birzeit University Library

حبيبتي جهان

اليوم استيقظت في التاسعة ، غلت لي امي فنجان قهوة قرأت حتى الثانية ، تغديت، نمت ، ووقت المغرب ذهبت الى مقهى البحر ، جلست اتفرج على الناس الذين يروحون ويجيئون وكنت اسائل نفسي : ما الغاية من حركتهم المعادة هذه ؟ عما يبحث هؤلاء الناس وما يريدون ... لكنني ، وبعد ان ضجرت من الجلوس قمت ونزلت بينهم وكررت معهم العمل نفسه

لو كنت معي كنا سرنا معا .. انني اسمع الان اغنية لفيروز .. لك حبي

حسين

. . . . . .

حبيبي حسين

اليوم استيقظت الساعة التاسعة ، شربت فنجان قهوة قرأت تغديت ، ووقت المغرب ذهبت مع احدى صديقاتي لشراء بعض الاغراض النسائية .. كان الشارع مزدحما ، وسألت نفسي ـ مثلك ـ ماذا يريد كل هؤلاء الناس ؟ لو كنت معي الان كنا سمعنا معا فيروز .

حبيبتك جهان

. . . . . .

حبيبتي جهان

انت رأيت البحر حتما ، لكن هل تعرفينه حقا ؟ هل يعني لك اكثر من اتساع مائي لا نهائي ؟ البحر نافذة والبحر فضاء البحر حمامة اليفة والبحر امرأة .

((ـ لكن لماذا تبالغ يا حسين

ـ يا جهان انا لا ابالغ .. انني أرى الاشياء هكذا))

هذه الليلة لم يستطع متابعة الكتابة ، قام الى فراشه ، أطفأ الضوء ونام .

حبيبتي جهان

اليوم ، بينما كنت ذاهبا الى مقهى البحر ، رأيت عادل عبدالله انه احد طلابي ، وأنا أرى له مستقبلا حقيقيا ، واحبه ، دعوته للجلوس معي ، جلسنا وشربنا معا قهوة ، كان مرتبكا ، فربما هي أول مرة يجلس مع استاذ له في مقهى ... بعد ان جلسنا سألني : اراك كل يوم على البحر ... ماذا يعني البحر بالنسبة لك ؟ قلت له : البحر يذكرني بقول بودلير : ... وكان البحر مرآة ليأسي . وانت تأتي الى البحر كذلك .. ماذا يعني لك .. قال : بالاذن من بودلير .. وكان البحر مرآة لاملي . قلت له ولكن البحر يرتبط في اذهاننا بالمستعمرين الذين جاؤوا عن طريقه .. قال الخنزير : وعن طريقه ذهبوا كذلك ...

انه شاب ممتاز ، وقد قال لي بانه يشتغل في الصيف عاملا في المرفأ ، اتمنى لو استطيع ان أراه كل يوم .. وقد دعوته لياتي غدا ... اتمنى لو تكونين معنا ... انني احبك يا جهان .. ليس لي غيرك .. لا احد احكي له عن حياتي الاك .. احك لي انت عن حياتك .. انني احبك .

حبيبي حسين

وانا كذلك اليوم ذهبت الى السينما مع احدى طالباتي ، وقد اعطتني كتابا قالت لي انه ممتاز وانها معجبة به واسمه : المرأة والجنس لنوال السعداوي وقد تحدثنا عن حرية الفتاة وارتباط ذلك بوضعها الاقتصادي وعن الاخلاق البالية عندنا فقالت لي : لم اكن اظن انه يمكن ان اتفق في الرأي مع احدى مدرساتي في نفسي كنت اشعر انني قد اتفق معها في الرأي ، وحتما انا متفقة ، ولكنني لا استطيع ان اتصرف مثلها .. اليست هذه مشكلة جيلنا يا حسين ؟ انني احبك يا حسين ، وامل ان تكتب لي دوما .

حبيبتك جهان

Digitized by Birzeit University Library

حبيبي حسين

((لكنه ، وما ان كتب هاتين الكلمتين حتى شعر بالتعب وانه لا يستطيع المتابعة ، وانه شديد الحاجة للنوم ، اغلق الدفتر ، خلع ثيابه ، استلقى على فراشه ، اطفأ الضوء ونام))

حبيبتي جهان

احس بفرح غامر ، اريد ان احوى هذا الكون بين ذراعي انني احبك يا جهان، واشعر ان السوغ الوحيد لاستمراري هو حبك ... ما اروع الحياة وانا احبك ... اليوم كان ضوء القمر ساطعا فوق البحر ... كان لونا رائعا ، وكانت النسمات هادئة شعرت برغبة جامحة لاحتضان هذا العالم ومعانقة البحر والقمر والاثير والتراب وجهان ... سألت نفسي ماذا كان سيعني هذا الجمال بالنسبة لي لولا جهان . انني احبك يا جهان ... اكتبي لي يا جهان ... اكتبي كل شيء يا جهان

حسين

حبيبتي جهان

كان مساء رخيا ، وكان البحر رفيقا يتلون سطحه كل دقيقة ومع كل خطوة تخطوها الشمس عبر سهوب البحر البعيدة ...وكان هناك عادل عبدالله .. او تذكرين ما كتبت لك عنه ؟ تحدثنا عن البرامج المدرسية والعام الدراسي القادم قريبا ، وجمال البحر .. قلت له : كلانا مرتبط بالبحر اجابني لكن ارتباطي عكس ارتباطك .. كان الملعون يبتسم وهو يضيف ، كل منا يرتبط بساحل ..فهمت ما يريد وشعرت انني لا املك الجواب ... اشعر بفرح عندما اجلس مع عادل واتمنى لو كان اكثر طلابنا مثله ... احبك يا جهان

حسين

.....

حبيبي حسين

كنت احس انني انتهيت ، وانني اسير في طريق مسدود حتى اتت رسالتك .. فكانت منارة ، وكانت دربا عريضا بعد مسالك ضيقة مدمية للاقدام .. كانت بحرا رخيا ذات مساء .....من كثرة ما لدي .. احتار ماذا اقول ..سأكتب لك فيما بعد اعذرني الان .. انني تعبة ، وسأنام .. احبك يا حسين .
اطفأ ضوء غرفته ونام ،

حبيبتي جهان

على الشاطىء ـ هو يقول الساحل ـ جلسنا معا ، وكنا نتحدث ، جلستنا على الشاطىء اوحت لي بان كلينا واقعيا ورمزيا على الشاطىء هو على شاطىء البداية ، وانا على شاطىء النهاية .. هل يحس هو مثلي .. اشار لي مرة الى هذا ، حدثني عن اهله وقريته عن فقره وعمله الصيفي في المرفأ والوقائع التي عرفها من عمله في المرفأ .. قال لي: ان اجرة العامل الرسمية حوالي اربع ليرات سورية .. لا اكتمك انني لم اعرف هذا .. قال لي كذلك بان احد العمال قال له : منذ خمس سنوات كان متوسط سعر الحذاء خمس عشرة ليرة سورية واليوم لا يوجد الا الحذاء المطاطي بسعر ثلاث ليرات ونصف او الحذاء الجلدي بسعر ثلاثين ليرة سورية ... ثم سألني : الا يعني هذا وضوح تمايز الطبقات عندنا ؟ ... انه يهتم بامور يظنها الاخرون عادية ، لكنه يتوصل منها الى استنتاجات لا يصلها الاخرون ... اشعر احيانا انه يعلمني اشياء جديدة ... يعلمني طريقة تفكير جديدة.. اه يا جهان يبدو ان السفينة رحلت وتركتني على الشاطىء منذ زمن بعيد اتمنى لو اكون مثله .. اعرف انه يعاملني بطريقة رسمية ، وربما يرثي لي في اعماقه .. احبك يا جهان .

حسين

. . . . . .

Digitized by Birzeit University Library

حبيبتي جهان

ان الحياة تزداد تعقيدا في واقعي وذهني ، وانا ازداد قلقا وخوفا من المستقبل ... ومع الايام بدأت الحياة تبدو بالنسبة لي مسألة صعبة الحل ... وربما تحديا لم انجح في الاستجابة له ... وانني اذا لم اكن منتهيا الان .. فانني سائر ولا شك في طريق تؤدي الى النهاية .. لهذا احبك واتعلق بك يا جهان ... انت ما يربطني بهذه الحياة ... انت الضوء وسط الليل الذي اقف فيه وحيدا ... منذ اسبوع لم اره وقد كانت احاديثه تريحني ... انني وحيد ومع الايام يزداد احساسي بالوحدة وبانني مختلف عن الاخرين وانني لا استطيع الاندماج بهم ربما هذا هو جرثوم مرضي .. انني احبك يا جهان .. واتمنى لو كنا ما نزال معا في سنك يا عادل عبدالله ... اليس كذلك يا حبيبتي جهان ؟

حسين

. . . . . .

حبيبي حسين

الوحدة قدر مكتوب علينا ، لقد بدأنا بداية خاطئة يا حسين وعلينا ان نتحمل النتيجة ... مثلك احس بالوحدة والشيخوخة تزحف في شعري ونفسي ... حبك يجدد شبابي انني احبك انني احبك و .. ماذا اقول يا ...

، احس حسين عبد اللطيف انه لا يستطيع متابعة الكتابة وان كل هموم العالم تجثم فوق صدره ، لم يكن هناك موضوع محدد لمخاوفه وهمومه ، كان يحس ثقل العالم والواقع ، ثقل الماضي والحاضر والمستقبل ، وانه وقع في مصيدة يسميها احيانا بمصيدة القدر ، واحيانا بالمتاهة ، ومرة قال انها مهزلة لكن عادل عبدالله قال واصفا مدرس الفلسفة - يعرفه حسين تماما - انه ضحية ظرفه التاريخي ، فهل بامكاننا اعتبار حسين عبد اللطيف كذلك ضحية ظروفه التاريخية ، وبديهية اننا نعني بهذا ، الظروف العامة التي كونت التاريخ الحديث لمنطقتنا ، والظروف الخاصة التي عرضت لحسين عبد اللطيف .. ام انه مجرد مثقف فرد لم يستطع فهم الواقع التاريخي ، وبالتالي لم يستطع الاستجابة له ... هل بامكاننا ان نفهم حسين عبد اللطيف هكذا ؟ ... فلنتعاون معا على دراسة وفهم حسين عبد اللطيف ، فهو ظاهرة في حياتنا انه ليس مجرد فرد .. انه جيل كامل ، .

. . . . . .

حبيبي حسين

انني احبك .. واحس الامور غائمة في ذهني ... اشعر بهموم كثيرة ، لا ادري بالضبط مصدرها .. لكنها تحاصرني من كل جانب ... انني وسط عاصفة قد تتجه الى اي مكان .. انني اسيرتها .. اكتب لي .

جهان

حبيبتي جهان

واليوم - كذلك - رأيت عادل عبدالله .. حدثني عن امور كثيرة .. بدأ ينطلق معي ويتجاوز وضعه كطالب مع استاذ .. هل اقول بدأ يثق بي ؟.. حدثني عن القصص التي يحكيها له العمال عن الانتخابات النقابية المزيفة ، وعن الموظفين الذين يسجلون كعمال في النقابات ، وانهم هم الذين ينجحون في انتخابات النقابات ، لا العمال الحقيقيون ... حدثني عن قوانين التعويض على التجار في الشركات المؤممة اذا انخفضت الاسعار اوضح لي ان التجار يستفيدون من المصانع المؤممة اكثر مما يستفيد المستهلك او العامل ... احاديثه تذكرني بمفهوماتي للسياسة عندما كنت في مثل سنه .. كنا ننطلق من شعارات عاطفية حماسية اما الان فعادل ينطلق وقائع

Digitized by Birzeit University Library

واحصاءات .. لو كنا انطلقنا منطلقهم لما تعرض جيلنا للكارثة التي تعرض لها .. ما كان تمزق .. ما كان وقف في الصحراء هكذا .. مثلي .. لكن من المسؤول ؟ هل كان بامكاننا ان ننطلق من منطلقهم ونفكر بطريقتهم الان ؟ يجب ان نعترف فهذا الاعتراف الذي هو اعترافنا ، هو اعتراف باننا نعترف ، ومن يعترف والذين يعترفون ، فلا اعتراف أعتراف الـ ...

وكما صار يحدث مرارا في هذه الليالي ، شعر حسين بالدوار والتعب وفقد القدرة على التركيز والمتابعة ، القى القلم ، بينما كانت سحابة سوداء تحوم في جو الغرفة ما لبثت ان اتخذت اشكال وجوه يعرفها جيدا ، وجوه طاردته في الشوارع وعذبته في السجن وبصقت في وجهه وكانت تختلط بوجوه يحبها واخرى يكرهها وعلامات استفهام وطرق وجبال وصخور وبساط وسجائر تطفأ في الجلد واناس ونواجز والسنة تمتص الدم وايد تعتقل الحرية والطيور ..... واخيرا اغفى

. . . . . .

حبيبي حسين

انني خائفة .. خائفة وسأنتهي قريبا اذا استمرت الامور هكذا انني عرضة لتخيلات .. اقول انها تخيلات عندما تذهب عني لكني احسها حقائق عندما تكون متسلطة علي حبيبتي جهان الامور الصعبة وهذه التخيلات والاحلام ما تزال تطاردني ... ساعات صحوى الوحيدة هي لاوقات التي ارى فيها عادل عبدالله .. حبيبي حسين انني احبك والمخاوف تطاردني .. ما الذي يشدك اليه ؟ يشدني اليه انني ارى فيه شبابي الذي كان يجب ان يكون هكذا .. ارى فيه النقطة التي كان يجب ان ابدأ منها .. ها هي الصخور تطاردني ، السياط .. انهم يضربونني الان انني اصطدم بجدار يا حسين .. انني اصطدم بجدار يا جهان نصطدم بجدار اننا ننتهي .. ننتهي معا يا حبيبي .. انني احبك يا جهان .. احبك يا حسين .. جهان .. جهان .. الحياة والواقع والحياة يا جهان .. احبك يا جهان ..

. . . . . .

التعب يتغلب عليه ... واشياء الغرفة تبدو له في اشكال مختلفة عن حقيقتها .. يغفو على كرسيه .

٣ ـ آخر ضوء في الليل

امامي المدى اللانهائي ، وخلفي سلسلة الجبال ، وانا على الشاطىء معلق بينهما .. اتذكرين كم حدثتك عن هذا المشهد يا جهان ؟ البحر ما يزال بامتداده اللانهائي ، وقمة جبل القيسية ما تزال ظاهرة ، لكن الشط تغير .. وها انا على الشط .. هل انا متغير كذلك ؟ .. ها موجة تتكسر مصطدمة بالرصيف الجديد الذي اقيم على البحر .. فيما مضى كانت مثل هذه الموجة تتلاشى وادعة على رمال الشاطىء امامي المدى اللانهائي وخلفي سلسلة الجبال وانا على الشط معلق بينهما ،

وبينما هو يكتب سمع صفارة باخرة في المرفأ الجديد ، اعقبه صوت صفارات القطار الجديد كذلك ،

... صفارات البواخر ، وصفير القطار ، وامامي لا نهاية المدى البحري ، وخلفي سلسلة الجبال وانا على الشط معلق بينهما ، صفارات البواخر ، وصفير القطار وها طوطوس قد اصبحت مدينة كبيرة وانت لا تستطيع ان تقف على رمل الشاطىء مباشرة كما كنت تفعل منذ زمن ... ثمة حاجز بيني وبين البحر ... ربما بيني وبين المدينة التي عرفت ... صفارات البواخر وصفير القطار والرصيف البحري ، واين المدينة التي لا يرى في بحرها سوى قوارب الصيد وقوارب السفر الى ارواد .. اين الرصيف

Digitized by Birzeit University Library

البحري الصغير الذي تجلس عليه من هذا الرصيف الجديد الطويل الذي يفصل المدينة عن البحر ، يفصل المدينة عن ماضيها ، عن امواجها التي كانت تتلاشى وادعة على رمال الشاطىء ، الان دخل في حياة شباب المدينة واطفالها صفارات جديدة ... صفارات البواخر وصفير القطار ، وفي ايامنا لم نكن نسمع سوى صوت الامواج التي كانت تتلاشى هادئة على رمال الشاطىء ... الان تتكسر الامواج وصوتها يجاوب صفارات البواخر وصفير القطار . اول مرة رأيت القطار في حياتي في طريق حمص وبعد ان اصبحت شابا ... والان اصبح القطار عاديا في حياة سكان البلدة تماما كالبواخر ومقاهي البحارة وملاهيهم .. كم قرأنا عن الموانىء البحرية وحياتها ، وبنينا الاحلام انا واصدقائي احلام التسكع على ارصفة موانىء المتوسط ... الاسكندرية بيروت مرسيليا ... كنا نريد السكر على ارصفة مرسيليا ولم نكن قد تعلمنا الشرب بعد ، والنوم على ارصفة الاسكندرية مع الصعايدة واليونان ، ومع العمال السوريين في بيروت ... لم يكن في مدينتنا ملهى واحد ... كنا نراقب السفينة التي تعبر البحر امام مدينتنا ... صفارات البواخر وصفير القطار والرصيف امامي البحر اللانهائي وخلفي سلسلة الجبال ، وانا معلق بينهما والتغير ليس قليلا ، من المحل الوحيد لبيع الخمور في البلدة الى خمارات البحارة وملاهيهم ، ومن المقاهي الصغيرة الى المقاهي الكبيرة من مطاعم اهل الريف الصغيرة الى مطاعم الاغنياء وكبار الموظفين والمشارب صار فيها نساء مصريات .. هذه البلدة تغيرت حتما ولاول مرة ادرك هذا التغيير وكأنه مفاجأة ... كأنني ادرك كل التغييرات التي حصلت خلال السنوات السابقة دفعة واحدة ..... ها اعلام البواخر ترفرف وكأنها تعلن غزو القبيلة وافتضاض البكارة ، وربما اصطيدت السمكة ها صياد سمك قديم اغتصبت بكره ... اغتصبها قرصان انني يتيم ... ملقى على رصيف كبقي غير محترفة في مدينة كبيرة .. هل سبقني الزمن ؟ .. فقدت شيئا وربما لن استرده الى الابد ... الان افهم لماذا تبكي الفتاة ليلة زواجها الاولى ... صفير القطار وصفارات البواخر والحانات والبحارة والوسكي وعلي ان اعترف بالحقيقة صفير البواخر والقطار ومحطات الركاب والحانات والبحارة والبغايا والوسكي والزمن يسير مسرعا والناس يشيخون باكرا هذه الايام .. الناس يشيخون فجأة .. لماذا لم اقض شبابي كما يجب .. لماذا انتهيت هكذا ؟ ..

وتزوجت ايتها المدينة التي كنت طفلة يوما ما .. تزوجت ايتها الطفلة البحارة والحانات والبواخر والقطارات ونسيت اولئك الذين عشقوك طفلة بلا نهود لا تمشط شعرها ولا تضع الساحيق على وجهها ، تشمر عن ساقيها الطفلتين وتنزل الى البحر كانها تستلقي في حضن امها .. تلعب على رمال الشاطىء وهي الحبيبة المدللة .. لا جدوى اصبحت شخصا يحمل ماضيين .. ماضيا بريئا كحياة الاطفال ، وماضيا حافلا بالمغامرات كلص عربيد في الخمسين ... ماضي كان خدعة .. لقد كبرت وعلي ان اتقبل الحقيقة .. الفجيعة بوفاة بكري الشاب في حادث قطار .. علي ان اظهر امام الناس رابط النفس علي ان اتقبل التعازي دون دموع .. ان اقول : البقية في حياة اولادكم ... كلنا على درب النهاية بينما اهمس لنفسي انني انتهيت قبل اواني يا صفير القطار وصفارات البواخر لا جدوى مني بعد الان ، وما يحدث هو الحقيقة والامور تجـ ...

ـ مساء الخير استاذ .. ماذا تكتب ؟

ـ اهلا عادل .. انني افكر .. تعرف الكتابة تجعل انطباعاتنا اكثر تركيزا ... افكر بالمرفأ الجديد ومحطة القطار وافكر .. افكر بالمرفأ الجديد ومحطة القطار وافكر ..

ـ لا شك انهما سيجعلان بلدنا تتقدم بسرعة اكثر ..

. . . . . .

Digitized by Birzeit University Library

وبينهما في المقهى البحرى جرى حوار طويل في هذا الموضوع ، واخر الليل ، عندما خرج حسين عبد اللطيف من احدى الخمارات ، دخل غرفته وبدأ يكتب :

بمباشرة يا عادل هل تقبلوني معكم ؟ هل تقبل انضمامي لكم لك يا عادل .. اعرف ان الزمن سيقبني .. هل تذكر قصيدة بريخت التي دللتك عليها .. الى من سيأتون بعدنا .. عادل هل يحاسب الانسان على نياته ام على نتيجة اعماله ؟ كانت نياتنا طيبة وكانت نتيجة اعمالنا البلاهة كما تراها في وضعها الحاضر ... انها العيوب التي حدثتني عنها ... واعرفها .. عادل .. انني واع لما يحدث انت تجدد شبابي انت تبدأ البداية التي كان علي ان ابدأها انني شخص يدرك انهياره ، يسير في جنازة نفسه .. انني احبك يا عادل ، احبك يا جهان ، وباكرا فقدتكما .. يا عادل ما عدت احتمل نفسي .. انني مهزوم .. راسي مليء بالاف الصور .. ما عدت استطيع التركيز ... كيف سأبدأ عامي الدراسي الجديد غدا ؟ انني احبك يا عادل يا جهان حبيبتي جهان لماذا لا اعرف اين انت ؟ وماذا اصبحت هل تزوجت ؟ هل صار لك اولاد ؟ البعد عن الاحباب موت ابتعدنا عن بعضنا فمتنا بالنسبة لبعضنا ، مات ماضينا وبموته مات مستقبلنا كذلك .. لا فائدة لا فائدة مني مهما ركضت فلن استطيع لحاق العربة الزمن اسرع مني واني ادرك انهياري يا عادل انا لست ضد التاريخ وضد التقدم كما وصفتني هذا المساء على شط البحر ... لكنني بطيء .. التاريخ اسرع مني وقد تركني ملقى على الدرب يا جهان .. كان يجب ان نتزوج .. انني احبك ، احببتك .. انني احبك .. انني احب هذه الحياة حبا لا تكلف فيه يا عادل انني احبك يا عادل .. اعرف انك احيانا تعاملني برفق ، كرجل اجتازه الزمن ... كشيخ خرف .. انك تقتلني بهذه المعاملة يا عادل يا جهان يا جهان يا عادل انني اتنهيت يا جهان يا عادل يا عادل يا جهان يالناس والبحر والجبال والتعب والموسيقى والطفولة والاحلام والحاضر والامساك والمشاي وكشافات الزمن المعلق في ليالي الموت الذاهب !.. انهار الوجد العربي الصوفي الذي تقتل ماء الخيل الواقفة عند منابع بحر تركبه الصحراء الماضية للزمن القاتل ثوب اه شاق ليل الابد الاتي نحو مراكب ضوء الشمس العربية في صحراء الغيم المعائمة تحت بحار الثلج في زمن لا يعرفه العشاق الاطفال المعتقلون تحت سنابك خيل الله اللابس احذية الزمن القاتم في ليل الاصوات المرعوية القادمة من ريف لا يعرف الا الماء العربي في ليل الاطفال المنتعلين ليل الزمن القادم في وجه جهان الاتي من زمن الاطفال يا عادل يا نائم في ثوب امرأة تأكل ماء الليل الوجد الحمى النار الماء العربي المطفأة في ثوب امرأة تعرفها ارصفة لا اعرفها زمن العهر البطولي الواقف جنب حراس منتعلين رماح الخوف النامي في ثوب امرأة لا اعرفها لكن تعرفني في كل الاوجه السائمة بين ارصفة الخيل البحرية والاسماك العارية الاكلة كل ليالي الفجر المظلم في ثوب الشمس القمرية تحت نوافذ لا اعرفها لكن تعرفني في ليل ياتي يصعد حدود الشمس المطفأة في سجائر اشعاع ليلي آت من زمن لا إعرفه لكن يعرفني وجها تعرفه الخيل واحذية الليل المحتل ثوب امرأة عاشقة بر البحر الاتي من زمن لا اعرفه لكن يعرفني يفضحني في ثوب امرأة تأكل قشر الموز ، زمنا لا ياتي في ليل ياتي ليل الشمس دم الفجر الاطفال في ثوب الفلاحين المزركشة بنادقهم بالرايات وانصار بحار الشمس النائمة فوق ليالي الارق والشاي انقهوة الدخانية في سجائر طفل تعرفه ازمنة لا تاتي لكن ياتي ليل ياتي ليل يلبس ثوب الصبح ياتي وانا لا اتي لكن ياتي من ياتي يا عادل من ياتي من ليل ياتي في ليل ياتي ياتي قهرا يا فجرا ياتي ياتي ليل ياتي لكن لا ياتي ياتي ليل ياتي صوب الشمس يا بشرا شمسي الاوقات يا ليلا ياتي بشرا تمشي صبحا يتمرمل بالصبح الاتي من عند الصبح الشمس الصبح الصبح

Digitized by Birzeit University Library

المدول المجهول المسكون في زمن لا اعرفه لكن يعرفني في ليل ابدي يذكرني لكن ينكرني صبح الوجد الوجهي يفضحني وانا لا اعرفه في ثوب العمال لكن يعرفني في ثوب القادم يعرفني يا زمنا لا اعرفه لكن يعرفني لا انكره لكن ينكرني في ثوب امرأة امرأة ينكرني في ثوب امرأة يعرفني يا زمنا اعرفه يعرفني يا زمنا لكن ينكرني اتيه من بحر الليل وبحر الشمس لكن لا يأتيني وينكرني يا زمنا مجونا بالخيل واحذية الاطفال اني ابكي اتبك وتنكرني اني طفل يبكي يا عادل جهان تبكي والليل بحار امطار تاتي وانا ابكي في ثوب العشاق واثواب الامطار واثواب الخيل لكن لكن اعرفه لكن يعرفني اضواء العمال واحذية الفجر وحلوى الاطفال القتلى اعرفها لكن تنكرني بعد لا صباح الليل انكرها وتنكرني ازمان تقتلني وانا اخر ماء الثوب البحري في صحراء انكرها وتنكرني لكني اعرفها وتعرفني اعبدها تقتلني في زمن عربي تعرفه احذية الليل واحذية الدم واحذية الخيل واحذية الله احذية الامطار اعرفها تعرفني اهرب لكن تعرفني اعرفك تعرفني اني مقتول البس ثوب الدم لكن تعرفني يا صبحا لا اعرفه يعرفني يأكل كل الامطار الاتية اعرفها تعرفني عسس اعرفها وتعرفني وتعرفني لا اعرفها تعرفني امطار اعرفها تعرفني ماءات اعرفها تعرفني تعرفني اجنحة البيض يلبسها اطفال يعتمرون اطعمة زرقاء في لون نياشين الخيل الراكبة بحرا ليلي الامطار الساغبة في بيداء تبعد عن زمن لا اعرفه لكن يعرفني يعرفني في كل ال .....

واستمر يكتب ، او لنقل يفكر هكذا ... لكن يبدو حتى من يدخلون بوابة الجنون الواسعة يحدث لهم ما يحدث للناس الاخرين يتعبون .. ينامون ، وفي الصباح يستيقظون

٤ - كل من سار على الدرب وصل

.... يا ايها الطلاب المساكين ، انظروا الي ، مستقبلكم لن يكون افضل من حالي ، اهربوا من مقاعدكم ، واتركوا هذا الخشب ، تحركوا ، لقد سجنوني لانني اعترضت على الشكل ، الاسعار ترتفع ولن يستطيع الفقراء شراء الخبز في المستقبل ، لن تجدوا في السوق الا السجائر المهربة ، ربما ستشترون الخبز المهرب كذلك تعلموا صنعة افضل لكم، اللعنة على هذه المدارس عليكم وعلينا اجمعين ، اليوم سأشرب ، وغدا سأشرب وبعد غد كذلك ودائما سيكونون على طاولة ثانية يضحكون ٠ ، انصحكم بتمزيق اوراقكم وكسر اقلامكم وبيع البضائع المهربة ٠٠ انني احب جهان وعادل وهذه البلاد واشياء اخرى لن اقولها فاحزروها ان كنتم اذكياء٠ انتم اغبياء فانا استاذكم وصهري كذلك ٠٠ انني انصحكم ٠٠ انظروا تموتون من الجوع او تدخلون معهد الجاسوسية او مدرسة لتعليم الصفير والشعارات ومواد اخرى لا تعرفونها لكن ستعرفونها ، وبعدها تصبحون وطنيين ٠٠ انني احب هذه البلاد واحبكم واعرف انكم تقولون عني مجنون ، ستهربون السجائر الوطنية في اعلام بلادكم واكفان ماضيكم ٠٠ امي تقول انها تريد ان تتزوج من منكم سيصبح عمي الامور لا تعرفونها لكنكم تعر ٠٠

. . . . . .

كان واقفا على الطاولة ، وفي اخر درس له لهذا اليوم ، والذي هو اليوم الاول في العام الدراسي الجديد ، وبما ان التاريخ مهم جدا فيجب ان نذكر ان هذا العام الدراسي هو ١٩٧٣ - ١٩٧٤

طوال النهار لم يكلم احدا من زملائه ، كان يدخل الصف ويبقى صامتا بعد ان يقول لطلابه : افعلوا ما تريدون ٠٠ كان حافيا وقد ربط فردتي حذائه الى رقبته ، وشمر احد فردتي بنطاله وقد تنكب مكنسة كذلك - من اين اتى بالمكنسة يا ترى ؟ : لكن يبدو انه توجد في بعض الصفوف مكانس -

ترى متى هيأ شكله هكذا ؟ يبدو ان الطلاب كانوا مشغولين مع بعضهم البعض فلم يروه الا

Digitized by Birzeit University Library

وقد اعتلى الطاولة وبدا يخطب كان يبدو ان لديه كلاما كثيرا ليقوله لكن الضجة التي احدثها الضحك ، ضحك الطلاب ، وتصفيقهم جعلت المراقب يأتي مستفهما والمراقب عاد واحضر المدير ، وبعدها غاب حسين عبد اللطيف ، وقيل في غيابه اقوال ... قيل انه كان يريد تحريض الطلاب على مظاهرة لذلك اخذ الى حيث يؤخذ امثاله .. وقيل انه ادعى الجنون .. وقيل انه جن حقا ، وان بوادر الجنون بدأت تظهر عليه منذ العام الماضي بعد ان خرج من السجن ... وانه هذه المرة لم يذهب الى السجن بل الى مصحة عقلية ..

قيلت اقوال كثيرة ، وانتم تعرفون ما الذي يجعل شخصا معينا يقول رأيا معينا .. قيل انه الشمس التي تبزغ ، وقيل انه الشمس التي تغيب ، قيل انه الموت ، وقيل انه الولادة ، وطالب يقرأ كتابا قال انه الموت ـ الولادة ... لكن من يدري لعل الناس في هذه الايام مثلما صاروا يموتون بالسكتة القلبية ، اصبحوا ـ كذلك ـ يجنون بالسكتة العقلية ... قيلت اقوال كثيرة حتى ان شخصا ضعيفا مثلي لا يجرؤ على تسجيل كل ما قيل ... لكن وعلى الرغم من كل الاراء والاقوال علينا الا نبكي عليه ، والا ندينه كذلك ، لم يكن شهيدا ، وليس مجرما ... كان هذا دوره وقد اداه وعلينا ان نفهم ادوارنا ـ وان نؤديها ان استطعنا .. اعرف ان هذا صعب وربما حلم .. ولكن .. لا اعرف ما اقول .. ام انكم ترون الامور على غير ذلك ؟ ..

ملحق بالقصائد التي كتبها

حسين عبد اللطيف

حاد ، كشمس الخريف

١

قادم من زمن المسافات البعيدة
حيث لا يملك الاطفال الامستقبلهم
وحيث الزمن ، الحاد كشمس الخريف
يتلوى مثل طريق جبلي
عبر قرية اسمها العالم

٢

حذر مثل صياد
تغوص اقدامي في المستنقعات
ابحث بعيني الطفل الجميلتين
عن الحلوي
وعن خاتم عتيق
اضاعته حبيبتي في الوحول

٣

قلت لها
بانني احب الحلوى
ووجهها وخاتمها العتيق
لكنها اضاعت وجهها
وخاتمها العتيق
وانا بعد ان كرهت وجها
ما زلت اغوص في المستنقعات
بحثا عن خاتمها العتيق

٤

يا اخوتي
يا اطفال الروح في هذا الزمن
الحاد كشمس الخريف
اذا رأيتم ذات يوم
طفلا نحيلا رث الثياب
فلا تظنوه فقيرا او شريدا
اعرفوا انه طفل
يبحث عن خاتم عتيق
اضاعته حبيبته في الوحول

٥

يا اخوته
في هذا الزمن الحاد
كشمس في الخريف
اذا حدث ورفع رأسه
وسألكم ذات يوم
ـ « هل صحيح ان حبيبتي كانت تملك
خاتما عتيقا ، ام انها كانت

Digitized by Birzeit University Library

تضحك علي لانني طفل ،
فـلا تداروه
وقولو لـه الحقيقة

٦

صحيح انـه طفل
وانه يحب خاتم حبيبته العتيق
لكن على الاطفال ان يغوصوا
في الحقيقة لا في الوحول
فنحـن حقـا في
زمن حاد كشمس الخريف

هل كنت مجرد طابع بريدي ؟

١

في قريـة صغيرة
سماهـا جـدى الوطن
كثرت ـ مؤخرا ـ الوجوه
واللغات واصدارات طوابع البريد

٢

قـلت لحبيبتي
ـ ذات مساء ونحن نتنزه في الحقول ـ
انني ضـد اللعبـة
وانني على اخر نفس
ضـد كـل هـذا
فانـا اعرف قريتي
لا تتحدث الا لغـة واحدة
واهلها لا يحملون الا ملامح واحدة

٣

حبيبتي اتهمتني
بانني ضـد الحضارة
وانني لا افهـم شيئـا
في امور السيـاحة
واكتسـاب النقـود
وقد كدت اصدق هـذا
لان حبيبتي قالته

٤

والبـارحة عـرفت
ان حبيبتـي
تهوى جمع الوجوه الغريبة
مثلما تهوى جمع الطوابع البريدية
مـع انني قـلت لهـا
ومنـذ البدايـة
انني لا اهوى جمع الطوابع
وانني ضـد هـذه القرية
اذا كـانت ستستمر
في اللعب ..... هكـذا

اطفالنا يبولون على جراجهم

١

قـلت لهـا
انني من قرية صغيرة في اقصى الوطن
اطفالها يبولون على جراجهم
ورجالها يرسلون اولادهم الى الحرب
وفي المساء يصلون لعودتهم
ثـم ينامون مع زوجاتهم
واطفالهم وحيواناتهم الطيبة

٢

ذات مـرة
حدثتها عن عجوز في قريتي
ـ ماتت هذا العام ـ
لم تر السيارة في حياتها
لكنهـا لـم تصدق
انه يوجد عجوز في هذا العالم
لـم تـر السيارة
فحتى جدتها المحجبة
تمـلك سيـارة

٣

قـلت لهـا
بانني دائما اقول عـن نفسي
انني اكـره الرومنتيكية
لكنني كـذاب
فانـا في اعمـاقي
صبي رومنتيكي صغيـر
ـ كنت اقبلهـا ما بيـن عينيها
مثلمـا يقبـل عشاق قريتي

Digitized by Birzeit University Library

قـــلت لهـــا
انني احب شوارع المدن العريضة
وازقـة القرى الضيقة
والارصفة على ضفاف الانهار
واغنيـــات فيروز
قلت لها كل ما أعرف
وقلت لـها كل مـا اشعر بـه
لكنهـا لـم تصدقني
لم تصدق شيئا مما قلته لهـا
لانني اخفيت عنهـا شيئا واحدا
قالت لي تجربتي معها الا اقوله لها

٥

لـم تصدق شيئا واحدا
ممـا قلتـه لهـا
مـع انني ـ وحق الاله
كنت صادقـا
في كـل مـا قلت

٦

ومثلما يفعل الاطفال في قريتي
فعـلت .....
لكنهـا لـم تصدق
انـه يوجد في هـذا العالم
اطفال أو حتى رجـال
يبولون عـلى جراحهم

وردة قلبي

١

في ليـالي الشتاء الباردة
كنت اتذكـر
ما قرأته في الروايات عـن الحب
وعندمـا افتـح المذيـاع
اسمـع اغنيـات الحب

٢

وفي ليـالي البـرد
تفتحت في قـلبي
وردة الحـب

٣

عـــلى ضفـة نهـر
وفي صبـــاح ربيعي
وبينمـــا كنت اتـأبط
كتبي ، واصفر لحن اغنية حب جميلة
وانا في طريقي الى المدرسة
رأيت عـلى الضفة الثـانية
صبية كالتي يصفونها في روايات الحب
« جميلة ، نحيلة ، ضائعة النظرات ،
تسير بهدوء وحنـان كسير »
قفزت الى الضفة الثانية
واعطيتها وردة قلبي المتفتحة

٤

بعـد اسبوع
قابلت حبيبتي مـرة ثانية
ـ بتهذيب تحسد عليه
ومثل اي سيدة برجوازية ـ
اخرجت من حقيبة يدهـا
المليئـة بالاصبـاغ
ما كان وردة قلبي المتفتحة

٥

كـانت ذابـلة
مثـل طفل يتيم
ومـن يومهـا
كرهت الحب في الروايات والاغاني
وكرهت طريـق المدرسة

فرسان العصور الوسطى

١

ربما لانني لا ارى العالم
الا قريـة صغيـرة
اهلها يفهمون الى حـد مـا
في الزراعـة والصـلاة
اكره البطولـة والعظمـاء
وارفض الدخول في عـراك
لاجـل امـرأة

Digitized by Birzeit University Library

معا قرأنا روايات العصور الوسطى
عـــن الفرســان
وعن الصبايا اللواتي ينتظرن
في الخدور او في الحفلات
لكنني ـ وبينما كانت تعجب
بأبطال الفرســان الشجعــان
لــم استطع اجبار نفسي
عـــلى الاعجــاب
بهذا النوع مــن الصبايا

هــل تغيرت حبيبتي ؟

حبيبتـــي
ـ عندما كانت حبيبتي ـ
كـانت تقول لي
ـ « لماذا تطرح اسئلة سخيفة »
عندما كنت اسألها
ـ ونحن متعانقــان ـ
ـ هـــل تحبينني
واليـــوم ،
ونحن نجلس متقابلين
قـــالت لـــي
ـ« لماذا تطرح دائما اسئلة سخيفة »
عندمـــا سألتهـا
ـ« لماذا ما عدت تحبينني ؟ »
ايهـــا النـاس العقلاء
الذين يفهمون في امور الحب
اود ان اسألكم انتـم
ـ هل تغيرت حبيبتي ؟

اكثر من الف مرة

اكثر من الف مرة
قـــلت لهـــا
بانني اعرف ما اريـد
واعرف تمامـــا :
ليس « الزمن الضائع » ما ابحث عنه
لكنـــه شبـــابي
شبـــابي الـــذي سرقـــه
الفقر والانقلابات العسكرية والكتب

حلب ـ ١٩٧٤

Digitized by Birzeit University Library

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام

في الاسواق الآن

عبد الوهاب الغريري اديبا

جمع واعلان رزاق ابراهيم حسن

انعكاس مباشر لحياة الشهيد الواقعية ، وهو دقيق في تناولها من خلال فكره القومي الاشتراكي .

توزيع / الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام

سلسلة الكتب المترجمة
في الاسواق الآن

اتجاهات جديدة في الشعر الانكليزي

ترجمة عبد الستار جواد

نقد ومناقشة لعلاقة الشعر بالعالم الحديث ، وبيان اهميته في الحياه ولدى الانسان .

توزيع / الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

Digitized by Birzeit University Library

كتب

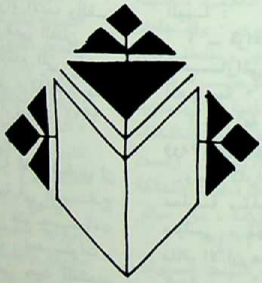

Digitized by Birzeit University Library

شكري عزيز ماضي . انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية . بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨

بعد سنوات قليلة من هزيمة حزيران ١٩٦٧، طرح النقد العربي سؤالا موضوعيا: هل يمكن اعتبار الهزيمة نقطة تحول في الادب العربي ؟

وفي البحث الذي قدمه الناقد **غالي شكري** حول هذا الموضوع ، انطلاقا من نموذج الادب المصري (وذلك في مؤتمر الادباء العرب ، الذي عقد في بغداد ـ نيسان ١٩٦٩) ، تحفظ الناقد المصري في اجابته قائلا : « لا اعتقد ان جوابا موضوعيا امينا على هذا السؤال ، يمكن ان نعطيه ، اليوم او في الغد القريب . ذلك ان الاحداث الكبرى في حياة الامم لا تعكس صداها على مرآة الادب والفن غداة وقوعها ، وانما يرهص الفنان بهذا الحدث او ذاك لو انه ارتفع الى مستوى النبوءة » . غالي شكري « ثقافتنا بين نعم ولا » ـ دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٥١)

واذ حاولت دراسة **غالي شكري** ان تترصد ارهاصات الهزيمة في النماذج المتقدمة التي تنبأت بها ، فقد جاءت دراسة **الياس خوري** ، بعد سنوات ، محددة في طموحها ، من حيث التشديد على كونها « مقدمة » لدراسة الرواية العربية بعد هزيمة حزيران ، تحاول « عدم السقوط في شرك الشعارات الجاهزة والاسقاط السياسي المباشر ..» اي انها لم تعتبر الهزيمة « سياقا خاصا قادرا على احداث ردود الفعل السريعة ، التي تغير المجاري على المستوى الادبي بشكل جذري . بل كانت الهزيمة نقطة (ايديولوجية) في تطور الرواية ، . (الياس خوري « تجربة البحث عن افق ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٧)

ثم جاءت دراسة **شكري عزيز ماضي « انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية »** ، لتتكىء ـ نظريا ـ على « مقدمة » **الياس خوري** (من حيث اعتبار الهزيمة نقطة ايديولوجية كشفت عن الواقع العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا وثقافيا) ، ثم تطمح الى ان تشكل امتدادا لها ، لكنها تعود في سياق البحث لتسقط في المنزلقات التي تحاشتها المقدمة ، واشارت اليها :

١ ـ قراءة العمل الادبي باسلوب شعاراتي ، لا يتجنب الاسقاطات السياسية .

٢ ـ رؤية اي تحول في الرواية كنتاج وردة فعل للهزيمة .

ومع الاقرار بأن الادب هو، بالضرورة، ممارسة سياسية ، تعبر عن موقف سياسي ، مهما راوغ وحاول تحاشي ذلك، الا ان هذا الاقرار لا ينفي خصوصيته كممارسة فنية مركبة ومعقدة ، تشكل السياسة احد عناصرها ـ كموقف وقضية وليس كشعار ـ . ومن هنا ، فان القراءة « السياسية » للادب ، انطلاقا من الشعار ، تسمح بذبح الادب باسم السياسة .

مثل هذا المنهج ، هو الذي اباح **لشكري عزيز ماضي** ان يذبح الرواية العربية بعد حزيران ، فهو منهج القراءة

Digitized by Birzeit University Library

السياسية ، الشعاراتية ، الاسقاطية ، التي تعجز عن رؤية العلاقة بين الادب والواقع كعلاقة جدلية معقدة ، وتعجز في الوقت نفسه ، عن استكشاف الادوات النقدية التي تحاكم النتاج الادبي بأدوات فنية ، لتكتفي برفع عصا السياسة في وجه الادب .

ان كتاب **شكري عزيز ماضي** يشكل نموذجا للنقد الذي يعبر الى الادب من بوابة السياسة ، ويضيف ناقدا الى مجموعة النقاد الذين .. « يدخلون الى الادب بشكل مغتصب وتعسفي ، ليخضعوه الى قوانين كسيحة ، يرفعون الادب الساقط باسم السياسة ، ويسقطون ، وهما ، الادب الحقيقي باسم السياسة ايضا » . (فيصل دراج « الادب والسياسة » ـ مجلة شؤون فلسطينية ـ ع ٦٦ ، ايار ١٩٧٧)

■

في بحثه عن بصمات الهزيمة على الرواية العربية ، ينطلق **شكري عزيز ماضي** من الاقرار بتلك العلاقة الحميمة بين الادب والاحداث الكبرى . وقد جاءت هزيمة حزيران كحدث كبير ومنعطف في التاريخ ، وكنقطة ايديولوجية كشفت البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والثقافية ، فأصابت الخلخلة، فيما اصابت ، الظاهرة الادبية .. ومست الرواية بشكل خاص ، نظرا لتلك «العلاقة الوثيقة بين الرواية والهزيمة ، دون سائر الاشكال الادبية» ! (ص ٢٣) .

فعلى الصعيد الكمي ، شهدت السنوات التالية لهزيمة حزران ١٩٦٧ تراكما كميا في النتاج الروائي العربي . وعلى الصعيد الكيفي ، انعكست الهزيمة كحدث روائي او كخلفية للعالم الروائي .

كيف تمثلت الهزيمة في الرواية العربية ؟

للاجابة على هذا التساؤل ، يقوم الكاتب بمحاولة استقراء فكري من داخل النص الادبي لاسباب الهزيمة ، كما عالجها الروائيون العرب ، ثم يرصد تصوراتهم لطريق التجاوز .

في البحث عن الاسباب ، يرى الكاتب ان ثمة روائيين رأوا الهزيمة في جانبها العسكري ونتيجة لخلل فيه (**عبد السلام العجيلي** « فارس مدينة القنطرة » ، **وعبد النبي حجازي** « قارب الزمن الثقيل »). بينما نظر اليها آخرون كتعبير ونتيجة للتخلف الثقافي **حليم بركات** « عودة الطائر الى البحر » ، **وتيسير سبول** « انت منذ اليوم ») ، كما ان هناك من نظر اليها كنتيجة لابتعاد الناس عن الدين (**امين شنار** « الكابوس ») ، بينما استطاع احدهم الربط بين الهزيمة والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية (**محمد يوسف القعيد** « اخبار عزبة المنيسي »)

ويرى الكاتب تباينا في رؤية الروائيين العرب لطريق تجاوز الهزيمة ، فثمة من يؤكد على اهمية الثورة الاجتماعية ، لكنه يقع اسير النزعة الفردية (**حيدر حيدر** « الفهد ») . بينما يشدد آخرون على التمسك بالارض (**ممدوح عدوان** «الابتر» **والسيد الشوربجي** « اطول يوم في تاريخ مصر ») . وهناك من يركز على الاهتمام بالجيل الجديد وتثقيفه (**خناثة بنونه** « النار والاختيار ») ، او الاقتداء بالغرب الليبرالي (**ذو النون ايوب** « وعلى الدنيا السلام ») .

لينتهي الكاتب الى نتيجة تؤكد ان الرواية العربية وقفت عند هزيمة وقوفا سريعا وانفعاليا وسطحيا . فقد اكتفت بملامستها من الخارج ... وكما فشل القارىء في استخلاص تفسير للهزيمة من الرواية العربية فانه لم يستطع ، كذلك ، ان يتلمس طريق تجاوزها بشكل واضح » (ص ٨٧) .

ثم يتطرق الكاتب الى دراسة « الهزيمة وروايات العجز » . والمقصود بروايات العجز تلك التي تعجز عن رؤية التناقضات

Digitized by Birzeit University Library

داخل المجتمع العربي « لانها لا تنظر اليه الا من خلال نظارات شديدة القتامة » (ص ٩٧) ·

وتحت هذا العنوان ، يقدم الكاتب حشدا من الروايات التي حكم عليها بالعجز :« الوشم » **لعبد الرحمن الربيعي**، « الهشيم » ، **لجهاد مجيد** ، « الزمن الموحش » **لحيدر حيدر** ، « الاشجار واغتيال مرزوق » **لعبد الرحمن منيف** ، « مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة » و « القلعة الخامسة » **لفاضل العزاوي** ، « ليس ثمة امل لجلجامش » **لخضير عبد الامير** ، « الحبل » **لاسماعيل فهد اسماعيل** « انت منذ اليوم » **لتيسير سبول** ·

وتلتقي هذه الروايات ـ كما يرى الكاتب ـ في تقديمها « رؤية سكونية قاصرة عن فهم حركة التاريخ واستيعاب نقائضه وصراعاته » (ص ١١٩) ·· وهي ترى المجتمع من خلال رؤية فرد ممزق ومحبط ، لا يشعر بانتماء الى طبقة ، رافض للعلاقات الرسمية والتنظيمية ·

وعلى النقيض من « روايات العجز »، ثمة روايات اخرى تملكت « الرؤية الثورية وطريق الخلاص » ، حيث استطاعت ان « ترسم طريق الخلاص من الهزيمة ، من خلال تجاوز الواقع برمته مسترشدة بالرؤية الاشتراكية الثورية » (ص ١٢٩) ، كما استطاعت ان تستوعب الهزيمة ، وتقدم رؤيتها للتجاوز بتكامل وشمولية ، اذ « تؤكد على قيم العمل والنضال ضد الظلم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ومناصرة المراة » (ص ١٢٩) وتربط بين النضال القومي والنضال الطبقي في معركة التحرير ·

وتحت هذا العنوان تندرج « عائد الى حيفا » **لغسان كنفاني** ، و «الفهد» **لحيدر حيدر** ، و « عرس فلسطين » **لاديب نحوي** ، و « الضفاف الاخرى » **لاسماعيل فهد اسماعيل** ، و « الشمس في يوم غائم» **لحنا مينه** ، و « الظامئون » **لعبد الرزاق المطلبي** ·

ولكن « التقييم العالي » الذي يمنحه الكاتب لهذه الروايات « لا ينفي القول بأنها ليست قمة في الرواية العربية ، ولم تصل الذروة ، لكنها متطورة ومتقدمة فحسب » (ص ١٣٠) ، فكنفاني في روايته مباشر وخطابي ، واسماعيل يقحم افكاره الجاهزة ، والمطلبي يعجز عن توظيف التقنيات الحديثة ، اما الرؤية الفنية في رواية **حنا مينه** فانها تعاني الترهل والتفكك !!

ثم يبحث الكاتب في « انعكاس الهزيمة على الشكل الروائي » ، التي احدثت انهيارا في الشكل الروائي ، تمثل في نتاج **نجيب محفوظ** ، وبرز من خلال ظاهرتين : لجوء محفوظ الى القصة القصيرة وتدني الشكل الروائي في « الكرنك » و « الحب تحت المطر » ·· حيث تحمل هذه الروايات غنى مضمونيا ، يقابله محدودية في الشكل ، وعجز عن استيعاب وتمثل تكنيك الرواية الحديثة ·

مقابل هذا الانهيار ، برزت محاولات جديدة بدت قلقة في بحثها عن الشكل الروائي الجديد ، منها « سداسية الايام الستة » **لاميل حبيبي** ، و « ام سعد » **لغسان كنفاني** ، حيث تعانيان من خلخلة شكلية ·· و « هذه الخلخلة دلالة على الخلخلة التي احدثتها الهزيمة في البنيان الاقتصادي وفي الفكر العربي عامة » (ص ١٧٨) ·

وثمة محاولات اخرى استطاعت استلهام الاسطورة في بحثها عن الحداثة الشكلية (ليس ثمة أمل لجلجاميش ، عودة الطائر الى البحر ، الشمس في يوم غائم ، البكاء على صدر الحبيب ، الفهد ، عرس فلسطيني ، سداسية الايام الستة ، المتشائل) ·

Digitized by Birzeit University Library

ويستفيض الكاتب في دراسة الشكل الروائي في « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل » **لاميل حبيبي** .. التي تجمع ، في شكلها ، بين فن السيرة والرواية التاريخية التقليدية وفن الملحمة .

وفي الفصل الاخير محاولة تطمح الى « استشراف مستقبل الرواية » ، ليس على المستوى البعيد ، وانما تكتفي بتلمس الاتجاهات التي تسير نحوها الرواية العربية بعد حرب اكتوبر ، اذ ان «مباغته اكتوبر احدثت ارتباكا شديدا في صفوف الادباء العرب ، بحيث أعادتهم ، مرة اخرى ، الى تقديس المقاتل الاسطورة .. وهذا يدل على فقدان الثقة بالجماهير وقدراتها » (ص ٢٠٣) . وهنا نجد روايات مناصرة للحرب عجزت عن فهمها ورؤية أبعادها (« الرصاصة لا تزال في جيبي » **لاحسان عبد القدوس**) ،بينما ترتفع عنها وتتجاوزها روايات أخرى تعالج الوضع من موقع الحضور (« ملف الحادثة ٦٧ » و « الشياح » **لاسماعيل فهد اسماعيل**) ، كما تبرز ظواهر ايجابية اخرى في الرواية ، تتمثل في ممارسة النقد الذاتي (« البكاء على صدر الحبيب » **لرشاد أبو شاور**) .

■

لعل مناقشة المنهج النقدي في هذا الكتاب تقود ، من جديد ، الى طرح اشكالية علاقة الأدب بالسياسة ، وعلاقة الشكل والمضمون . فقيمة هذه الدراسة تنبع من كونها تتجاوز الاطار النظري لهذه الاشكالية وتخرج عن التعميمات التجريدية بشأنها ، لتمس هذه المسألة في جوهرها ، تطبيقيا .

ومن هنا نجد ضرورة تسجيل بعض اللاحظات حول منهج هذه الدراسة ، كمقدمة لنقد هذا المنهج في النقد الادبي :

اولا : عزل الشكل عن المضمون : تعلمنا الماركسية ، التي تمسح الكاتب بها في محاكماته النقدية ، ان لا فصل بين الشكل والمضمون ، وأن المضمون لا يوجد خارج الشكل ، فالعلاقة بينهما ديالكتيكية فهما ليسا جامدين ، وليس بينهما حدود مطلقة ... ويظل بالامكان أن يتحول أحدهما الى الآخر، وان معارضة المضمون بالشكل أو الشكل بالمضمون وعزلهما بعيدة كل البعد عن الفهم الماركسي لهذه المسألة .

وفي مقدمته ، يحدد **شكري عزيز ماضي** منهجه في قراءة الروايات بقوله : « هناك مناقشة لمضمونها وفكرها ثم دراسة لطريقتها الفنية تتناول البنية الروائية والشخصيات » (ص ١٤) (والتشديد على « ثم » من عندنا) .

وفي دراسته ، استعرض الكاتب البحث « المضموني » جميع فصول الكتاب باستثناء الفصل الخامس « انعكاس الهزيمة على الشكل الروائي » ، التي عزل فيها الشكل عن المضمون ، مثلما عزل ، في غيرها ، المضمون عن الشكل . ورغم الاشارات « الشكلية » التي قدمها في سياق قراءته « المضمونية » ، الا انه ظل حريصا على عزل الشكل عن المضمون ، فلم يراهما في وحدتهما وجدلهما ... ومن هنا نستطيع ان نفهم معنى امتداحه لرواية ، ثم القول بانها تعاني من « انحدار روائي » ، أو « ترهل وتفكك » !؟

ثانيا : الأطروحة السياسية كقاعدة للمحاكمة الأدبية : لنقرأ ، مثلا ، هذه العبارة التي أسرف الكاتب في استخدامها بصيغ مختلفة ومتقاربة كقاعدة في محاكمته للنتاج الادبي ... « لقد دلت هزيمة حزيران على الافلاس التاريخي للطبقة الحاكمة ، وانتهاء دورها في حركة التحرر الوطني والاجتماعي ، تحولها الى طبقة معيقة للتقدم ، عدوة لقوة العمل ، متحالفة اكثر مع الامبريالية القديمة ، ومتصالحة اكثر مع الامبريالية

Digitized by Birzeit University Library

... لذا فان هزيمة حزيران قد أفسحت المجال لقوى طبقية جديدة بالتململ والتحرك ... » (ص ١٣٧) . ومن هنا ينبع الحكم على قيمة النتاج الادبي ... من حيث قدرته على التعبير عن سقوط طبقة وصعود طبقة اكثر جذرية ... وحسبه ان يفعل ذلك ليصنف في اطار الادب الثوري !

ثالثا : الدعوة الشعارية التبشيرية : ان الصياغة السالفة ، تعيدنا الى فيض البيانات السياسية التي حبرت اطنانا من الورق بعد هزيمة حزيران ، والتي انتهت، دائما ، برفع شعار . وهنا لم يجد الكاتب بدا من رفع شعاره ، وكأنما التحول في مجال الابداع الفني يحتاج الى شعار يناضل الادباء والفنانون من أجل تحقيقه ... وما هو كاتبنا يصيخ الشعار ... « لقد آن الاوان لظهور الادب المعبر عن مصالح الطبقة الصاعدة وايدولوجيتها » (ص ١٣٧) .

ان رفع مثل هذا الشعار الديماغوجي ليس مجرد دعوة تبشيرية فحسب ، وانما « أداة نقدية » ! حكم الكاتب من خلالها على ارتفاع او هبوط العمل الفني قيد الدراسة .

رابعا : النزعة الاتهامية في دراسة العمل الفني : فتحت كلمة « الجماهير » ، التي اقحمها الكاتب في معظم تحليلاته وجعلها واحدة من « ادواته النقدية » ، أباح لنفسه أن يكيل التهم ليس الى الروائيين العرب وحسب ، وانما الى الروائيين العرب ... فاستجابة الرواية العربية للهزيمة كانت انفعالية وسطحية (ص ٤٢) ، **وعبد السلام العجيلي** يعمل على تضليل الجماهر ، ويتلاعب بوعيها (ص ٤٣) ، **وتوفيق يوسف عواد** متواطىء مع المناورين والقيادات التقليدية للبنانية (ص ٨٤) ، كما يثبت الكاتب « بالملموس » ! ان **ممدوح عدوان والسيد الشوربجي** معاديان للجماهير (ص ٤٦) .. ومثلهم كثيرون، **حليم بركات ، امين شنار ، تيسير سبول** .. وغيرهم .. كلهم ، تعبر رواياتهم عن « ضحالة التجربة السياسية لهؤلاء الروائيين واهتزازها » (ص ٨٩) لانهم ـ كما يقول الكاتب ـ اضاعوا على انفسهم فرصة الكفاح المسلح ، او الانخراط في المنظمات الجماهيرية او الارتباط بالجماهير ، بشكل من الاشكال ، وذلك أضعف الايمان ، واسهل وصفه سحرية يقدمها الكاتب لخروج هؤلاء الروائيين من مازق العجز والسطحية .. الى رحابة الابداع !

وتتجلى النزعة الاتهامية في قراءة « روايات العجز » ، فالكاتب لم ير البطل العاجز في الرواية كحالة موضوعية مشخصة روائيا وواقعية ، وانما انتهى ـ في التحليل ـ الى رؤية عجز الرواية من خلاله ورؤية عجز الكاتب من خلال ذلك . وهكذا ينال **عبد الرحمن الربيعي وحيدر حيدر وعبد الرحمن منيف وفاضل العزاوي وخضير عبد الامير واسماعيل فهد اسماعيل وتيسير سبول** نصيبهم من حشد الاتهامات : رؤيتهم سكونية ، وانهزامية ، وسوداوية ، يسقطون في دائرة الفردية ، ومحاولاتهم التقنية التجديدية تظل محدودة، قاصرة ، متعالية، تهرب من المواجهة الصريحة مع العالم والناس (ص ١٢٠ ـ ١٢١) .

ثم ينتهي الكاتب الى نتيجة متناقضة في دراسته « لروايات العجز » ، حيث يقول بأنه قد « برز خلال هذه النماذج وجه المثقف البرجوازي الصغير ، الذي يطمح الى حل تناقضاته ومشكلاته فرديا ، ولكنه كنتيجة منطقية حتمية ، سقط في الخيبة والهزيمة » (ص ١٢١) .

ويبقى التساؤل : الا يكفي ذلك للتراجع عن الحكم الذي نعت هذه الروايات وكتابها

Digitized by Birzeit University Library

بالعجز ؟

ولكن الاتهام يبقى قائما .. ومن لم يصبه الاتهام في « المضمون » أصابه في الشكل .. وذلك انطلاقا من رؤية الكاتب لانفصال الشكل عن المضمون .

خامسا : النزعة التعليمية والتوجيهية : ازاء مثل هذا « العجز » ، ينصب الكاتب نفسه معلما ، ناصحا ، وموجها ، يشير الى القصور السياسي ، ولا يطالب الروائي بالاشارة الى طريق الخلاص من المأزق الاجتماعي او الوطني وحسب ، بل يوجهه الى هذا الطريق ، ويستخدم في ذلك عبارات تعليمية مثل « كان من الاولى .. » او « يجب .. » ، فهو يقول: « وكان على الرواية العربية ان تعمل على صقل هذه العفوية (الجماهيرية) وتمتينها، بتقديم رؤية عميقة وجذرية » (ص ٤٢) .. و « كان من الاولى ان تصور (رواية « الضفاف الاخرى » **لاسماعيل فهد اسماعيل**) جزءا كبيرا من هموم العمال داخل المصنع وفي الحياة اليومية ، ارتباطا مع رؤيتها الثورية » (ص ١٤٥) ... « فالروائي يجب ان يضع نصب عينه انه يكتب للجماهير الشعبية ، لا لما يسمى بالنخبة او الطليعة » (ص ٢).

سادسا : الاسقاط السياسي : ولا يقف الكاتب عند حدود محاكمه العمل الادبي انطلاقا من أطروحاته وشعاراته السياسية فحسب ، بل يجهد نفسه ، أيضا ، في اغتصاب هذه الاطروحة وهذا الشعار من خلال العمل الادبي ، حيث يسقطها عنوة على هذا العمل ، لكي يبدو كأنما هو استخرجها من داخله ، ليصنع لنفسه ركائز سياسية وأيدولوجية ، ويصطنع شريكا له في الموقف . ويتبدى ذلك ، مثلا ، في قراءته لرواية **اميل حبيبي** « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل » ، حيث يتوصل ، في قراءة احد مقاطعها ، الى ان « هذا المقطع يفضح ويعري مواقف كبار القوم » (ص ١٨٧) ، ثم يعود ليسقط موقفه ، ويستثمر مقطع الرواية لتقديم اطروحاته السياسية وليرفع شعاراته من جديد .. « يتحتم علينا ان نعي طبيعة الشعار المضلل « كلنا فدائيون » ، وأن نضع الحواجز في طريق تسللهم (المقصود كبار القوم) الى قيادة الثورة حتى لا يعجلوا بنهايتها من الداخل ، ولنناضل من أجل ان يتسلم قيادتها أصحاب المصلحة الحقيقية في النضال ومقارعة الاستعمار » (ص ١٨٨).

وبالمثل ، يستثمر الكاتب رواية **رشاد ابو شاور** « البكاء على صدر الحبيب » ليشن حربه على قيادة المقاومة الفلسطينية ـ وله حرية شن الحرب بعيدا عن ساحة النقد الادبي ـ وليسقط اطروحاته ، التي تجاوزت رؤية كاتب الرواية ، ليرى فيها تعميما تعسفيا يعري « قيادات المقاومة الفلسطينية في وقت لا يزال فيه الكثيرون يسبحون بحمدها ، على الرغم من هزائمها المتكررة وممارستها الخاطئة والخطيرة كذلك » (ص ٢١٠) .

ان مثل هذه القراءة السياسية الاسقاطية ، تتجاوز رؤية المحتوى السياسي متداخلا في كلية العمل الابداعي ، وتتعدى رؤيته ـ حتى ـ معزولا عن الشكل الفني ، لتكتفي بالتهويم فوقه عن بعد ، ولتسقط المواقف الذاتية للناقد على الموضوع .. بينما الموضوع عن ذلك بعيد .

فاروق وادي

Digitized by Birzeit University Library

هاني حوراني، التركيب الاقتصادي الاجتماعي لشرق الاردن، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث الفلسطيني، ١٩٧٨.

مع صدور كتاب **هاني حوراني** « التركيب الاقتصادي الاجتماعي لشرق الاردن » نستطيع القول ، باطمئنان ، بأن اللبنة الأساسية لكتابة تاريخ المجتمع الاردني ، ما بين سنة ١٩٢٠ و ١٩٥٠ ، قد وضعت ، وهذا يعني أن اية دراسة جديدة عن تاريخ شرق الاردن لا بد ان تبدأ من حيث انتهى هاني حوراني ، أو على الاقل باعتباره من اهم وأغنى مصادر البحث العلمي ، على المستويين الاكاديمي والمنهجي المادي .

لقد جاء هذا الكتاب ثمرة جهد طويل ومضن ، على صعيد المعلومات الهائلة التي يحتويه ، وحيث الكاتب مسلح بمنهج التحليل المادي التاريخي ، والذي تمكن ، من خلاله ، من رسم لوحة غنية لبيئة المجتمع الشرق اردني ، بمختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وذلك من خلال مرافقته لتشكلها وصيرورتها ، منذ ما قبل عام ١٩٢٠ والى اواخر عام ١٩٥٠ .

لقد عثر **هاني حوراني** ، المتملك للمنهج المادي التاريخي ، على المفتاح الذي ساعده على فتح مغاليق التركيبة القبائلية المعقده ، وهي المجموعة البشرية البدوية التي لم تلبث أن شكلت المجتمع الاردني بعد تاسيس الامارة ، في عام ١٩٢١ ... ولا ندري لماذا حرص **هاني حوراني** على ابقاء هذا المفتاح سرا ، فلم يشر اليه ، على امتداد صفحات كتابه ، ونعني به **ابن خلدون** ومقدمته الهامة ، التي عاين بها التركيب الداخلي للبنية القبائلية ، وتطورها الداخلي ، وصيرورتها الى دولة ، عبر انتقال قممها العليا الى ارستقراطية قبلية ، من خلال تملك الاراضي الواسعة ، والثروة الحيوانية ، أو من خلال حراسة القوافل التجارية ، والمشاركة بها ، الى جانب الغزوات والخوات التي تفرضها زعامة القبلية على الجوار المستضعفين .

ان المفتاح الخلدوني ، وحده ، هو الذي يستطيع الباحث التاريخي ، من خلاله ، دراسة التركيبة القبائلية المعقده، وحركة تطورها ، باتجاه الحضارة ، أي الزراعة ، ومن ثم الانحلال في تركيب طبقي تاريخي جديد ، وعلى ضوء الظروف الخاصة والعوامل المتعددة المؤثرة في هذه التركيبة وتحولاتها .

وفي الدراسة المحددة عن شرق الاردن ، وفي المرحلة الزمنية التي يبحثها **هاني حوراني** ، فقد تمكن من وضع يده على المفاصل الاساسية للوضع القبائلي وشبه القبائلي (الزراعي ـ الرعوي) ، وأن يرصد عوامل حركته وتطوره ، سلبا وايجابا ، ليحدد ، من خلال ذلك ، الظروف التي اسهمت في تأسيس الامارة ،

Digitized by Birzeit University Library

واستمرارها ، وموقع ودور الدولة المركزية في صياغة المجتمع الاردني الجديد ، طبقيا ، واقتصاديا · ولكي تلعب الدور السياسي والامني المناط بها من قبل الاستعمار البريطاني ·

واذا كان التوفيق يحالف الكاتب ، دائما ، في رسم صورة الواقع ، بكل تفاصيله وغناه وتنوعه وتعقيده وتطوره ، فان مثل هذا التوفيق يجانبه في احيان اخرى ، وخاصة بالنسبة لبعض الاستنتاجات التي يقدمها ، والتي مبعثها، في تقديرنا ، وجود تصور مثالي نموذجي ميكانيكي ، وليس جدلي ، لتطور البنى القبائلية عبر تطور انماط انتاجها وتنوعها لتنحل هذه البنى القبلية في بنى طبقية تعزز وتكون الدولة ·

فالكاتب يلاحظ أن المجموعات السكانية في شرق الاردن قد شهدت نمط انتاج رعوي ، واخر مختلف (رعوي + زراعي) ، وثالث زراعي شبه اقطاعي ، وهذا التعدد في انماط الانتاج لا يشكل ، كما يقول الكاتب ، وحدة مجتمعية متجانسة ، بسبب التفاوت في تطور قوى وعلاقات الانتاج ، مما جعل من كل نمط منها مجتمعا متميزا ومستقلا ، عبر عن نفسه بتشكيل الحكومة المحلية بعد انهيار الحكم الوطني في سورية ، ايضاحا الملك فيصل في كل من عجلون والسلط والكرك ·

كما ان هذا التنوع نفسه لم يسمح لأي من هذه الوحدات ، وبسبب ضعفها وتخلفها ، كي تقوم بفرض سيطرتها على كافة المنطقة ، واقامة سلطة لها ، مما سمح للامير عبد الله، وبدعم من بريطانيا، أن يفرض نفسه فوق الجميع · لا شك أن مركز الخلل ، في هذا الاستنتاج ، مبعثه تصور تطور مستقل للمجموعات القبائلية في شرق الاردن ، وبشكل منفصل عن الواقع العربي المحيط به ، والذي جعل من شرق الاردن جزءا من مملكة فيصل ، وبالتالي فان ارجاع عدم تشكل دولة شرق اردنية بفعل تنوع أنماط الانتاج فيها وضعف أي طرف فيها من انجاز هذه المهمه ، هو الذي سمح للامير عبد الله الوافد من السعودية بتشكيلها هو استنتاج خاطىء يتصور ان ثمة مسار تاريخي سيسمح لاحد هذه الانماط الانتاجية في حالة قوته بتشكيل دولة شرق أردنية ، بمعزل عن محيط سوريا الكبرى ، على الاقل · هذا على الرغم من ان هاني حوراني يدرك ، من الناحية السياسية ، أن الكيان الاردني ، كدولة ، هو كيان مصطنع من الاساس ، ولا يعبر عن تطور موضوعي لنمو القوى الطبقية والاقتصادية، التي تعزز الدولة آنذاك ·· ولكن ربما ـ وهنا مركز الخلل ـ فيما بعد عندما يكتمل هذا التطور الموضوعي ·

من جهة ثانية فان هاني حوراني يصف هذا التنوع في انماط الانتاج بانه مشوه· وهذا الوصف ، في تقديرنا ، غير صحيح، اضافة الى انه غير علمي ، ذلك انه يتناول هنا المرحلة التي سبقت ١٩٢١ ، وهنالك فارق نوعي تاريخي بين المرحلتين · ففي المرحلة الأولى تتصل حالة التنوع الانتاجي بظروف الجغرافيا والمناخ ، وفي تداخل انماط انتاجية متعدده ، في مرحلة تاريخية واحده ، ففي روسيا القيصرية ، مثلا ، كنت ترى الرأسمالية الصناعية الى جانب المشاعية كنمطي انتاج غاية في التفاوت التاريخي ، وان كانت السادة النمط انتاج واحد · وتداخل انماط الانتاج يبرز ، بوضوح اكثر ، في فترات التحول من نمط انتاج الى نمط انتاجي أرقى · مما يظهر اللوحة الاجتماعية الاقتصادية على درجة عالية من التعقيد (الغموض وهو ما اشار اليه هاني حوراني مرارا ·

ان وصف مرحلة ما قبل ١٩٢٠ بالتشوه

Digitized by Birzeit University Library

غير صحيح ، كما نرى ، ولكنه صحيح تماما ، فيما يتصل بالمرحلة الثانية ، أي ما بعد عام ١٩٢١ ، ذلك أن الدور الذي قامت به الدولة المركزية كان يتطلب ضخامة هائلة على كافة الاصعدة الادارية، والامنية ، والعسكرية ، والوظيفية ، وهذه الضخامة لا تتناسب ، بأي حال ، مع واقع القوى الاجتماعية والاقتصادية في شرق الاردن ، مما اوجد تشوها فعليا ومصطنعا ، ولأهداف سياسية معروفه ، لا مجال هنا للحديث عنها . ذلك أن تطور حجم جهاز الدولة المركزي وقوته انما يمثل انعكاسا حيا لواقع التركيب الطبقي والاقتصادي في المجتمع . وهذا ما بحثه وأكده **هاني حوراني** ، بدقه وعمق بالغين، فيما يتصل بالمجتمع الشرق اردني وتطوره المشوه بعد تأسيس الامارة. وكلمة اخيرة، فان هذا الكتاب لا يمثل فقط ، مصدرا اساسيا لدراسة المجتمع الاردني وحركة تطوره التاريخية ، وانما يمثل ، في تقديرنا ، نموذجا متقدما لكتابة التاريخ في مختلف الاقطار العربية وعلى اساس المنهج المادي التاريخي ، مما يدعونا الى التوجه للجميع للاعتناء به وايلائه اعلى درجات الاهتمام .

نزيه عيسى

حليم احمد ، موجز تاريخ العراق الحديث .

١٩٢١ – ١٩٧٨ ، بيروت ، دار ابن خلدون ، ١٩٧٨

كتابة التاريخ كونها عملية ارتقت الى العلم بشموليته ، عندما كفت عن ان تكون مجرد عملية وصفية تقريرية ، فهي لا تستمد جدواها المعرفية الا ضمن تشابكها مع المعطى من الوقائع والاحداث ، داخل النسق المنهجي الذي يذهب بعيدا – رحابة وعمقا – في الجذر التاريخي – الاجتماعي – الاقتصادي .

لا يمكن ان يتم ذلك عبر تعقيد المبسط او عبر تبسيط المعقد ، ففي الحالة الاولى تطمس صيرورة الحقيقة التاريخية عندما يتم طمس الحدث التاريخي ، بانحساره في ذاته ، او حصاره بذاته ، وفي الحالة الثانية تضيع ايجابية الحدث التاريخي عبر ضياع التسلسل ، بأن يتحول الى نوع من « الثبات الثبوتي » ، نوع من سيادة الامر الواقع .

ان الخروج من معقل البحث الضيق ، في المسالة التاريخية ، سواء بالميل الى السلفية ، او الانتقائية ، او بالتعاون مع ادوات التأخر التاريخي الاستعماري ، لن يتم الا عبر القطيعة التامة مع حرية لا زالت تنادي بتحرر القلب والذهن من تأثير الواقع والكون ، مع السماح لنفسها بإهمال تكسير الاغلال التي تشد قبضتها على التاريخ الخاص والخصوصي ، الذي يصنعه ذلك الانسان عندما يبدأ بتكسير اغلاله .

كيف يمكن ان نعيش تاريخنا الخاص والخصوصي ، دون ان نصنع ذلك التاريخ ؟ وكيف يمكن ان نكتب ذلك التاريخ عبر استنطاقه بالوقائع الحية ، دون ان نستطيع استنطاقه بالمشاركة الفعلية ؟

لا بد ، للتخلص من كل الشوائب التي تمنعنا من التوجه نحو امتلاك تاريخنا

Digitized by Birzeit University Library

عبر استيعابه في جدليته ، ان نخضع للفكر التاريخي بكل مقوماته التي ترتكز على صيرورة الحقيقة التاريخية ، التي هي ـ دائما ـ واحدة ومتحدة ، واصلة ومتصلة في معطياتها ، ثم على ايجابية ما يسمى « بالحدث التاريخي » ، الذي لن يكتسب فاعلية استنطاقه الا عبر تسلسله المتصل ، المقدمات بالنتائج ، عند ذلك تأتي مسؤولية الاقراد ، التي لا نعني بها غير الحقيقة القائلة ان الانسان هو صانع التاريخ .

★

يضع **حليم احمد** ، في مقدمة كتابه « موجز تاريخ العراق الحديث ١٩٢١ ـ ١٩٥٨ » السؤال التالي : « لماذا .. الموجز في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ؟ » ليجيب عنه بقوله « ان الهدف الاول والمباشر لهذه الدراسة هو القيام بمحاولة جدية لسد تلك الثغرة في المكتبة العربية ، لكي يتسنى ، فعلا ، لاعداد كبيرة من القراء امكانية التعرف على تاريخ العراق ، بالاستناد الى هذه المعرفة ، لابداء تفهم اكبر واكثر صوابا لما جرى ويجري من احداث تطورات خاصة في الفترات اللاحقة ، فعندما تقع احداث كبيرة او انعطافات حادة داخل العراق او في بلد يجاوره ، تتجه انظار المواطن العراقي خاصة ، والعربي عامة ، للبحث في اسباب ومن ثم نتائج تلك الاحداث ، ونظرا لكون الكثيرين لا يذهبون بعيدا في دراسة وتحليل الاسباب والمقدمات التاريخية العميقة التي ساهمت في صنع تلك الاحداث والظواهر ، فانهم يطلقون العنان لمخيلاتهم وعواطفهم او لنزعاتهم الارادية لتفسيرها ، فيشعرون ، بعد حين ، بخطأ تلك التخيلات والنزعات ، لان سير الاحداث ، ومجرى العملية التاريخية قد انجزتا بشكل موضوعي . وبصرف النظر عن تصوراتهم ، في اتجاه لا يتطابق غالبا مع تلك التصورات والافكار » .

« اما الهدف الثاني لهذه الدراسة ، والذي لا يقل اهمية عن الهدف الاول ، فهو تقديمها وفق منهجية علمية شمولية في دراسة التاريخ ، التي هي اضافة لكونها المنهجية الاكثر صحة وصوابا في كتابة التاريخ ، فان استخدامها ، في هذا الموجز ، يفيد في تركيزها على كل ما هو جوهري واساسي في سير عملية التطور التاريخي ، اي التركيز على المؤشرات الاساسية والفاعلة في سير تلك العملية حيث يمكن ، على ضوئها ، فهم دلالات الكثير من التفاصيل والاحداث الصغيرة الاخرى ، الاقل اهمية » .

« ان معظم الكتابات التاريخية » ، يقول **حليم احمد** ، « الرسمية وغير الرسمية ، التي ارخت ولا زالت تؤرخ للعراق او لبقية البلدان العربية ، تتبع النهج السائد في كتابة التاريخ ، وهو المنهج المثالي والسلفي والارادي الذي يتميز بالطريقة الوصفية لاحداث التاريخ وظواهره ، والذي يتخذ اسلوبا احادي الجانب في كتاباته ، كالتركيز ، مثلا ، على دور الحكام والافراد والانظمة السياسية ، التي هي ، رغم اهمية فعلها وتاثيرها في صنع التاريخ ، الا ان فعل ودور الناس ، فعل ودور الشروط الاقتصادية الاجتماعية هي التي تلعب الدور الحاسم في نهاية المطاف ، في صنع التاريخ واحداثه اضافة لتاثير وفعل العادات والتقاليد وافكار وثقافة الناس في ذلك ، اما دور الحكام والافراد فهو المحصلة والانعكاس لتاثيرات تلك العوامل ، سواء كان التعبير عنها سلبيا ام ايجابيا » .

بعد هذه الملاحظات ، التي يرى مؤلف الكتاب اهمية سياقها في المقدمة ، كضرورة لايجاد مناخ تلمس المشكلة التي يتواجد في قاعها كل من حاول كتابة التاريخ دون التمكن من ادوات الكتابة المنهجية ، يمضي الى تبيان هيكلية الدراسة ، فيقول « لقد قسمتها الى ثلاثة

Digitized by Birzeit University Library

اقسام ، القسم الاول ويشمل عددا من الفصول المتعلقة بتاريخ العراق الحديث ، اي القرن الاخير من السيطرة العثمانية على العراق ، وهو القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، حتى تأسيس العراق الحديث وقيام النظام الملكي ، عام ١٩٢١ · والقسم الثاني هو بمثابة المرحلة الاولى من تاريخ العراق المعاصر ، اي ابتداء من العام ١٩٢١ حتى قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) عام ١٩٥٨ ·

اما القسم الثالث : فيمثل بداية المرحلة الثانية من التاريخ المعاصر ، بقيام النظام الجمهوري ، حيث افتتحت ثورة تموز عام ١٩٥٨ مرحلة جديدة لها سماتها وخصائصها المميزة » ·

– في الفصل الاول « العراق تحت السيطرة العثمانية ١٥١٦ – ١٩١٤ » من القسم الاول ، لاحظ **حليم احمد** ان قاعدة الانطلاق لدراسة وفهم التطور اللاحق للعراق ، ترتكز الى الحقبة التي عاشها العراق تحت ظل السيطرة العثمانية ، التي امتدت الى اربع قرون ، وبرغم ظلام تلك الحقبة ، اذ تميزت بالنهب والاستغلال والتجهيل ، الا انها ادخلت بعض « الاصلاحات » على يد بعض الولاة المماليك ، في القرن التاسع عشر ، وذلك ضمن هدف تثبيت وتأييد سلطة الدولة العثمانية المركزية عبر ولاتها التابعين لها ·

– كان **داود باشا** (١٨١٧ – ١٨٣١) من ابرز المماليك الذين تولوا حكم العراق منذ (١٧٤٩ حتى سقوط اخرهم وهو داود نفسه في عام ١٨٣١) · ففي عهده تمت بعض الاصلاحات ، كما تمت المذابح « فما ان استلم الولاية حتى حاول تصفية نظام الامتيازات الذي كان عبئا ثقيلا على كاهل التجار المحليين والذي كان ضمن عدد من الامتيازات **لشركة الهند الشرقية** ووكلائها ومعظمهم من الفرس ، حيث جردوا ، عام ١٨٢١ ، من امتيازاتهم ووضعوا على قدم المساواة مع التجار المحليين ، فردت الشركة على هذه الاجراءات بحرب حقيقية ، وانتهت محاولة تأمين مصالح التجار المحليين بالفشل » ·

كان **داوود باشا** يطمح الى ان يكون **محمد علي** العراق · هكذا يؤكد **حليم احمد** ، وبحثا وراء زيادة موارد الولاية، لاجل اعادة تنظيم الجيش ، استند الى احتكار شراء وتصدير الاصناف الرئيسية من المنتوجات العراقية ، قصد مركزة اقتصاد مستقل عن اقتصاد الباب العالي، الا انه لم يوفق في سلوك تلك الطريق ، عندما استعجل تمرده على الدولة المركزية ، محاولا الاستفادة من هزيمة الاتراك امام روسيا القيصرية في عام (١٨٢٨ – ١٨٢٩) · ونتيجة لضعف بنيته الاستقلالية التي حاول بنائها ، مع ظروف طاعون ١٨٣١ · كانت هزيمته امام جيش **علي باشا** قاضية ·

ومع سقوط **داود باشا** ، دخل العراق الى مرحلة حكم التفسخ الاقطاعي ، عندما اصبحت سلطة الولاة وهمية في مقدرتها على التغلب على مقاومة الاقطاعيين الذين رفضوا الاعتراف بسلطة الباشوات ·

وبدأت عملية تنظيم جميع اوجه الحياة في العراق ، بعد ذلك ، مع مجيء **مدحت باشا** عام ١٨٦١ بصفته واليا وقائدا للفيلق السادس ، انشئت في عهده طرق المواصلات والملاحة التجارية في دجلة · وعلى الصعيد الاداري ، انشأ مجلس الولايات والقائمقاميات والنواحي، وطبق قواعد الفصل بين السلطتين القضائية والتنفيذية ·

وفي المحصلة « ادت تلك الاجراءات والاصلاحات التي قام بها المماليك اولا ، ثم الولاة ثانيا ، ومهما كانت اسبابها ودوافعها ، الى تغيرات موضوعية ومتقدمة نسبيا في تطور العراق ، وقد افرزت العديد من النتائج الاقتصادية

Digitized by Birzeit University Library

والاجتماعية والسياسية ، وان ابقت على جوهر تلك البنى المتخلفة وعلاقاتها الاجتماعية الموائمة لها » . هكذا يؤكد **حليم احمد** ، غير انه لا يتوقف عند تاكيد الجانب الاسود السلبي لسيطرة هؤلاء المماليك والولاة على العراق ، بل يقول « لقد افرزت سيطرة العثمانيين وسياسة وممارسة ولاتهم على العراق ، وضعا اجتماعيا متدهورا ، ونتج عنه وضع سياسي متفجر بالانتفاضات والتمردات . وابتداء من القرن التاسع عشر وحتى السبعينات منه كان العراق ، بلدا خربا ومصابا بالتدهور الاقتصادي غير المالوف بالنسبة لهذا البلد ، فقد اجتاحه الطاعون عام ١٨٣١ ، وانزل ضربة بقواه الانتاجية » .

وفي اواخر القرن التاسع عشر ، واوائل القرن العشرين ، سقط الرجل المريض نهائيا ، لتستحوذ بريطانيا على كل تركته ، فيدخل العراق تحت المظلة البريطانية الاستعمارية ، وهو الذي ظل مركز مصالح وامتيازات ومحط انظار ومطامح الدول الاستعمارية الاوروبية / البرتغال : كان لها تواجد في البصرة ، فرنسا ، كانت لها بعثات تبشيرية في عهد نابليون ، المانيا ، عبر اسطولها البحري الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد بريطانيا/ وروسيا القيصرية وايران ، التي ظلت ، الى حين قريب ، تتطلع الى هضاب العراق الزراعية ، واجدة غطاء لذلك الطمع عبر وجود العتبات المقدسة (النجف وكربلاء) .

مدت بريطانيا نفوذها على بلاد الرافدين ، مما احدث شبه انقلاب داخل المجتمع العراقي الذي خرج توا ، من حكم المماليك والولادة . وحيث كانت سلالة المماليك تستحوذ على السلطة والارض في العراق ، بدات ، مع مطلع القرن العشرين، عملية بروز « ابناء العائلات والمتنورين وزعماء العشائر والاقطاعيين في تصدر الحركة (الاستقلالية) ضد الدولة العثمانية ، وبالتالي فقد تصدروا قيادة النضال ضد الاحتلال البريطاني ، استطراداً ، ومن بعد قيادة ثورة العشرين » .

ـ في الفصل الرابع « ثورة العشرين التحررية الوطنية » يتعرض المؤلف لاهميتها فيقول « تحتل ثورة العشرين في تاريخ العراق الحديث ، مكانة واهمية كبيرتين ، كونها ابرزت ، بوضوح ، المستوى المتقدم من النضج في وعي الشعب العراقي الذي عبر عنه في رفض الاحتلال الاستعماري ومقاومته له بقوة وعنف شديدين ... لقد كان وجود القوات البريطانية ذاتها ، في مقدمة الاسباب المباشرة للثورة . فما ان اعلنت بريطانيا عن محاولتها لتثبيت اوضاعها وفرض الانتداب ـ وذلك بعد اعلان قرارات مؤتمر « **سان ريمو** » وانتهاء اعماله واقراره بوضع العراق تحت الانتداب البريطاني ـ حتى اندلع لهيب الثورة . وكان اعلان الانتداب هو الشرارة التي سببت الانفجار ، حيث قوبل « بغضب واستياء شديدين قرار المجلس الاعلى لدول الوفاق في **سان ريمو** (٢٠ نيسان ١٩٢٠) ، بشأن منح بريطانيا حق الانتداب على العراق ، بالاضافة الى ذلك ، فقد مثلت دعوة (الحكومة) التي عينتها الادارة البريطانية ، الى الاستفتاء العام وتجنيد الالاف للخدمة في صفوف قوات الاحتلال ، مثلت اسبابا رئيسية مباشرة للثورة » .

ان ثورة العشرين لم تكن غير الامتحان العسير الذي خاضه الشعب العراقي في وحدته امام التهديد الخارجي ، وبذلك شكلت ثورة العشرين ، على لسان المؤلف ، « بروفة » لمعظم الانتفاضات والتمردات القوية التي وقعت في العراق

Digitized by Birzeit University Library

طيلة الحكم الملكي .

وفي اطار تحالفات اقامتها بريطانيا مع بعض القوى التقليدية داخل التركيبة الاجتماعية السائدة ، استطاعت بريطانيا القضاء على ثورة العشرين ، في افقها الوطني ، عندما انحرفت بفعل تواجد قوى كانت لها مصلحة في التواجد البريطاني .

في القسم الثاني من الكتاب ينتقل الكاتب الى « تاريخ العراق المعاصر » ، فيحدد المرحلة الاولى من ١٩٢٠ الى ١٩٥٨ ، اي من قيام النظام الملكي الاقطاعي وتأسيس المملكة العراقية (تعيين **الامير فيصل ملكا** وتأسيس المملكة) الى ثورة ١٤ **تموز الوطنية** .

في الثاني عشر من اذار عام ١٩٢١ عقد « مؤتمر القاهرة برئاسة ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية ، انذاك ، وقد حضره عن العراق **بركس كوكس** (المندوب السامي) **ومس بيل** (سكرتيرته للشؤون الاجنبية) **وحسقيل ساسون** (وزير المالية العراقي وهو يهودي) **والجنرال هلدن** وعدد من المستشارين البريطانيين . وفي هذا المؤتمر تم ترشيح **فيصل** لعرش العراق ترشيحا نهائيا » واعتبارا من اب عام ١٩٢١ ، سمي **الملك فيصل (الاول)** على العرش ، وبدأ بتنفيذ سياسة بريطانيا ، من خلال العراق في المنطقة .

« وفي عام ١٩٢٢ تم رسم الحدود بين العراق والحجاز ، ثم بين العراق وتركيا . ولما احتدم الخلاف حول الحدود مع تركيا ، تخلت الاخيرة عن الموصل وحصلت بريطانيا ، بضم الموصل الى العراق ، على منطقة غنية بالنفط » .

لقد ظلت الطبقات الشعبية تنتفض دون تمثيل ، ودون توجيه ، فالاحزاب التي انشئت لم تستطع اجتياز افاقها الاصلاحية **(حزب النهضة العراقية ، الحزب الوطني العراقي ، حزب الشعب ، ثم حزب الاخاء الوطني)** ، حيث كانت مطاليبها كلها « تتلخص في حل البرلمان وتشكيل وزارة جديدة لاعادة النظر في معاهدة ١٩٣٠ » .

في تلك الفترة ، كانت الطبقة العاملة العراقية لا تزال عديمة الفعالية من ناحية حضورها السياسي ، غير انها كانت في طريقها الى التبلور لتخوض معاركها ، بكل شراسة ، ضد نظام الاقطاع المتحالف مع الاستعمار .

في عام ١٩٣٢ ، كان العراق يدخل كعضو جديد في **عصبة الامم** ، بعد ان الغي الانتداب ، غير ان معاهدة ١٩٣٠ ابطلت قبل ذلك اهمية الغاء الانتداب . على ان الحقيقة التاريخية في مسارها العام كانت تكشف عن اهمية خطوة متقدمة في تاريخ العراق المعاصر .

وبرغم استمرار نفس التركيبة الاجتماعية في الحكم حتى ما بعد الاستقلال ، حيث ظلت نفس العلاقات الاستغلالية قائمة ، الا ان هذه الفترة سوف تكون حاسمة ، زاخرة بالتحولات ، وهو ما ميزها عن بقية الفترات التاريخية التي سادت فيها افاق المطلبية والحركات الاصلاحية .

وفي ظروف كانت تسحق فلاحي وعمال وطبقات الشعب العراقي ، خصوصا بعد انعكاسات ازمة الرأسمالية (١٩٢٩) على اطرافها ، وفي ظروف كانت تعزز واقعا موضوعيا لنجاح اي حركة جماهيرية ظلت الاحزاب الاصلاحية والكتل البرلمانية تتصارع فيما بينها ، قفز **الفريق بكر صدقي** الى السلطة اثر انقلاب عسكري ، في تشرين الاول عام ١٩٣٦ ، وهو اول انقلاب عسكري في العالم الع بي يقوم به جيش بالتمرد على الس ة القائمة ، ويستلم ، عبر قادته ، السا ة الجديدة . الا ان دخوله في مغازلات مع رجال العهد السابق (اربع وزارات) ومع

Digitized by Birzeit University Library

الالمان عبر السفير الالماني ، قد حدد من اصلاحاته التي شرع في تنفيذها حال صعوده (توزيع اراضي ، تشجيع نواة صناعية ، تحديد مسؤولية الانكليز) ، واتجه الجنرال صدقي الى تركيز دكتاتوريته العسكرية ، فحد من نشاط «جمعية الاصلاح الشعبي» الى حين صفي صدقي جسديا .

في مارس ١٩٤١ ، صعد الجيش ، مرة ثانية ، الى الحكم عبر تشكيل « حكومة الدفاع الوطني » برئاسة رشيد عالي الكيلاني .

« وفي شباط عام ١٩٤٦ ، شكلت وزارة جديدة سميت « عهد السلم » ، وخلال هذه الفترة تصاعد نضال الحركة الوطنية والديمقراطية » وبدأت عدة احزاب في البروز والنشاط ، خصوصا بعد تدخل الانكليز مباشرة لضرب المد الشعبي واستمرت مطاردة القادة الاربعة ، الذين غادروا العراق اثر انهيار المقاومة .

« وباندلاع ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨، دشن العراق مرحلة جديدة من تاريخ تطوره من اجل تحقيق الاستقلال الوطني بشكل ناجز ، والتمهيد للانطلاق الى مرحلة ارقى من البناء والتقدم الاجتماعي والاقتصادي » .

« ان المرحلة الجديدة ، مرحلة قيام النظام الجمهوري ، التي ابتدأت في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، لم تنته بعد . نظرا لان العديد من اهداف الثورة ، لم تنجز بعد ، ولان معظم القوى والطبقات الاجتماعية التي سيطرت على السلطة منذ قيام الثورة ، لا زالت في المواقع نفسها ، وبالتالي فان التغييرات والانقلابات التي وقعت بعد ذلك ، وحتى الان ، لم تمثل ، بطبيعتها وسياستها، مرحلة ذات خصائص وسمات تميزها عن بعضها ، تمييزا نوعيا ، وان اختلفت من حيث ، خصائص تركيبها وتمايز تطورها التاريخي واكتسابها منطلقات فكرية ، تعين حجم ملامحها الوطنية وحدودها ، عبر تقدم هذه السلطة خطوة الى الامام ، وتراجع تلك خطوة او خطوات الى الوراء » .

★

ونصل الى باب الاستنتاجات ، التي توصل اليها حليم احمد ، فيكتب : ان تاريخ العراق الحديث والمعاصر « هو تاريخ الصراع الحاد بين اتجاهين ، اتجاه الاغلبية الساحقة للشعب وقواه واحزابه الوطنية والديمقراطية والكافحة من اجل تحقيق استقلال حقيقي وناجز للعراق على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، وبين اتجاه السلطة ، بل الحكومات المتعاقبة ، التي تعيق تحقيق تلك الاهداف وتزيد في كل فترة من ارتباطها وتبعيتها بالاستعمار وبالاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وتلجأ لممارسة شتى صنوف الارهاب والقمع الى حد الاعدام واطلاق الرصاص على المتظاهرين من اجل التشبث بالسلطة وبسياساتها » .

ويركز المؤلف استنتاجاته في بعض النقاط :

ـ كان النضال من اجل التحرر والاستقلال الاقتصادي والسياسي يشتد ويتصاعد مع نمو الاحزاب الوطنية والديمقراطية .

ـ كان نمو الاحزاب والمنظمات واذن تبلور الوعي الايدلوجي والسياسي يتقدم مترافقا مع احتدام حركة الصراع وتطورها الموضوعي .

ـ كانت حدة الصراع ، بمثابة التعبير السياسي عن حالة الاستقطاب الحاد داخل المجتمع ، ادى ذلك الى تشديد القمع واساليبه من جهة ، ومن جهة ثانية الى تصلب الحركة السياسية المعارضة وانضباطها ، وسيادة الروح الكفاحية لديها .

Digitized by Birzeit University Library

ـ كانت الامكانات العراقية الهائلة ، وموقعها المادي والجغرافي تساعده على ان يلعب دوره المؤثر ، سلبا وايجابا ، في كامل المنطقة · ولذلك كان العراق ارضا خصبة لاحتدام حركة الصراع بكل كثافتها ·

ـ كانت القضية الكردية قد اثرت ولا زالت في طبيعة تطور العراق الاقتصادي والاجتماعي · وعجز الحكومات المتعاقب، هو عجز ، بالاساس ، عن توفير المناخ الديمقراطي ، مما جعل من القضية الكردية جرحا نازفا في قلب الشعبين العراقي والكردي ·

وبعد · فكيف لنا ان نوجز كتابا اراد لنفسه ان يكون موجزا !! ان كتابا مبسطا كالذي بين ايدينا ، سواء من ناحية حرصه على استنطاقه لكل الوقائع الحية او حرصه على محاذاة المنهجية العلمية لهو عمل تحتاج اليه المكتبة العربية ، رغم تواضعه المتزج بحرارة الموضوعية ·

الصافي سعيد

Digitized by Birzeit University Library

نمر سرحان . موسوعة الفولكلور الفلسطيني .عمان ١٩٧٧

موسوعة الفولكلور الفلسطيني ، ليست العمل الاول **لنمر سرحان** في ميدان الدراسات الفولكلورية · فمؤلف الموسوعة له عدة ابحاث ودراسات منشورة في بعض الدوريات العربية المعنية بهذا الميدان، مثل : مجلة **الفنون الشعبية** الاردنية ، مجلة**التراث والمجتمع** ، التي تصدر عن لجنة الابحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني والتابعة **لجمعية انعاش الاسرة** ـ البيرة ، مجلة **التراث الشعبي** البغدادية وذلك بالاضافة الى مجلة شؤون فلسطينية· كما انه اصدر كتابين مهمين ، هما : اغانينا الشعبية في الضفة الغربية ، واحياء التراث الشعبي · غير ان صدور هذه الموسوعة ، في هذا الوقت بالذات ، له اهميته القصوى · فالحركة الفولكلورية الفلسطينية ما زالت تخطو خطواتها الاولى متخلفة عن الحركة الفولكلوزية في بعض البلدان العربية ، اذا جاز ان نطلق على ما تم ، حتى الان عندنا ، « حركة » · ففي روسيا والغرب نشأت الحركة الفولكلورية في احضان الحركة القومية وتبني الطبقات البرجوازية لها في ظروف الانبعاث القومي · وتتشابه البواعث على نشأة الحركة الفولكلورية العربية والفلسطينية مع تلك البواعث الموجودة لدى الشعوب الاخرى ، مع خصوصية فلسطينية ، ارتبطت بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، التي تميزت بها فلسطين ، منذ مطلع القرن الحالي · حيث واجه الشعب العربي الفلسطيني وما زال التحالف الاستعماري ـ الصهيوني ، الذي نجح في اقامة كيان استيطاني على ارض فلسطين ، نتج عنه عملية شتات للمجتمع العربي الفلسطيني ·

في النصف الاول من هذا القرن اقتصر الاهتمام بتراث الشعب الفلسطيني وعاداته وتقاليده على بعض الباحثين والمبشرين الاجانب ، انطلاقا من الاهتمام بالارض المقدسة وفلولكلورها ، مقارنة بالعهد التوراتي · ولم تكن بواعثهم ، من وراء ذلك ، البحث عن الخصائص القومية لهذا الشعب ، بل كانوا مشبعين بروح عدائية وعنصرية ، ومحكومين بعقلية الاستشراق ، مع استثناءات قليلة ، نذكر منها الالماني Gustav H . Dalman

وفي الوقت الذي كان يخوض فيه الشعب الفلسطيني نضالا مريرا من اجل تأكيد هويته الوطنية والقومية ، لم يبرز ، مع الاسف ، جهد مقابل لجهد المستشرقين ، باستثناء الجهد الجبار الذي قام به **الدكتور توفيق كنعان** الذي لم يكن ، بحكم مهنته كطبيب ، متفرغا لهذا العمل · ونشر **الدكتور كنعان** ابحاثه عن التراث الشعبي الفلسطيني باللغتين الانكليزية والالمانية · ونذكر ، بجانب **الدكتور توفيق كنعان ، اسطفان اسطفان** ، الذي ساهم ، بدوره ، في الحفاظ على التراث الشعبي الفلسطيني خلال ابحاثه ودراساته ·

وبعد نكبة عام ١٩٤٨ ، وما تلاها من حروب عربية ـ اسرائيلية ، احتل بنتيجتها ما تبقى من الارض الفلسطينية ، برزت الحاجة الى سلاح الفولكلور بجانب الوسائل الاخرى ، بغية تأكيد الهوية الوطنية الفلسطينية ، في ظل المحاولات المستمرة لسلطات الاحتلال لتشويه وسرقة تراثنا · ولا يمكن هنا اغفال وظيفة الفولكلور الاجتماعية ، كوسيلة لربط وجدان الانسان الفلسطيني بتراثه ، وشحذ شعوره الوطني ·

Digitized by Birzeit University Library

ويواجه الباحث في مجال الفولكلور الفلسطيني ، كما في مجالات البحوث التي تتصدى للواقع الاجتماعي الفلسطيني، صعوبات منهجية وعملية عدة · ذكر المؤلف ، في مقدمة الجزء الاول من الموسوعة ، ما واجهه منها في مجال بحثه : « لقد كانت اجزاء كبيرة من الارض تحت الاحتلال ، ثم اصبحت كلها وراء اسواره ، واما الشعب فقد توزع بين المنافي والارض المحتلة ، وكذلك فقد عمل الشتات عمله في خلق مزيج غير متجانس من السكان وجدوا في المخيمات، او هنا وهناك في الاحياء الشعبية من المدن العربية وقراها · واما الجيل الذي نشأ بعد عام ١٩٤٨ ، والذي كان نصيبه العيش في (المنافي والخيام) ، فقد نشأ منفيا عن الارض الام ، بحيث انقطع تفاعله ، وانما ، بحيث اصبحت شخصيته تتأرجح بين ذكريات باهتة وواقع مغاير · وهكذا ، فقد ادت ظروف الاحتلال ، وتوزع الشعب ، وضياع الوحدات الشعبية المتجانسة (التي كانت قائمة في القرى الفلسطينية وفي الاحياء الشعبية من المدن) الى توارى المظاهر الشعبية الفلسطينية كما كانت قائمة قبل عام ٤٨ ...

ولقد ادى كل هذا الاضطراب الذي اعترض حياة الشعب ومصيره الى تشويش في الحياة الشعبية ، مما خلق صعوبة كبرى في مسح جوانبها المختلفة ودراستها بأناة وهدوء ، هذا فضلا عن ان اجزاء من الارض لم يكن من الممكن لدارس عربي يقيم في المحيط العربي خارج فلسطين المحتلة ان يدرسها · ولذلك فان المؤلف هنا سيدرس الواقعة الفولكلورية ويربطها بالمكان والزمان والرواية · ولن يتخذ اسلوب التعميم لانه خاطىء ، هذا عندما يكون المرجع من العمل الميداني ، وعندما يكون المرجع من المكتبة فان الاسناد يعود لمؤلف تلك الدراسة ...

يعيد المؤلف جذور العمل في هذه الموسوعة الى عام ١٩٦٦ ، حين قام ، بصورة عفوية ، بأول زيارة ميدانية لقرية النبي صالح ، بقضاء رام الله ، لجمع نماذج من الاغنية والموسيقى الشعبية ، بهدف اعداد برنامج اذاعي عن القرية الفلسطينية لاذاعة صوت فلسطين في القدس · ومن بعدها بدأ اهتمامه بجمع معلومات عن الحياة الشعبية من الناس ومن طلبة معهد المعلمين في رام الله ، حيث كان يعمل مدرسا لمادة التاريخ ·

وعن طريق استمرار المؤلف في عمليات المسح الفولكلورية لبعض المناطق الفلسطينية ، ومن خلال المنحة الدراسية التي اتاحت له زيارة كل من فنلندا والسويد والدانمارك ، وجمع وتصوير ابحاث فولكلورية لكتاب المان وانكليز وامريكان ، واسكندنافيين عن الاراضي المقدسة ، تمكن المؤلف من تكوين ارشيف فولكلوري ، صنفه حسب الموضوع ، ضمن ترتيب هجائي عام · وهكذا ، وضعت كل المواد التي تتحدث عن « الاغنية الشعبية » في حرف الالف ، ومواد الزي الشعبي في حرف الزين ، ومواد تقاليد الولادة في حرف الواو ... وهذا نفس الترتيب المتبع في تصنيف مواد الموسوعة ، التي تصدر في شكل اجزاء منفصلة ، يحمل كل منها مادة حرف او اكثر ، بحيث يتعامل القارىء مع الموضوعات الرئيسية ، فيجد تحت فقرة (اكل) ، من حرف الالف ، كل ما يمكن ان ينطوي تحت دراسة الاكلات الشعبية · واما بالنسبة للموضوعات الفرعية ، ولناخذ كمثال (ابو ذراع) ، وهو اسم لمرض شعبي ، صنف تحت طب شعبي في حرف الطاء ، فلن نجده تحت حرف الالف ، لان المؤلف يرى ان تفتيت الموضوعات الى جزيئاتها الصغرى سيحول

Digitized by Birzeit University Library

الموسوعة الى مجرد قاموس يركز على المفردات ، ويهمل وحدة الموضوع وشموله ، بما يوضح حياة الشعب الفلسطيني ، ويبرز شخصيته الوطنية ، والتي هي الهدف الاول والاخير من هذا العمل ، كما يقول صاحبه . ويأمل المؤلف ـ بعد اصدار اجزاء هذه الموسوعة فرادى ـ ان يصدرها مجمعة في طبعة واحدة . وفي هذه الحالة يكون بامكان القارىء ان يجد الموضوع كاملا تحت الحرف المناسب ، كما يجد الموضوعات الجزئية تحت الحرف المناسب ايضا ، مع الاحالة على الموضوع الاساسي ، وعلى سبيل المثال ، ستوضع مادة طب شعبي كاملة تحت حرف الطاء ، وسيجد القارىء جزئية « ابو ذراع » تحت حرف الالف مع احالة النظر لهذا الموضوع تحت عنوان « طب شعبي ـ حرف الطاء » .

واما بالنسبة لمفردات اللهجة الفلسطينية الدارجة ، وعلى سبيل المثال كلمة « بحش » بمعنى حفر ، و « طاح » بمعنى نزل ، فلم تصنف حسب ترتيبها الابجدي ، لاعتقاد المؤلف بأن مثل هذا التصنيف ، ايضا ، سيشتت العمل ، ويحوله الى قاموس . ولذا نقلت كل المفردات اللغوية الى نهاية العمل لتجمع بترتيبها الابجدي، كملحق للموسوعة يحمل اسم « قاموس اللهجات الشعبية الفلسطينية » .

وما صدر من الموسوعة ، حتى الان ، ثلاثة اجزاء ، تغطي بمجموعها حرف الالف ، وتضم المواضيع الرئيسية التالية: ابن ادم ، الارمل والارملة ، الاسم والتسمية ، الاصل والنسب ، الاغنية الشعبية (الجزء الاول) ـ تتمة الاغنية الشعبية (الجزء الثاني) ـ تتمة الاغنية الشعبية ، الاكل الشعبي (الجزء الثالث) .

ويسوق المؤلف ، في مقدمة الجزء الاول من هذه الموسوعة ، عددا من الملاحظات سنتخذها في الاساس منطلقا لمناقشة جانبين اساسيين من جوانب هذا العمل الموسوعي ، مضافا الى هذه الملاحظات محاولة المؤلف لان يكون لعمله هذا صفة الشمول ، بالرغم من كل الصعوبات التي يواجهها الباحث ـ الفرد في مجال الفولكلور الفلسطيني . ويختص الجانب الاول ، الذي ستتناوله مناقشتنا ، بالشكل العام للموسوعة ، اي بفهرس الموضوعات الرئيسية بترتيبها الهجائي ، كما ورد معدلا في الجزء الثاني من الموسوعة . واما الجانب الثاني فيتعلق بمضمون المادة الفولكلورية الموجودة في الاجزاء الثلاثة الصادرة حتى الان ، وطريقة معالجتها :

١ ـ يقول المؤلف بانه درس الفولكلور العربي في فلسطين اي **المأثورات الشفوية والمادية** للسكان العرب في فلسطين ، مسلمين ومسيحيين . ويبدو من هذا التعريف للفولكلور ان المؤلف يتبنى وجهة النظر القائلة بأن الفولكلور يشمل المأثورات المادية بجانب المأثورات الشفوية ، ونحن نوافقه على هذا الفهم للفولكلور ، حيث ان هناك فهما اخر يقصره على الاثار الشفوية التي تصنف في باب الادب الشعبي (العالم السوفياتي **يوري سوكولوف** Y.M. Sokolov وبالرغم من ذلك ، نجد ان المؤلف قد تبنى ، والى حد كبير ، وجهة النظر الاخيرة في معالجته لمواضيع الموسوعة . وقد يكون من الضروري قبل مناقشة هذه المسالة ان نشير هنا ، باختصار ، الى نشأة مصطلح « فولكلور » وتعريفاته المختلفة : الفولكلور اصطلاح علمي مشتق من الكلمة الانكليزية Folk - lore ، التي تعني ، حرفيا ، «حكمة الشعب» او « المعرفة الشعبية » . ويستخدم معظم الباحثين ، في الوقت الحاضر

Digitized by Birzeit University Library

هذا الاصطلاح للدلالة على المادة موضوع الدراسة ، بينما يستخدم اصطلاح Folkloristics للدلالة على العلم الذي يدرس هذه المادة . وقد اضحى هذان المصطلحان عالميين . وتستخدم دول اخرى مصطلحات علمية مقابلة . ففي المانيا يستخدم مصطلح Volksunde بمعنى الفولكلور كعلم ، او بمعنى اضيق مصطلح Volkskunde ، (شعر الشعب ، الابداع الشعبي) . ويستخدم الفرنسيون ، بجانب كلمة فولكلور Folklore مصطلح traditions Populaieres (مأثورات الشعب ، وحكايات الشعب الخارقة) للدلالة على المادة موضوع الدراسة .

هذا وتعرف الباحثة البولونية **تيريسا اميروجيفتش** الفولكلور على انه المعرفة الشعبية لفئات اجتماعية محددة ، وبمعنى ادق ثقافتها ، اي مهاراتها وفنونها اليدوية ، معتقداتها ، حكاياتها ، اغانيها ، امثالها السائرة ، لغتها ... الخ .

ان نظرة سريعة للفهرس العام للموسوعة تظهر ، بوضوح ، مدى تركيزه على جانب المأثورات الشفوية للفلكلور . ولا نجد هنا ضرورة لان نسرد الفهرس بترتيبه الهجائي وموضوعاته الرئيسية ، بل سنكتفي بذكر امثلة دالة على ذلك . فتحت حرف الشين ، مثلا ، الموضوعات التالية : الشتائم ، الشحدة ، ورتحت حرف الذال نجد فقط موضوع الذبيحة ، وتحت حرف الخاء نجد الموضوعات التالية : الخان ، مختار ، خاوي ـ مخاواه ، وتحت حرف الجيم يكتفي بموضوع الجار ، وتحت حرف الدال نجد موضوعات: الدواعي بالخير والشر ، الدخالة والطب، التوسل والرجاء ، وتحت حرف الكاف لا نجد سوى موضوع الكذب والنصب، وتحت موضوع الغين نجد موضوع الغنى والفقر لا غير ، ويقتصر حرف الصاد على موضوع الصبر ، وحرف الظاء على موضوع الضيافة ، وحرف الياء على موضوع اليمين ، بينما نجد تحت حرف التاء موضوعات : التاريخ الشعبي والزمان والمكان ، التحية واداب المجاملة، وتحت حرف العين : العدد ، عقيدة (الدين الشعبي والجن والغيلان والاعفاريت والسحر والاولياء والمزارات ـ الخ حالات الدينية). وتنضوي الموضوعات السابقة تحت نصف مجموع حروف الفهرس . وباستعراض بقية الحروف لا نجد ، من بين الموضوعات المندرجة تحتها ، سوى موضوعات قليلة تتعلق ، مباشرة ، بالجانب المادي من الفولكلور ، وهذه الموضوعات هي : البيت الشعبي (حرف الباء) ، الرسم (حرف الراء) ، الزينة والزي والزخرفة (حرف الزين) ، السلاح الشعبي (حرف السين) ، المقاييس (حرف القاف) ، العاب (حرف اللام) ، النقل والمواصلات (حرف النون) . وتجدر الاشارة الى ان معظم المأثورات المادية للفولكلور تختص بجانب طقوسي او شعائري (ritual) ، اي انها تجمع بين الجانبين المادي والشفوي . وقد اقتصرت معالجة المؤلف لمثل هذه المأثورات في المواضيع المندرجة تحت حرف الالف ، على الجانب الشفوي دون المادي . ونعطي مثال على ذلك موضوع الاكل الشعبي والاغنية الشعبية . فهو حين عالج موضوع الاكل الشعبي كموضوع رئيسي تطرق الى موضوعات فرعية مثل الجوع في الوجدان الشعبي ، ارتباط الاكل بالعمل ، المبالغة في الاكل ، مستشهدا بمجموعة من الامثال والحكايات والاغاني والقصائد الشعبية ، حول هذه الموضوعات ، دون ان يذكر شيئا عن صناعة الخبز ، طرق جمع الغذاء ، الادوات المستخدمة في اعداد

Digitized by Birzeit University Library

الطعام وفي تناولـه . وامـا بالنسبة لموضوع الاغنية الشعبية التي شغلت اكثر من ثلثي مجموع صفحات الاجزاء الثلاثة فان المؤلف لم يتطرق ، في معالجتـه لها ، للادوات الموسيقية ، مثل اليرغول ، والشبابة ، والمجوز ، والربابة ، الا من خلال بعض الرسومات ذات الوظيفة التزيينية فقط . وقد شمل موضوع الاغنية الشعبية ، كموضوع رئيسي ، الموضوعات الفرعية التالية : عمر الاغنية الشعبية ، لغتها ، انماط المغني الشعبي (الحداء ، الشاعر ، المنوحة ، المنشد . الجنكية ، الحكواتي) ، اداء الاغنية الشعبية ، تراجم المغنيين الشعبيين، والقوالب اللحنية الشعبية .

وبالاضافة الى الخلاف الذي يسود ميدان البحث حول كل من مضمون علم الفولكلور ومجاله ، فهناك خلاف اخر حول طبيعة هذا العلم والحدود التي تفصله عن العلوم الاخرى المتشابكة معه . وقد وجد عدد من الباحثين في اوروبا الغربية (مثل الباحث الفرنسي Van Gennepe) الفولكلور بالاثنوجرافيا ، بينما ربطه البعض - وخاصة الالمان - بالدراسات القومية والمحلية (١) . ومن زاوية ارتباط الفولكلور بالاثنوجرافيا سنتابع نقاشنا السابق حول علاقة الفولكلور بالمأثورات الشعبية المادية . فعلم الاثنوجرافيا الذي هو فرع من فروع الانثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology اي علم الثقافة - Culturology حسب تعريف white للانثروبولوجيا الثقافية ، يختص بدراسة الثقافات الفردية ، بمعنى ان الاثنوجرافي يدرس ثقافة واحدة . وتتميز الدراسات الاثنوجرافية بالاهتمام بالجانب الوصفي لجميع انماط السلوك التي تكون ثقافة المجتمع قيد البحث . وتتركز الدراسات الاثنوجرافية حول المجتمعات المحلية صغيرة الحجم اي العشائر والقرى ... وعادة تبدأ الدراسة الاثنوجرافية بوصف البيئة المادية للمجتمع المحلي قيد الدراسة . فتصف مكان المجتمع والمسكن والملابس والادوات ، وتنتقل بعد ذلك ، الى وصف القطاع الاجتماعي لثقافة هذا المجتمع ، ويجمع هذا القطاع النظم الاجتماعية المختلفة ، واهمها النظم الاقتصادية والقرابية والزواجية والسياسية والدينية والتربوية وقواعد الضبط الاجتماعي ، واخيرا ينتقل الباحث الاثنوجرافي الى وصف القطاع الفكري لثقافة المجتمع قيد الدراسة ، وهنا يهتم بوصف لغة المجتمع ، وفنونه ، وقيمه (٢).

واذا ما عدنا الى فهرس الموسوعة فاننا نلمس غيابا شبه كلي لموضوعات الثقافة المادية مثل : صناعة الفخار والزجاج ، الغزل والنسيج دبغ الجلود، طحن الغلال ، عصر الزيوت ، تخزين الحبوب والمواد الغذائية ... الخ ، والاهم من ذلك ، في رأينا ، غياب الموضوعات المتعلقة بالارض والزراعة ، كشكل من اشكال الثقافة بما لهما من دور في انتاج ثقافة المجتمعات الفلاحية . وهنا يمكن تناول الزراعة كشكل من اشكال الثقافة المادية ، بما يصاحبها من طقوس وشعائر كالتالي : النشاط الزراعي للفلاح على مدار السنة ، طريقة اعداد البذور ، تسميد الارض ، طرق الحراثة التقليدية ، خزن

(١) - الفولكلور ، قضاياه وتاريخه . بوري سكولوف ، ١٩٧٥ .
(٢) - الانتروبولوجيا الثقافية . دكتور عاطف وصفي .

Digitized by Birzeit University Library

الحبوب ، بناء السناسل والجلول في الجبال (التصطيب) ، الادوات المستخدمة في العمليات الزراعية المختلفة (الحراثة، الحصاد، الدراسة ، نقل المحصول ... الخ)، التقاليد والعادات والخرافات المصاحبة للنشاطات الزراعية المختلفة ، ثم خبرات الفلاح الزراعية المتوارثة ، ودور الامثال ذات الدلالات المناخية والزراعية المباشرة في نقلها من جيل لجيل . واخيرا ينبغي الا يغيب عن الموسوعة شخصيات لها مواقعها في السلم الاجتماعي للقرية الفلسطينية ، مثل شخصية الراعي ، **الحراث ، الحداد ، المؤذن ، الشيخ ، او الكاهن ، كممثل للسلطة الدينية ، العطار، البناء الشعبي** ... الخ . وان كان من المحتمل ان يتناول المؤلف هذه الشخصيات او بعضها تحت مواضيع رئيسية ، الا ان اهمية بعض الشخصيات والدور الذي تلعبه في حياة القرية او الحي الشعبي يجعل من المهم معالجتها كمواضيع رئيسية، حسب ترتيبها الهجائي .

٢ ـ ذكر المؤلف فيما سبق بأنه درس الفولكلور العربي في فلسطين . ويحدد فلسطين ببعديها الجغرافي والقومي ، ويشمل البعد الجغرافي حدود فلسطين تحت الانتداب البريطاني ويعني المؤلف بالبعد القومي تجمعات الفلسطينيين في المنفى، عبر الاراضي العربيةالمجاورة لفلسطين . وبالنسبة لنا فان دراسة فلسطين فولكلوريا ، ببعديها الجغرافي والقومي، يعني اكثر من مجرد شمول الدراسة لتجمعات الفلسطينيين في المنفى ، ان البعد القومي لفلسطين ينبغي ان يعني هنا ارتباطها الثقافي بالمحيط العربي .

ان الدراسات الفولكلورية لشرقي الاردن وجنوبي لبنان ولبعض المناطق الفولكلورية في سوريا ومصر تكشف ، بوضوح ، عن مدى هذا الارتباط . ان شرقي الاردن جزء لا يتجزأ من فلسطين التاريخية ، ولم تنقطع كافة اشكال العلاقات بين ضفتي النهر عبر التاريخ (حتى عام ١٩٤٨) . وكذلك الحال بالنسبة لشمالي فلسطين وجنوبي لبنان اللذان كانا خلال العهد العثماني تابعين لولاية بيروت حسب التقسيم الاداري للامبراطورية العثمانية . وفي فلسطين الانتداب لم تنقطع العلاقات بينهما . وكانت كل من صفد ومرجعيون مراكز اساسية يتبادل ويسوق فيها فلاحو لبنان وفلسطين منتجاتهم الزراعية . وكذلك الحال بالنسبة لسوريا ، فكثيرا ما كان الفلاح الفلسطيني يشتري بذاره وادواته الزراعية او بعض اجزائها من سوريا . وعبر هذه العلاقات التاريخية تكونت عناصر واصول ثقافية مشتركة ، سواء على صعيد النتاج المادي للثقافة ، ام على صعيد النتاج الشفوي او القولي ، من حكايات ، وامثال ، واغاني ... الخ . ولذا فاننا نتمنى على المؤلف ان يتقصى في الاجزاء التالية من الموسوعة هذه العناصر والاصول ، المشتركة سواء على صعيد المادة الفولكلورية الميدانية ، ام على صعيد المادة المرجعية كلما كان ذلك ممكنا . وفي الواقع قد فعل المؤلف ذلك عند معالجته لبعض القوالب ، اللحنية للاغنية الشعبية ، فكشف عن الاصول العربية المشتركة لهذه القوالب مثل : الدلعونا (شمال فلسطين ، وجنوب لبنان) ، المعنى (شمال فلسطين ، ولبنان) ، ريدها (فلسطين ، الكرك وجنوب الاردن غير الصحراوي)، يا عزيز عيني (قالب لحني واغنية دخلت فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى عن طريق الجنود المصريين) ، علا (قالب لحني اصله منطقة حوران) .

٣ ـ يرى المؤلف « بأن الموتيفات الفولكلورية ـ موضوع الدراسة ـ هي

Digitized by Birzeit University Library

ما يشمل ثقافة الوسط الشعبي من سكان القرى والاحياء الشعبية في المدن · وكذلك فهو لا يهمل وجهة نظر المدرسة الالمانية القائلة بوجود مـــا يطلق عليـــه اسم فولكسكنده المدينة، وهو يحددها بالموروثات الشعبية ـ سواء منها القولية او المادية ـ التي كانت في يوم من الايام ذات اصـــل برجوازي ثم هبطت للاستعمال الشعبي ، بعد ان تخلى عنها البرجوازيون » ·

ويورد المؤلف مثالين لتوضيح مـــا يقول ، الاول الشمعدان والمكوى الـــذي يعمل على الفحم ، وهما اداتان مدينيتان هبطتا للاستعمال الشعبي في القرية ، او في الاحياء الفقيرة من المدن · اما المثال الثاني فيتعلق بالموروثات القولية ، وهو اغنية « ام الهودج » ، التي يعتبرها المؤلف نموذجا لاغاني اهل المدينة في الفـــرح الشعبي مستشهدا في ذلك بوجود كلمات مثل « المشنتات » التي تحمـــل بها كسوة العروس ، حيث ان الحقيبة غير معروفة في القرية لمثل هذا الغرض ، وبالاسلوب الشعبي في اداء الاغنية وبالقيم الشعبية التي تحملها · وهذا ما جعله يصنفهـــا ضمن الموروثات الشعبية وتحت فولكلور المدينة ·

ويتفق هذا الفهم للفولكلور مع البواعث والحوافز الاشتراكية التي توطدت فـــي فولكلوريات بعض البلدان ، حيث ضمنت هذه الفولكلوريات الى نطـــاق معارفهـــا الابداعات الشفاهية للطبقة العاملة فـــي الماضي والحاضر ، بجانب ابداعات الفئات الاجتماعية المتوسطة وبذلك شملت جميع الطبقات ، ولم تكتف بفولكلور الفلاحين · وعلى اية حال،ليس هذا ما نود مناقشتـــه هنا · فما نود مناقشته هو الصعوبـــات المنهجية المترتبة على ذلك · فاذا كان من السهل تمييز المأثورات المادية لكل مـــن الريف والمدينـــة (المثال الاول) ، فان الامر يصبح اكثر صعوبة حينمـــا يتعلـــق بالمأثورات الشفوية (المثال الثاني) حيث يبقى الباحث عرضة للاستنتاجات السهلة، وللخطأ· ويحذر عالم الفولكلور السوفياتي **يوري سوكولوف** من ذلـــك ، معتبرا ان للنتاج الشفاهي (الاغاني ، الحكايات ، الاقوال السائرة ، الامثال ، الالغاز ··· الخ) جذوره الضاربة في اعماق وجود الجماهير العاملة العريضة، لذا لا يستطيع الباحث الفولكلوري تحاشي ان يكون فـــي نفس الوقت باحثا « انثوجرافيا » والا فانه سيقع في مخاطرة ايجاد خلط غيـــر صحيح بالمادة التي يدرسها · كما يجـــب على الفولكلوري ، في نظره ، ان يكـــون ـ الى حد معتبر ـ لغويا ، اي عليـــه ان يتقن الفصحى والعامية ولهجة الانتـــاج الشعري الشفاهي ، الذي يقوم بجمعـــه ودراسته · وقد اصبح علم اللهجـــات Dialectology من ميادين الدراسة الاجباريـــة لكل من يريـــد ان يكون فولكلوريا ·

وبالنسبة للفولكلوريات الفلسطينية فان مسالة الخلط في المادة الفولكلورية تكتسب اهميتها من طبيعة العلاقـــة بين الريف والمدينة في الفترة التاريخية التي تتناولها الموسوعـــة (القرنين التاسع عشـــر والعشرين) · فمنذ مطلع القرن العشرين كـــان المجتمع الفلسطيني ريفيا وفلاحيا ، بطابعه الساحق · وهناك تقديرات تقـــول بأن نسبة سكان الريف بلغت حوالي ٧٥ بالمئة من مجمـــل سكان فلسطين ، فـــي

---

(٣) ـ **تهويد فلسطين** · ابراهيم أبو لغد، بيروت ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير ١٩٧٢·

Digitized by Birzeit University Library

مستهل القرن التاسع عشر . ولم ينمو اتجاه خلع الصفة المدينية على المناطق الريفية الا في اعقاب توقيع الاتفاق التجاري الانجلو ـ عثماني ، عام ١٨٣٨ ، وبسبب التنافس على الصناعات القروية والانتاج الزراعي (٣) . بالاضافة الى ما سبق فان المدن الفلسطينية في تلك الفترة لم تكن مدنا نامية ، كمثيلاتها من المدن الاوروبية ، حيث كانت بعض المدن الفلسطينية عبارة عن قرى كبيرة (صفد مثلا) . هذا عن علاقة الريف بالمدينة ، واما عن البادية فيحدثنا الرحالة والمستكشفون ، الذين زاروا فلسطين في تلك الفترة ، عن انقطاع حبل الامن في البلاد ، وعن غزوات البدو المستمرة للاراضي والقرى الزراعية . ولجوء الفلاحين الى الجبال واستقرار البدو في بعض المناطق الزراعية وممارستهم لبعض اشكال الزراعة ، ولنمط حياة شبه بدوي ـ شبه قروي . وبعد هذا النمط من الحياة سمة مميزة للمناطق الزراعية الواقعة على حوافي الصحاري في كثير من بلدان العالم .

وهذه الصورة غير المستقرة لفلسطين، في تلك الفترة التاريخية ، وتداخل انماط الحياة الحضرية والريفية والبدوية ، يحتم على الباحث في الفولكلور الفلسطيني توخي اكبر قدر من الدقة في معالجته للمادة الفولكلورية ، وفي البحث عن اصلها ووظيفتها الاجتماعية .

وما نود ان نؤكده هنا هو ان ملاحظاتنا التي اثرناها ، في سياق مناقشتنا للموسوعة ، تأتي بمثابة مساهمة في ارساء بعض الاسس لدراسة الفولكلور الفلسطيني ، اكثر من كونها مناقشة تفصيلية للمادة الفولكلورية المتضمنة في الموسوعة ، ولم نجد مفرا من التعرض لمثل هذه القضايا ، ونحن امام عمل بمثل هذا الطموح والاهمية . وخصوصا ، كما اسلفنا سابقا ، انه ما يزال يسود ميدان البحث في علم الفولكلور الكثير من الخلاف حول مضمون الفولكلور ومجاله ، الى جانب طبيعته كعلم ، والحدود التي تفصله عن العلوم الاخرى المتشابكة معه .

والان ، بعد ان طرحنا الملاحظات الاساسية السابقة ، سنستكمل مناقشتنا لبقية جوانب هذا العمل . افاد المؤلف ، في مقدمة الجزء الثاني من الموسوعة ، بأن معظم الاستفسارات المحلية انصبت على مسألة الشمول ، من حيث تركيز البحث حول اماكن محددة من فلسطين . بينما دارت معظم النصائح والتوصيات التي وردت من فولكلوريين اجانب وعرب حول تصويب وبلورة شكل الفهرس العام للموسوعة . وقد وعد المؤلف ، مع ظهور فقرات جديدة من العمل ، بتنوع اكبر في المناطق الفولكلورية الفلسطينية ، كما قام بادخال بعض التعديلات على الفهرس، مثل اضافة ، او نقل ، او حذف بعض الفقرات .

وبعد كل هذا تبقى مسألة الشمول مطروحة ، على اكثر من صعيد ، استكمال الفهرس وبلورته ، تنوع المادة الفولكلورية جغرافيا ، واخيرا المعالجة الشاملة لفقرات الموسوعة وليس المستفيضة ، اي المعالجة التي تتناول جميع جوانب الموضوع ، عوضا عن الاستفاضة في معالجة جانب واحد من جوانبه . وهذا ما حصل عند معالجة المؤلف لموضوع الاغنية الشعبية ، حيث ركز على البناء الفني للاغنية ، وترك المضمون ليعالج في فقرات اخرى : « اما المضمون فستأتي معالجته في الفقرات القادمة ، بمعنى ان الاغنية الوطنية تدرس تحت (وطن) ، والاغنية التي تعالج امور العمل تأتي تحت (عمل) ، وهكذا (ص ٨٨ الجزء الثالث) » .

لا تقلل كل الملاحظات السابقة من الاهمية البالغة لهذا العمل الموسوعي ، الذي يشكل

Digitized by Birzeit University Library

خطوة عملية وجريئة على طريق احياء تراثنا الشعبي · خطوة تتجاوز كثيرا امكانيات الباحث ـ الفرد · ان من يتصفح الاجزاء الصادرة من الموسوعة يلحظ مدى الملم المؤلف بما كتب عن التراث الفلسطيني في القرنين التاسع عشر والعشرين ، باللغات العربية والفرنسية والانجليزية والالمانية ، كما يدرك مدى الجهد الذي بذله المؤلف في جمع المواد الفولكلورية ، المبعثرة هنا وهناك · وقد اغنى المؤلف مواضيعه بهوامش قيمة ، تعطي تفسيرا لمفردات اللهجة الفلسطينية الدارجة ، وتعرف بالمراجع العربية والاجنبية التي استند اليها المؤلف في اثبات مادته الفولكلورية · وبالاضافة الى الهوامش المذكورة ذيلت كل فقرة من فقرات الموسوعة ببيليوغرافيا وملاحظات اضافية تشكل بحق مرجعا مهما للباحثين في مجال الفولكلور ، بشكل عام ، والفولكلور الفلسطيني بشكل خاص ·

وحبذا لو خصص المؤلف فقرات في نهاية كل جزء من اجزاء الموسوعة ، خاصة ببعض الباحثين الفلسطينيين والاجانب ، ممن ساهموا بدور بارز في جمع ودراسة الفولكلور الفلسطيني امثال: **توفيق كنعان**، والالماني دالمان Gustav Dalman ، والفنلندية **هيلما جرانكفست** Granqvist , H ، وغيرهم ، بحيث تتناول هذه الفقرات التعريف باعمالهم وجهودهم في هذا المجال · اذ ان ما هو وارد حولهم في الهوامش ، والملاحظات الاضافية الملحقة بالبيليوغرافيا لا تفي بالغرض المطلوب · ويمكن لهذه الفقرات ان تتطرق ، ايضا ، لبعض المؤسسات والجهات والمجلات التي اهتمت بموضوع التراث الفلسطيني ، بغض النظر عن موقفها منه مثل : **صندوق الاستكشافات البريطاني** Plaestine Exploration Fund ومجلته الدورية ، وكذلك المجلة التي نشر فيها الدكتور توفيق كنعان الكثير من ابحاثه وهي Jpos ، اي Journal of Palesine Oriental Society ...

ونحن نعرف ان المؤلف قد تناول هذه الجهات والمجلات ، وهؤلاء الباحثين ، في بعض مقالاته وكتبه السابقة · الا ان ذكرها في الموسوعة يبقى امرا مطلوبا ، لتكامل العمل الموسوعي ·

ومرة اخرى نقول بأن اية ملاحظات حول هذا العمل الموسوعي لا تنتقص من قيمته الفعلية والعملية · خصوصا ان المؤلف نفسه يعتبر عمله مجرد تجربة موسوعية مبتدئة ، ومتواضعة ، تطمح الى ترسيخ اقدامها بالمزيد من البحث العلمي، كما يؤكد على انه قد خطا الخطوة الاولى في سبيل ابراز وتخليد الشخصية الشعبية الفلسطينية ، تاركا لاجيال الدارسين من بعده اكمال المهمة ·

وهنا نؤكد بأن هناك تقصيرا في دراسة تراثنا التاريخي والثقافي ، تقصير تتحمل مسؤوليته مؤسساتنا وهيئاتنا البحثية ، التي تعاملت مع الوطن الفلسطيني بنظرة احادية الجانب ، نظرة لم تدرك ان ثنائية الوطن ـ أي الارض والشعب معا ، وليس احدهما ـ ينبغي ان تحظى بالبحث والدراسة · ولا بد من التنويه بأن الجهود المبذولة في هذا المجال ، حتى الان ، هي جهود ومبادرات فردية تفتقر الى الدعم والمساعدة · ونشير هنا الى الجهد الطيب الذي تقوم به **لجنة الابحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني التابعة لجمعية انعاش الاسرة** ـ البيرة ، والى نشاطات جامعة بير زيت في مجال جمع ودراسة

Digitized by Birzeit University Library

التراث الفلسطيني . وليس من بـــاب الصدفة ان تأتي اولى المحاولات الجدية لاحياء تراثنا من الارض المحتـــلة حيث يخوض شعبنا يوميا معركة تأكيد وجوده ، وتأكيد شخصيته الوطنية . ولكن لا بد ان يواكب هذا الجهد داخل الارض المحتلة جهد اخر خارجها ، وذلـــك عـن طريق اهتمام مؤسساتنا البحثية بموضـــوع التراث ، والاستفادة من الدعم الذي يمكن ان تقدمه المنظمـــات الدولية في هـــذا الصدد .

ان جمع ودراسة التراث الفلسطيني ، وخاصة مهمة جمعه مطروحة الان وبالحاح لما يتعرض له شعبنا في الداخل والخارج من ظروف وعوامل تـــؤدي الى تشويش الحياة الشعبيـــة الفلسطينيـــة كما ذكر سابقا ، والى ضياع الكنوز الفولكلورية الثمينة التي ما زال يحملها جيل الابـاء والاجداد .

« ان الفولكلور صدى للماضي ، ولكنه ـ في نفس الوقت صوت الحاضر المدوي ، ولا يستطيع الانسان الفلسطيني ان يقلب طاقيته مهما حدث *

جابر سليمان

* في القول الشعبي المأثور : « مـا بتقلب طاقيتي » تعني انك لا تستطيع أن تجعلني انكر الحقيقة التي عشتها والماثلة أمام عيني . (موسوعـــة الفولكلـــور الفلسطيني) (الجزء الاول ص ٨) .

Digitized by Birzeit University Library

تقارير

Digitized by Birzeit University Library

تصـــريح صحفي

التقى في دمشق ، اليوم ، وفدان يمثلان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين واتحاد الكتاب العرب في القطر العربي السوري . واتفقا على ضرورة التعاون والتنسيق فيما بين الاتحادين في كافة المجالات الفكرية والنقابية .

وأكد الطرفان التزامهما بالدفاع عن قضايا الحريات الديمقراطية حيثما حدثت .

والتقت وجهتا نظر الوفدين حول الاحداث الجارية في لبنان ، وارتباطها الوثيق بالمؤامرة الامبريالية ضد المنطقة العربية ، بحلقاتها المتتالية ، ومنها استسلام نظام السادات ، واصراره على استمرار مبادرته الخيانية ، واشتراكه في مؤامرة كامب دافيد .

كما التقت وجهتا نظرهما بصدد الاهمية البالغة لوحدة القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي ، وضرورة تطوير وتعزيز « جبهة الصمود والتصدي » ، ودعم الثورة الفلسطينية ، في مواجهة المؤامرة الامبريالية ـ الصهيونة ـ الرجعية .

وينبه الاتحادان الى خطورة ما يحاك لحساب الامبريالية والصهيونية على يد السادات ضد القضية العربية عموما والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص .

دمشق في ٢٦ ـ ٨ ـ ١٩٧٨

اتفـاق

تجسيدا لوحدة الثقافة القومية التقدمية العربية ، ودعما للروابط الاخوية بين اتحاد الكتاب العرب في القطر العربي السوري وبين الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، جرت محادثات بين الاتحادين بتاريخ ٢٦ ـ ٨ ـ ١٩٧٨، في مقر اتحاد الكتاب العرب في دمشق حضرها من الجانب العربي السوري

الاستاذ علي عقله عرسان رئيسا والاساتذة **علي سليمان ، انطون مقدسي ، عـادل**

Digitized by Birzeit University Library

ابو شنب ، د. حافظ الجمالي ، اعضاء .

ومن الجانب الفلسطيني الاخ د. جميل هلال عضو الامانة العامة رئيسا ، وعضوية الاخوة : يحيى يخلف ، حنا مقبل ، هاني مندس ، خالد ابو خالد ، رشاد ابو شاور، عبد القادر ياسين ، د . فتحي موسى ، هاني حوراني ، اسماعيل شتات .

وقد اتفق الطرفان على تنفيذ برنامج عمل مشترك ، يتضمن البنود التالية :

١ ـ يعقد الاتحادان اجتماعات دورية مرة كل اربعة اشهر ، يحضرها ثلاثة مندوبين من كل اتحاد ، في كن من دمشق وبيروت ، بهدف تعزيز العلاقات فيما بينهما ، ويمكن عقد اجتماعات طارئة اذا دعت الحاجة .

٢ ـ يقوم اتحاد الكتاب العرب بنشر ثلاث مخطوطات على الاقل سنويا ترشحها الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين على ان تطبق عليها اصول النشر المتبعة في اتحاد الكتاب العرب .

٣ ـ يتبادل الاتحادان ٢٥ نسخة من كل كتاب ودورية تصدر عن كل منهما .

٤ ـ يتفق الاتحادان على تبادل بعض المنشورات بهدف توزيعها ، ويتفق على الاجراءات التفصيلية في لقاء قادم .

٥ ـ يعمل الاتحادان على اقامة معارض مشتركة للكتب الصادرة عنهما .

٦ ـ ينشر كل من الاتحادين في دورياته نتاج اعضاء الاتحاد الاخر .

٧ ـ يقيم الاتحاد سنويا حلقتي بحث (او ندوتين) في دمشق وبيروت ، على ان يبادر كل من الاتحادين باقتراح موضوع الحلقة او الندوة الاولى خلال شهر من توقيع هذا البرنامج .

٨ ـ يتم التنسيق بين الاتحادين في المؤتمرات العربية والدولية .

٩ ـ يصدر الاتحادان بيانات مشتركة في المناسبات الهامة .

١٠ ـ يلتزم الاتحادان بالدفاع عن قضايا الحريات العامة وحقوق الادباء والمؤلفين السياسية والفكرية (يوصي الاتحادان باقامة حلقة بحث او ندوة حول موضوع قضايا الحريات) .

دمشق في ٢٦ـ٨ـ١٩٧٨

اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين
رئيس الوفد
د. جميل هلال

اتحاد الكتاب العرب
رئيس الوفد
علي عقلة عرسان

Digitized by Birzeit University Library

تصـــريح صحفي

تجسيدا للعلاقات الاخوية التي تربط ما بين الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وبين اتحاد الصحفيين السوريين ، جرى لقاء ما بين الاتحـــادين في دمشق بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٧ .

حضره من الجانب العربي السوري الزملاء فوءاد بلاط ، قاسم ياغي ، محمد خير الوادي . ومن الجانب العربي الفلسطيني الاخوة : جميل هلال ، حنا مقبل ، رشاد ابو شاور ، يحي يخلف ، خالد ابو خالد ، شريف جيوسي ، فيصل دراني ، محمد زعيتر .

وكانت الاراء متطابقة في تقييم الوضع العام على أساس ان التعاون الكـامل بين الاتحادين تمليه ضرورة وحدة القوى الوطنية التقدمية العربية في مواجهـــة الهجمة الامبريالية الصهونية وادواتها ، ووحدة المصير المشترك .

وضمن هذا الفهم ، يدعو الاتحادان الى ضرورة تطوير وتعزيز جبهة الصمود والتصدي بحيث تتمكن من المجابهة الفعالة للمؤامرات التي تحاك ضد القضيـــة العربية والتي بلغت ذروتها في سياسة السادات ـ الخيانية ونهجه الاستسلامي ، وآخر حلقاتها مؤامرة كامب دافيد .

والتي عبرت عن نفسها ايضا في مؤامرة العصـــــابات الشمعونية الكتائبية المتحالفة مع العدو الصهيوني التي تعمل على اعادة تفجير الاوضاع في لبنان وتنفيذ المخطط الصهيوني فيه .

ويدعو الاتحادان ايضا الى دعم منظمة التحرير الفلسطينية وتعزيز وحـــدة فصائلها ، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني من أجل استرداد كامل حقوقه الوطنية .

وتم الاتفاق بين الاتحادين على تنفيذ برنامج عمل مشترك يشمل البنود التالية:

١ ـ التحرك باتجاه تعزيز العلاقات مع المنظمات الصحفية الصديقة ، ومع المنظمة العالمية للصحفيين في براغ لشرح خطورة التطورات الجديدة في المنطقة العربية .

٢ ـ العمل على عقد لقاء بين المنظمات الصحفية لجبهة الصمود والتصدي . واجراء اتصالات مع النقابات الصحفية العربية الاخرى للتصدي للتيار الاستسلامي في المنطقة .

٣ ـ تنسيق المواقف لتدعيم الخط النضالي في اتحاد الصحفيين العرب وزيـادة فاعليته في مواجهة المؤامرات التي تتعرض القضية العربية .

٤ ـ تشكيل لجنة من الاتحادين لمتابعة القضايا ذات الاهتمام الواحد في المجالات السياسية والمهنية والثقافية .

٥ ـ عقد لقاء دوري ما بين الاتحادين مرة كل ثلاثة أشهر على الاقل .

الاتحاد العـــام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

جميل هلال

اتحاد الصحفيين السوريين

فؤاد بلاط

Digitized by Birzeit University Library

بيـــان
من الامانة العـــامة للاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينـــيين

دخلت المؤامرة على قضية شعبنا وعلى مجمل حركة التحرر الوطني العربية مرحلتها الاخطر ومنعطفها الحاسم باتفاقيات العار والذل التي وقعها انور السادات، في كامب دافيد ، فجر اليوم ·

ان ما سمي بمبادىء السلام والاتفاقيـــة المصرية ـ الصهيونيـــة تعني ان حلفا عدوانيا ضد الامـــة العربيـــة ، وكل قضاياها ، قد أعلن عن مولده اليوم ، وبمشاركة طرف عربي · وهذا الحلف القائم على أساس تصفية القضية الفلسطينية وضرب القضية العربية كلها ، لن يقف عند حدود ما أعلن اليوم ·

ان تنفيذه يتطلب ضرب الثورة الفلسطينية وتصفيتها وضرب كل نفس تقدمي وطني في المنطقة العربية · انه اعلان حرب علينا جميعا ·

ان الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، وهي تلمس مدى خطورة الوضع الناشىء عن الحلف الامبريالي الاميركي ـ الصهيوني ـ الساداتي الجديد والمرشح لضم قوى الثورة المضادة في منطقتنا وفي دائرتها جزار شعبنا ملك الاردن ، ترى أن هذه الهجمة ، رغم شراستها ، ليست نهاية المطاف ، وان الجماهير العربية قادرة على استعادة دورها لتبدأ هجومها المضاد على قوى الرجعية والعمالة والخيانة ·

ان الجماهير العربية ، رغم كل الضربات التي وجهت لها ، قـادرة على مواصلة الصراع · وان الدرك الذي وصلت اليه التسوية الاميركية الذلة في المنطقة يمكـن أن تكون عاملا لحشد اكبر الطاقات لمواجهة الخطر ·

ان المحك الجدي لموقف اي نظام وطني هو مدى مساهمته العملية في التصدي لهذه المؤامرة الخطيرة ·

ان « جبهـــة الصمود والتصدي » ، التي شكلت حتى الآن معارضـة وطنيـة لخيانة السادات ، مطالبة ، الان ، ان تحول هذه المعارضة الى جبهة مقاتلة ، فالخطر لن يقف عنـد حدود فلسطين وسوريا والحركـة الوطنيـة اللبنانية · ان الزحف الصهيوني ـ الامبريالي ـ الرجعي سيحاول الوصول الى كل القوى الوطنية اينمـا كانت ، ومهما كانت معتقداتها ·

ان كتاب فلسطين وصحفييها ، الذين اثبتوا دائما انهم الضمير الحي لشعبهم

Digitized by Birzeit University Library

والذين اتخذوا موقفا مبدئيا ثابتا باستمرار ، يتوجهون اليوم الى كل الكتاب والمثقفين والصحفيين العرب للتحرك السريع من اجل مواجهة الغزو القادم من كامب دافيد ، ويتوجهون الى كل القوى التقدمية العربية لتجاوز خلافاتها ، فالخطر الآن يتهدد الجميع ، بلا استثناء ٠

ان وحدة قوى الثورة الفلسطينية ، الملتحمة مصيريا مع الجماهير اللبنانية بقيادة الحركة الوطنية والتقدمية٠اللبنانية ، مع وحدة القوى التقدمية العربية المستندة الى برنامج كفاحي والى تحالف استراتيجي مع المعسكر الاشتراكي وقوى التقدم في العالم ، وعلى راسها الاتحاد السوفياتي ، هو الطريق لمواجهة مرحلة ما بعد كامب دافيد ٠

ان الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين واثقة من قدرة الجماهير العربية على النصر ، وواثقة بأن شعبنا الفلسطيني المؤمن بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا لشعبنا قادر على احباط مؤامرة تصفية القضية ٠

وعاشت فلسطين عربية حرة ، ، ،

الامانة العامة

للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلطينيين

بيان اتحاد الصحفيين العرب حول نتائج اجتماعات كامب ديفيد

لم يكن غريبا ان ينتهي اجتماع (كامب ديفيد) لعين النتائج المخطط لها سلفا ٠٠ فالاحداث التي سبقت رحلة العار الساداتية للارض المحتلة لم تكن توحي بغير استمرار المسار الاستسلامي وفقا للاهداف التي وضعها الامبرياليون والصهاينة ابتداء من بدعة خيمة الكيلو (١٠١) ومرورا بلعبة فصل القوات على جبهتي سيناء والجولان ٠٠ وتوقفا بعض الشيء عند الدعوة للتمسك بسحر جنيف ٠٠ واخيرا استراحة كمب ديفيد ٠٠ حيث اسفر فرط العواطف بين العبد واسياده الى الركوع المهين والى التفريط بالشرف ٠

ان ادانة الجماهير العربية وقواها التقدمية الحقيقية ومنظماتها الشعبية لما حدث في كمب ديفيد جملة وتفصيلا سبقته ادانة واسعة للخطوات التي مهدت لذلك ٠٠ وساعدت على خلق الاجواء المشجعة للايغال في ركوب عربة الخيانة ٠ لقد رفضت الجماهير العربية ومنظماتها الشعبية ومنها اتحادنا وفي مناسبات عديدة وعبر مؤتمراته الحلول الاستسلامية واداتها بشدة القبول بمنطق التسوية بكل اشكالها ٠٠ لان التسوية لن تجلي محتلا ٠٠ ولن تلغي عدوانا ٠٠ لذلك دعا اتحادنا جميع المناضلين العرب الى اعتماد اسلوب الكفاح

Digitized by Birzeit University Library

المسلح طريقا وحيدا لتحرير الاراضي العربية واستعادة فلسطين من المغتصب الصهيوني العنصري .. ودعا الاتحاد اعتمادا على هذا المبدأ كل القوى الوطنية والقومية التقدمية العربية لاقامة جبهة تقدمية عربية شعبية تكون قاعدة للمواجهة النضالية الحازمة التي تتطلبها معركة التحرير ضد اشرس قوى عدوانية فاشية شهدها القرن العشرين .

وحذر الاتحاد من المخاطر الناجمة عن سياسة التلكؤ في اعتماد الصيغ النضالية التي تعزز فاعلية التصدي لمخططات التسوية التي تقف وراءها الولايات المتحدة الامريكية بهدف تكريس الاحتلال الصهيوني في الاراضي المحتلة وتصفية قضية الوجود الفلسطيني نهائيا وبما يضمن استمرار الهيمنة الامريكية على المنطقة العربية وثرواتها الطبيعية الزاخرة .

ان اتفاقيات الركوع التي وقعها السادات مع الصهيوني بيغن بمباركة كارتر تعني ان خطوة اخرى على طريق فرض التسوية الاستسلامية قد شهدتها المنطقة العربية .. وان خطوات خيانية اخرى متوقعة امام السكوت العربي الذي فرضه التمسك بنهج التسوية والمساومة والتنازلات .. ولعل دقة الموقف وما يفترض ان تنجم عنه من مخاطر على مستقبل النضال العربي والوجود القومي .. ما يطرح على جميع القوى والانظمة التقدمية العربية العديد من المهام في المقدمة منها اعلان الادانة الكاملة لمؤتمر كمب ديفيد ورفض كل ما اسفر ويسفر عنه من اتفاقيات معلنة او سرية والعمل فورا لاقامة جبهة قومية عريضة تضم جميع القوى والانظمة التقدمية في الوطن الكبير لاعلان الرفض القاطع لنهج التسوية والتمسك بمبدأ الكفاح المسلح طريقا للتحرير والسعي لحشد طاقات الجماهير العربية ووضع امكانات اقطارها المادية والبشرية في خدمة هذا الكفاح العادل .. ففي ذلك وحده سيمكن التصدي وبحق للهجمة الشرسة التي تستهدف وجود الامة العربية بأسرها .

ان الدعوة لاقامة مثل هذه الجبهة كان وسيظل امل الجماهير العربية ومطلب مناضليها وهو معيار لتحديد جدية كل القوى والانظمة العربية التقدمية .. فالتصدي الحازم لغدر العدوان هو الطريق الوحيد لاحراز النصر على الاعداء .. وهو طريق مليء بالتضحيات .. وكل ابتعاد عن ساحته نكوص عن القضية وانحياز بالضرورة لصف الاعداء .

ان اتحادنا مؤمن كل الايمان بطاقات جماهيرنا العربية وهو واثق من قدرتها على تحقيق الانتصار .. وتاريخها المعاصر يشهد على ذلك .. وهي متمكنة اليوم على ان تواجه المحن وتواصل العطاء لاسقاط كل مخططات القوى الشريرة .. كما تساقطت امامها اعتى قلاع الاستعمار والامبريالية في الماضي .

اننا ندعو لتضافر كل الجهود العربية الخيرة ولتكريس كل الاقلام الحرة الشريفة من اجل العمل الحثيث لاقامة الجبهة العربية التقدمية الشعبية على اساس النضال لاسقاط مشاريع التسوية والتمسك بالكفاح المسلح طريقا وحيدا للتحرير والعودة .. وضمان

Digitized by Birzeit University Library

مستقبل امتنا واجيالها القادمة مؤكدين ان الامة التي اسهمت بصنع التـــاريخ الانساني وحضاراته المجيدة لن تركع ·· ولن تخضع لارهاب وظلم ·· والنصر سيكون حليفهـا ان صمد ابناؤها ·· وان تخندقت قواها في مواقع التصدي والوثوب ·

سعد قاسم حمـودي
رئيس اتحاد الصحفيين العرب

لقاء المناضل قليلات مع الامانة العامة للاتحاد

التقى اليوم الاخ المناضل ابراهيم قليلات رئيس مجلس قيادة حركـــة الناصريين المستقلين (المرابطون) وفدا من الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، حيث دار نقاش حول الوضع السياسي الراهن على ضوء مقررات كمب ديفيد وانعاكسات ذلك على القضية العربية بشكل عام والقضيةالفلسطينية بشكل خاص ·

وقد تمثل الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين بوفد ضـــم الاخوة حنا مقبل امين سر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيـــين ورشاد ابو شاور مسؤول العلاقات الثقافية ويحي يخلف مسؤول العلاقات الداخلية وجميل هلال مسؤول العلاقات الصحفية وهاني مندس عضو الامانة العامة وعبد القادر ياسين نائب رئيس فرع جمهورية مصر العربية واحمـد دحبور عضو امانة فرع الاتحاد في سورية ·

وحضر اللقـــاء ايضا الدكتور سمير صبـــاغ والاخ وليد · هذا وقد تحدث المناضل ابراهيم قليلات شارحا تصور حركة الناصريين المستقليـــن لجمل الصراع الدائر الان في المنطقة مركزا على اهمية لقاء القوى الوطنية والتقدمية العربية لمواجهة الهجمة الشرسة التي تتعرض لها المنطقة ·

كما تحدث اعضاء الوفد ضمن نفس الاطار · وقـــد شكر الوفد للاخ ابراهيم قليلات موقفه المبدئي من النضال الفلسطيني ومساندته الدائمة لنضال الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ·

هذا وقد اتفق على عقد لقاءات اخرى لبحث التنسيق الاعلامي بـــين حركة الناصريين المستقلين وبين الاتحاد ·

بيروت في ١٩٧٨/١٠/٣

Digitized by Birzeit University Library

انعام رعد يلتقي الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين لفلسطينيين ·

التقى الرفيق انعام رعد ، عضو المجلس الاعلى للحزب القومي الاجتماعي ، نائب رئيس المجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية اللبنانية ، وفدا من الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ضم الاخوة : حنا مقبل (امين سر الاتحاد) ، يحيى يخلف (مسؤول العلاقات الداخلية) ، رشاد ابو شاور (مسؤول الشؤون الثقافية) ، هاني مندس (عضو الامانة العامة) ، شريف جيوسي (امين سر فرع سوريا) ، وعبد القادر ياسين (نائب رئيس فرع مصر) ·

وحضر اللقاء ، من الحزب القومي الاجتماعي ، كل من الرفاق : داود الباز (عضو المجلس الاعلى للحزب) ، توفيق مهنا (وكيل عميد الاذاعة) ، وكمال ذبيان ·

ودام اللقاء نحو ساعة ، تبادل فيها الطرفان وجهات النظر حول الوضع الراهن الفلسطيني واللبناني والعربي · والتقت وجهتا نظر الطرفين في هذا الصدد · وتم الاتفاق على مواصلة اللقاء في الايام القليلة القادمة ·

الجمعة في ١٩٧٨/١٠/٦

بيان من الاخ ناجي علوش
الامين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

صرح الاخ ناجي علوش الامين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بما يلي :

ان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين يعلن قلقه الكبير نتيجة الاحكام الجائرة التي صدرت بحق الحبيب عاشور ورفاقه · وهو اذ يدين هذه الاحكام الجائرة ، يطالب كل المنظمات الشعبية باعلان الاستنكار والادانة ، والعمل على اطلاق سراح المناضلين النقابيين الذين صدرت احكام بحقهم ·

ويطالب الرئيس الحبيب بورقيبة ، والحكومة التونسية ، باصدار قرار العفو ، ويستغرب ان ينزلق القضاء التونسي على طريق الجور والعسف ...

بيروت في ١٩٧٨/١٠/١٠

Digitized by Birzeit University Library

تقرير عن نشاط فرع سورية والمؤتمر الثاني للفرع المنعقد في ١٨/٨/١٩٧٨

انعقد ، في الثامن عشر من شهر آب / ٧٨ ، المؤتمر الثاني لفرع اتحـــاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في سورية ، في صالة المسرح القباني بـــدمشق ، تحت الشعارات التالية :

■ لنناضل من اجل تـرسيخ الجبهة الوطنية داخـل الارض المحتلـة وتصعيد الكفاح الجماهيري ضد الاحتلال .

■ الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، قاعدة من قواعد منظمـة التحرير الفلسطينية ، الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني .

■ الوحدة الوطنيـــة الفلسطينية هي الضمانـة الاساسية لاحباط مؤامرات القوى الامبريالية الرجعية والفاشية ضد الثورة ، ودحر المشاريع الاستسـلاميـــة التصفوية .

■ المجد والخلود لشهداء الحركة الوطنية الفلسطينية .

■ تصعيد سائر أشكال النضال ضد الاحتلال ، وتحقيق الوحدة الوطنية بين فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية ، هما الطريق لانتزاع الحقوق المغتصبة واقامة دولة فلسطينية مستقلة .

وقد حضر افتتاح المؤتمر ممثلين عن كل من : **الاخ عبـــد النبي حجـــازي** ، عضو اتحاد الكتاب العرب المتفرغ في القطر العربي السوري ، والاخ قاسم ياغي ، نائب مدير عام وكالة (سانا) عن اتحاد الصحفين في سورية ، **والاخت ام هشـام** ، عن اتحاد المرأة الفلسطينية ، وعدد من الكتاب العرب السوريين . وأشرف عـــلى سير أعمال المؤتمر ، الاخ يحي يخلف ، مسؤول العلاقات الداخلية في الامانة العامة، والاخ **خالد ابو خالد** عضو الامانة العامة .

وقد افتتح المؤتمر الاخ مسؤول العلاقات الداخلية ، بكلمة اكد فيها على كون الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين قاعدة من قواعد منظمـــة التحرير الفلسطينية ، اشار الي دور الاتحاد في بناء الشخصية الوطنية الفلسطينية .

Digitized by Birzeit University Library

كما أكد الاخ مسؤول العلاقات الداخلية على أهمية توفير الجو الديمقراطي للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، مما يمكن الثقافة الوطنية من الظهور والبروز ، بما يعطي الوجه الحضاري لكفاحنا المسلح · واشار الى مقولتي (لا ثورة بدون ادب وفن ثوريين) و (لا ثورة بدون صحافة ثورية حرة ملتزمة) باعتبارهما من قوانين مرحلة الثورة الوطنية ·

وأشار الى اعجاب وتقدير الامانة العامة للاتحاد بنشاطات فرع الاتحاد في في سورية ، وباللجنة الاقليمية للفرع التي كانت تمثل التجسيد الحي للوحدة الوطنية ·

وبعد التأكد من العضوية والنصاب القانوني للمؤتمر ، انتقل المؤتمر الى التقارير الثلاثة التي قدمتها اللجنة الاقليمية للفرع وهي :

١ ـ التقرير المالي ، ٢ ـ التقرير التنظيمي والمهني ، ٣ ـ التقرير الثقافي ولعل من المفيد الاشارة الى أبرز النقاط التي تطرقت اليها التقارير الثلاثة ·

فالتقرير المالي ، ناقش الوضع المالي للفرع والمساعدات المقدمة له ، وقد ضربت حركة فتح الرقم القياسي في تقديم هذه المساعدات ، وتساهم كل من الامانة العامة للاتحاد ومنظمة الصاعقة والجبهة الشعبية (ق · ع) من تقديم المساعدات · وقد أخذت مساعدات الامانة العامة والصاعقة طابعا منتظما ، منذ مطلع حزيران ١٩٧٨ ·

واوصى التقرير بتثبيت مبدأ دفع رسم(١٠) ل· س· لقاء كل خدمة تقدمها اللجنة الاقليمية للفرع الى الاعضاء ·

اما التقرير التنظيمي والمهني ، فقد اشار الى خارطة الواقع البنيوي لفرع الاتحاد كالتالي : شعراء : ٢٥ ، قصاصون وروائيون ومسرحيون : ٢٠ ، محررون صحفيون : ٣٩ ، مخرجون ورسامون صحفيون : ٥ ، مصورون صحفيون ٤ ، نقاد : ٧ ، كتاب سياسيون : ٣٧ ، مترجمون صحفيون : ٦ ، باحثون : ١٥ ، اذاعيون : ٨ مكاتب صحفية ومسؤوليات ادارية : ٩ ·

وحسب التوزيع على المؤسسات ، (٤١) منهم في مؤسسات اعلامية فلسطينية ، يكتب (٢٥) منهم في الصحافة الفلسطينية ، ويعمل في مؤسسات اعلامية سورية (٣١) ، وعدد لا بأس به في سلك التعليم (بما في ذلك الجامعي) ، وفي المحماة ، والمهن الحرة الاخرى ·· وفي فرع الاتحاد (١٠) أعضاء يمكن اعتبارهم من الرعيل الاول (من حيث الجيل ··) ، وفي فرع الاتحاد (١٣) عضوا منتسبا ، و (١٠) من حملة الدكتوراة في مختلف الاختصاصات ، والعشرات من حملة الاجازة العامة في مختلف فروع الآداب والعلوم الاخرى ، ومن المؤهلين مهنيا ·

وحسب النشر ، بينهم (٧٤) عضوا له عمل واحد مطبوع على الاقل ، و (١٢) مضى على احترافه الصحافة اكثر من عشر سنوات ·

Digitized by Birzeit University Library

وشدد التقرير على اهمية تجاوز كل الصعوبات ، الموضوعية والذاتية دائما، وعقد المؤتمرات العامة والفرعية للاتحاد في مواعيدها دون اي تأخير، وبما يحقق تنفيذ النظام الداخلي .. واكد التقرر ، الذي اقره المؤتمر ، على الدور السياسي النشيط ، الذي لعبته اللجنة الاقليمية للفرع ، على صعيد تثبيت مفاهيم أساسية ، كل ما اقتضى الامر ذلك ، « متجاوزة بذلك ، وبروح المسؤولية العالية ، ظروفا موضوعية صعبة اجتاحت الساحة ، ومحققة اكبر قدر من الانسجام ، كفريق عمل يستهدف عدم الدخول في اشكالات جانبية ، وهو الامر الذي نأمل ان يتحقق دائما في كل فروع الاتحاد ، وعلى مستوى الامانة العامة ، بل في المنظمات الشعبية الفلسطينية الاخرى » .

ونوه التقرير الثقافي بالنشاط الذي اقامته اللجنة الاقليمية للفرع ، والذي تركز ، في الفترة من اواخر عام ٧٧ ولغاية ٦ / ٦ / ٧٨ . واكد التقرير ، في هذا الصدد ، على أن الهدف الاساسي للجنة الاقليمية للفرع ، في موسمها الثقافي الماضي ، كان يتركز في « تثبيت فرع الاتحاد في ساحة الثقافة الوطنية بالامكانات المتاحة ، وهي محدودة جدا ، تسمح بتعاطف معقول وتفهم الظروف الموضوعية ، وفتح أوسع الفرص امام الجميع ، وبخاصة الاعضاء الشباب في اسماع صوتهم (دون تجاهل الاخرين) ، وبالفعل قد تحقق الهدفان وبنجاح تام ... »

وقد اقر المؤتمر هذه التقارير بسرعة فاقت كل التقديرات ، وطرحت فقط توصية أو توصيتين ، كانت ملحوظة في التقارير او انها تنسجم مع جوهرها .

بعد ذلك ، قدمت اللجنة الاقليمية للفرع الاتحاد استقالتها ، وصعدت الى المنصة رئاسة جديدة ، لتتولى الأشراف على انتخاب اللجنة الاقليمية للفرع والاعضاء الاخرين المتممين الى المؤتمر العام القادم للاتحاد .

وباعتبار أن عدد اعضاء الفرع (١٩٥) عضوا ، فان عدد ممثلي الفرع الى المؤتمر العام هم (٢٠) عضوا بما في ذلك اعضاء اللجنة الاقليمية الفرع ، المصطلح ان تكون من (٧) اعضاء ، بذلك يكون عدد الاعضاء المتممين (١٣) عضوا .

وقد طرحت قائمة لامانة الفرع ، مؤلفة من (٧) أعضاء ، هي قائمة الوحدة الوطنية وتمثل القائمة : حركة فتح ، التنظيم الفلسطيني الموحد لحزب البعث ، الجبهة الديمقراطية، والمستقلون .. كما طرح بعض الاخوة انفسهم للترشيح ، غير انهم انسحبوا ، جميعا ، لصالح قائمة الوحدة الوطنية ، عدا واحد فقط ، لم ينل نسبة كافية من الاصوات رغم انه كان المرشح الوحيد من خارج القائمة ، الامر الذي لا يؤهله لكي يصبح عضوا في اللجنة الاقليمية للفرع ، فيما لو حدث شاغر فها .

وهكذا قد فازت قائمة الوحدة الوطنية ، وقد تراوحت نسبة الالتزام بالقياس لعدد الاصوات التي حصل عليها اعضاء القائمة بين ٦٧ ، ٩٠ بالمائة .

Digitized by Birzeit University Library

وقد اجتمعت اللجنـــة الاقليمية للفرع المنتخبـة بتاريخ ٢٠-٨ ، بمقر الفرع ، وبحضور الاخ مسؤول العلاقات الداخلية في الامانة العامة ، ووزعت المسؤوليات بين اعضائها على النحو التالي :

د. فتحي موسى	رئيسا للفرع
فيصل حوراني	نائبا للرئيس
شريف جيوسي	أمينا للسر
عبد الرحمن غنيم	امينا للصندوق
أحمد دحبور	امينا للعلاقات الثقافية
محمد زعيتر	امينا للعلاقات الداخلية والمهنية
هاني حوراني	امينا للعلاقات الخارجية

(بذلك يكون قد دخل الامانة المنتخبة عضوان جديدان ، **هما فيصل حـوراني وهاني حوراني**) . اما بالنسبة للاعضاء المتممين ، فقد طرحت قائمـة للـوحدة الوطنية وتمثل حركة **فتح** ، والتنظيم الفلسطيني الموحد لحزب **البعث** ، والمستقلون ، وطرحت قائمة اخرى « المستقلين » ، كما حدثت بعض الترشيحات الافرادية الاخرى من خارج القائمتين . وبلغ عدد المرشحين (٢٦) مرشحا ، وكان التنافس شديدا .

وقد نجح من قائمة الوحدة الوطنية ٩ وهم الاخوة : عبد الكريم الكرمي ، د . **حسام الخطيب ، عدنان عبد الرحيم ، اسماعيل ابو شمالة ، فايز قنديل ، د . شوقي شعث ، داوود يعقوب كمال الخالدي ، وانيس الخطيب .**

واخترقها اربعة من خارج القائمتين هم الاخوة : **عبد الله حوراني ، صالـح هواري ، احمد الجمل ، وراسم المدهون .**

وقد تراوحت نسبة الالتزام بقائمة الوحدة الوطنية ، بالنسبة للاعضاء المتممين بين ٥٦ ، ٨٠ بالمائة .. وهي نسبة متدنية بالقياس مع نسبة الالتزام بقائمة اللجنة الاقليمية للفرع . الا ان الاربعة المخترقين ، اتوا في ترتيب عدد الاصوات بعـد التسعة الفائزين من قائمة الوحدة الوطنية .

وبالرغم من عدم نجاح اربعة من مرشحي التنظيم الاساسيين في قائمة الوحدة الوطنية (بالنسبة للاعضاء المتممين) ، تبقى النتيجة مرضية الى حد كبير وبذلك يكون ، توزيع الفائزين سياسيا (بالنسبة لمجموع الاعضاء العشرين) كالتالي :

٥	**حركة فتح ،**
٥	**حزب البعث ،**
٢	**جبهة ديمقراطيـة ،**
٨	**مستقلون ،**

Digitized by Birzeit University Library

وقد كان من المتفق عليه ، حتى لحظة انعقاد المؤتمر ، ان تمثل **الجبهة الشعبية** (ق٠ع) في الاعضاء المتممين ، بمرشح مستقل تختاره هي ، لكن غياب هذا المرشح عن المؤتمر ، اضطر المفاوضون لاستبداله بمرشح مستقل هو الاخ **داوود يعقوب** .. كما استبدل د٠ **احمد الحسن** ، رئيس جامعة حلب ، لنفس السبب ، بمرشح مستقل ايضا ، هو د٠ **شوقي شعث** ..

وغطت الصحافة المحلية المؤتمر ، قبل وبعد انعقاده ، وكانت نتائجه محل اهتمام وتقدير الاوساط النقابية الفلسطينية والصحفية والادبية السورية .

وفي اول اجتماع للجنة الاقليمية للفرع ، بعد انتخابها ، قررت المشاركة في وفد الامانة العامة القادم الى دمشق ، لاجراء مباحثات مع كل من اتحادي الكتاب العرب والصحفيين في القطر العربي السوري .. فمثل الفرع في المباحثات الاولى الاخوة : **عبد الكريم الكرمي** ، د٠ **فتحي موسى** ، **وهاني حوراني** ، وفي الثانية : **شريف جيوسي** ، **فيصل حوراني ومحمد زعيتر** ..

وقد صدر عن المباحثات تصريحان صحفيان ، وتقرر في المباحثات مع اتحاد الصحفيين السوريين تشكيل لجنة معينة للبحث في القضايا المهنية والثقافية ، مؤلفة من الاخوة : **قاسم يلغي** ، **محمد خيرواوي** ، **وبشير جلاد** ، من اتحاد الصحفيين السوريين ، ومن الاخوة : **خالد ابو خالد** ، **فتحي موسى** ، **وشريف جيوسي** ، من اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

وقد قابل وفدنا ، في ختام المباحثات الاولى ، الرفيق **جورج صدقني** ، عضو القيادة القومية لحزب البعث ، وفي الثانية السيد **احمد اسكندر احمد** ، وزير الاعلام السوري .

ويذكر ان فرع الاتحاد يستعد لموسمه الثقافي القادم ، الذي من المنتظر ان يبدأ في شهر تشرين الاول ١٩٧٨ ، والذي ربما تجاوز حدود مدينة دمشق والمحافظات السورية الى اقطار عربية اخرى .

شريف جيوسي

Digitized by Birzeit University Library

والمجلة ماثلة للطبع وصلنا نبأ فوز الشاعر الفلسطيني الكبير عبد الكريم الكرمي « ابو سلمى » بجائزة « اللوتس العالمية » ، التي تمنح للادباء الذين يقدمون اضافات للثقافة الانسانية والتقدمية .

ومن المعروف ان هذه الجائزة قد منحت ، من قبل ، لثلاثة من كبار الادباء الفلسطينيين هم : محمود درويش ، كمال ناصر ، غسان كنفاني .

ان فوز شاعر فلسطين الكبير ابو سلمى بهذه الجائزة هو تكريم للثقافة الوطنية الفلسطينية ، وانتصار لقضايا الانسان التي دافع عنها هذا الشاعر الثوري على مدى نصف قرن من الزمن .

ان الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وهيئة تحرير « الكاتب الفلسطيني » تلقت باعتزاز هذا النبأ وستنشر « الكاتب الفلسطيني » ، في اعدادها القادمة ، ملفا عن ادب شاعرنا الكبير ابي سلمى .

Digitized by Birzeit University Library

قضايا عربية

شهرية فكرية مفتوحة لمختلف الاتجاهات التقدمية

يكتب فيها أبرز الكتاب والمفكرين العرب من كافة اقطار الوطن العربي - تعالج اهم المشكلات والقضايا المعاصرة للامة العربية بروح الالتزام والبحث العلمي وفي مختلف المواضيع : السياسية ، الاقتصادية ، التاريخية ، الادبية ، الثقافية والفنية - أبواب شهرية ثابتة : عرض أهم الكتب - فن تشكيلي - سينما - وثائق - ببليوغرافيا شهرية : القضايا العربية في الدوريات العربية .

رئيس التحرير : د . عبدالوهاب الكيالي

مستشار التحرير : رجاء النقاش

المراسلات : ماهر الكيالي - ص . ب . ٥٤٦٠
بيروت/ لبنان العنوان البرقي : موكيالي - ت : ٣١٢١٥٦ .

Digitized by Birzeit University Library

ت لبنان ـ ص . ب : ٣٠٧٥ تلفون ٣١٦٠٣١

Digitized by Birzeit University Library